رصد لسياحة الفكر

الجزء الثاني

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رصد لسياحة الفكر

الجزء الثاني

تأليف

عبد العزيز بن عبدالله الخويطر

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

(ح) عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر ، عبدالعزيز بن عبدالله

رصد لسياحة الفكر / عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر.

الرياض ، ١٤٢٨هـ

ص ٤٨٠، ١٦×٢٢,٥ سم

ردمك : ٠-٦١٦-٥٦-٩٩٦٠

١- الأدب العربي- السعودية أ. العنوان

ديوي ٩٥٣١، ٨١٠ ١٤٢٧/٦٩١٢

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٦٩١٣

ردمك : ٠-٦١٦-٥٦-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابي «رصد لسياحة الفكر» الذي أقدمت على أن أجمع فيه ما سبق أن كتبته في دراستي لبعض الكتب التي قرأتها، ورأيت أن من حقها أن أُعرِّف بها، معتمداً على ما رأيته فيها واضحاً، أو استوحيته من بعض الإشارات فيها، وأن أجمع كذلك ما سبق أن كتبته من مقدمات أحسن مؤلفوها الظن بي في تقديمها للقارئ، فأقدمت على هذا الشرف الذي حبوني به مطرزاً بحسن ظن، رجوت الله معه أن لا يخيب ظنهم فيَّ.

هذا والمقالات بنوعيها: «الدارسة» و«المقدمة»، تتحدث عن نفسها، فهي تبين الحقل الذي دارت حوله، وتلخص المعلومات التي وردت في هذه الكتب، وفيها سمة الفهرس لما يحويه الكتاب المدروس أو المقدم، وأُمِّل بذلك أن يشجع القارئ أن يقرأ الكتاب الأصل، وأن يعيش معه الوقت الذي تمتعت به معه، وأُمِّل كذلك أن يشارك قارؤه الدال عليه في أنه كتاب يستحق الوقت الذي أوقف عليه.

على أي حال أذكِّر بالفكرة الأساس التي أوجبت جمع هذه المقالات، وهو أن تكون مرجعاً في متناول يد من احتاج إلى

شيء مما ورد بها، وهذا خير من أن تبقى مبعثرة في الصحف والمجلات، فقد يصعب الرجوع إليها عند الحاجة، أو يستحيل الإلمام الكامل بها، وما أقدمت عليه ليس بدعاً، وقد سبقني إلى ذلك فطاحل كتاب معروفون ومقدرون قرأت لهم وأنا في المرحلة الثانوية، وعلى رأسهم مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابيه «النظرات» و«العبرات». وقد حفر كبار الكتاب في القرن الميلادي الماضي جواداً في هذا النهج.

تغلب «المقدمات» على هذا الجزء مثلما غلبت «الدراسات» على الجزء الأول.

عبد العزيز الخويطر

(١) أمسية ثقافية عن كتابي «أي بني»[١]

أود في بدء حديثي هذا أن أقدم أجزل الشكر لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، رئيس اللجنة العليا لبرامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، على دعوته الكريمة لي للمشاركة في هذه الأمسية الثقافية، وأن يكون حديثي

---

(١) ألقيت بدعوة كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد ابن عبدالعزيز مساء الأربعاء: ١٢/ ٨/ ١٤٢١هـ الموافق / ١١/ ٢٠٠٠م في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في فندق الرياض انتركوتننتال بالتعاون مع مكتبة العبيكان في برنامج: «أمسيات ثقافية للكتب الأكثر بيعاً والأوسع انتشاراً، وكان الحديث عن كتابي «أي بني».

عن كتابي «أي بني»، وظَنُّ سـمـوه بهذا فيّ ظَنٌّ حَسَنٌ، وأرجـو أن أكـون عند حسـن ظن سـمـوه، وظن الإخـوة الـكرام الذين تجشموا عناء المجيء هذه الليلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي من جيلي، أو سنّه يقرب من سنّي، لا يملك إلا أن يقارن ما مضى من زمن عاصره بزمن يراه يدرج اليوم أمامه، بما يصاحبه من تغيير. هذه المقارنة لا تفارق فكره ليل نهار، يراها في كل حدث يمر به، مهما كان صغيراً، للاختلاف الكبير بين مظاهر الأمس ومظاهر اليوم، بين ماضٍ ولّى وحاضر حلّ.

ماض لم تعرف فيه الكهرباء، وعندما عرفت لم تتعد الاستفادة منها حيزاً ضيقاً، لا يزيد عن مبنى أو مبنيين، مع هوامش

تلت فيما بعد، تمثـلت في كهرباء السيارة، أو وسـائل رفع الماء، أو بـطاريات الراديو، الذي كان أعجوبة الزمن في ذلك الوقت.

ماض لم نعـرف فيـه شبـر إسفلت، ولا اسم رصـيف، ولـم نسـمع عنهـمـا، ولو سمعنا لما تصورناهما كما هما في الحقيقة.

ماض لم نـسمع فيـه عن التليـفون، ولا ندري كنهه إن مرت كلمة عابرة عنه.

مـاض إذا سمـعنا فـيـه دوي السيـارة من بعـيـد، تأتي به الريح من عـمق الصـحـراء، ركضنا نسـتقبلها بـانبهار، والتصـقنا بالجدار مـشـدوهين، يختـلط في نفـوسنـا الخـوف والرهبة والفرح والبهجة، وحب الاستطلاع.

ماضٍ تبقى البلدة فيه أشهراً لا تمر بها سيارة، والمدن المتقدمة في سيرها عن بلدان نجد، مثل مكة المكرمة، السيارات فيها تعد على الأصابع.

ماضٍ كان الجمل فيه سفينة الصحراء بحق، تراه أين التفتَّ، تعرف عنه كل شيء، تعيش معه، ويعيش معك، كأنه فرد من أفراد الأسرة، في نفعه، وفي تقدير الناس له، وفي معاملتهم إياه. الجمل شيخ مزمل في الصحراء، وفي المدينة: في الصحراء أداة حمل، وركوب، ورأس مال للتجارة، وأداة تغذية، ومصدر رزق، وقيمة دية، ووسيلة مصالحة، وجهاز عرس،

ودبابة حرب، وفي المدينة وسيلة سفر، وحامل أثقال وآلة لنزح الماء.

ماض لعب فيه الحصان دوراً فاعلاً، يرفع رأس من اقتناه، ظهره حصن، منظره زينة، ومتعة.

ماض كان الحمار فيه أداة ركوب وحمل لا يستغنى عنه من لا يصل باعه للحصان أو الجمل، ولكن حقه مهضوم، بل إن أسوأ الشتائم تؤخذ من اسمه.

ماضٍ كانت البيوت فيه تبنى من الطين هشة ضيقة متلاصقة، ترتعد هي ومن فيها من مَرِّ عوامل الطبيعة بها، ريحاً كان ذلك، أو مطراً، أو هما معاً.

ماض كانت القربة فيه هي الثلاجة للماء، والبئر هي خزان الماء.

ماض كان سراج الودك فيه هو قنديل الإضاءة. يوصى به للمسجد وللطريق.

ماض لم يعرف المستشفيات، ولا الأطباء المؤهلين ولا الممرضين أو الممرضات، ولا القابلات المتعلمات المؤهلات.

ماض كانت الأوبئة فيه تفتك بالناس عندما يتأجج أوارها، وتستعر نارها، فلا وعي يخفف من غلوائها، ولا وقاية ولا علاج.

هذه نماذج مما كانت عليه الحال عند بدء توحيد المملكة على يد رجل عملاق

عبقري وفقه الله، وأخذ بيده، فجمع شمل هذه المناطق المتباعدة المتطاحنة، لم يكن بإمكان هذه البلدان المتفرقة، قبل قيامه بتوحيدها، أن تأخذ بأسباب المدنية، إذ لا مال ولا استقرار، ولا تطلعات للمستقبل، ولا طموح لتحسن الأحوال. كان الناس في شغل شاغل عن هذا وعن التفكير فيه.

أخذ الملك عبد العزيز يتغلب على أسباب الفرقة، وعلى ظواهرها، ويتخذ الخطوات لإرساء القواعد لملك تتوافر فيه مقومات المجتمع الحضري، المؤهل لأن يأخذ مكانه في الصفوف الأولى مع بقية إخوانه العرب، ثم يحتل مكانه العالمي

عَلَماً على سارية الأمم المتحضرة.

توافق هذا التحرك والسعي لبدء الإنجاز مع قيام الحرب العالميـة الثانية، فأعاق هذا، بما نشره من ظلال العسرة، التي سببتها هذه الحرب، سـرعة الخطو نحـو الانفتـاح على رياض التـقدم، خـاصة في مـجال التـعليم والصـحة، ومـقـومات الاقـتـصاد الثـابت الواعي، ولكن سـرعان مـا عاد الأمل بعـد انتهاء الحرب، واكتـشاف البترول، وبدأت خطوات التطوير تتـوالى، وبسرعـة مذهلة جـعلت مظاهر الماضي تغـيب شـمـسهـا، وتسطع شمـس الحاضر بإنجـازاته المتتـالية، خاصة ما يتصل بالتقنية الحديثة.

بتوفيق من الله، ثم بتوافر المال، والجهد الصادق والنية الحسنة، والتخطيط السليم، والسير بعقل وحكمة، أمكن أن توضع اللبنات الأولى في صرح التطور المختار. كان التركيز، في أول الأمر، على الأمن والتعليم والصحة والتنظيم الإداري، وسرعان ما بدأ مردود هذه الجهود يؤتي ثماره، فلم تعد المملكة مُفككةً، ولم تعد بمعزل، ولم تعد فقيرة بالمال ولا بالكفاءات. وبدأت الأجنحة تقوى، ثم تنهض بهذا الجسم الصحيح الفتي. وسرعان ما انطمس الماضي من الصورة الحاضرة للمجتمع، ولم يبق من الماضي

شيء إلا ما ظل محفوراً في أذهان من تركوا ذاك الزمن خلفهم أكثر مما أمامهم، وبدأت بعض الصور حتى في أذهان هؤلاء تبهت ثم تنمحي.

وجاء في ذهن كثير من جيلي تساؤل ألا يستحق ذاك الزمن أن يُسجل؟ ألا يستحق أن تُرسم صورته متكاملة إنصافاً له، حتى لا يأتي اليوم الذي ترسم فيه الصورة من الخيال، فتأتي مشوهة أو مبتورة، فيظهر ذلك العصر، وكأنه عصر همجية وبدائية، ليس له فلسفة تحكمه، ولا هدف يرمي إليه، ووجد كثيرون أن عدم الإقدام على هذا عقوق ليس لذلك العهد

وحده، وإنما إنقاص لحق المجتمع الحديث، لأن هذا قائم على ذاك، ذاك هو الأساس، وهذا هو البناء الذي قام عليه.

إن من حق الجيل الحاضر ألا يظن أنه لم يكن هناك قربة، ولم يكن الجمل أداة رئيسة للحمل والتنقل، ومن حقه ألا يظن أن الثلاجة وجدت منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وأن السيارة مثلها، وأن الطيارة كذلك. إن بعض أبناء الجيل الحاضر سوف يعرفون ذلك بالبحث والتنقيب، ولكن زمنهم، بتوالي أحداثه، وتراكم الواجبات فيه، ومطارداته للتقنية، والإنجازات الحديثة، لن يسمح لهم بذلك،

بل لعل هذا لن يخطر إلا على بال المتخصص، وما على الجيل الذي عاش ذاك الزمن، ويستطعم اليوم ذكرياته، ويتلذذ بمقارنة ذاك الماضي بهذا الحاضر، إلا أن يحاول أن ينقش على صفحة التاريخ صورة صادقة دقيقة عن ذلك الزمن، حتى يكتمل جانب حضاري من سَيْرنا الحثيث لاحتلال المكان اللائق بنا، وحتى نشعر بالرضى أننا قمنا بما نستطيع أن نقوم به، دون تردد أو تكاسل، وبإيمان عميق بهذا الواجب.

كانت فكرة رسم هذه الصورة في ذهني محدودة، بدأت نواة صغيرة، كما ذكرت

في مقدمة الجزء الأول، بدأت بمقال في صحيفة الجزيرة في ١٣ رمضان ١٣٨٨هـ وخرجت في كتاب: «من حطب الليل» عام ١٣٩٨هـ خرجت في الصحيفة قبل أن يكون لي أبناء، وكان ابني الموجه له ذلك المقال هو ابن المملكة العربية السعودية الناشئ.

رسمت في هذا المقال صورة مصغرة جداً لمظاهر محدودة، قارنت فيها الماضي بالحاضر، فقرأها معالي الأخ الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي، فاقترح أن أوسعها، فوعدت بذلك، فانتهزت فرصة أحد مهرجانات الجنادرية، فساهمت

فيه بكتاب جعلت عنوانه: «أي بني»، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلت العنوان: «أي بني وأي بنية»، لأنه في الحقيقة لا يقتصر ما فيه على مخاطبة البنين، وإنما شمل البنات أيضاً، ولو فعلت ذلك لارتفع عني بعض اللوم الذي أسمعه يهمس به حتى في بيتي، وإن كان ذلك يأتي بصيغة مداعبة، من يدري، وعبارة «سيداتي سادتي» تحوم طيورها فوق رؤوسنا ألا تقنع بناتنا بعبارة: «أي بني وأي بنية» بل يطالبن أن يكون العنوان: «أي بنية وأي بني».

لقي الجزء الأول من «أي بني» قبولاً

شجع على إدخال بعض الإضافات عليه، وسرعان ما ملأ ناقوط القربة الإناء، ففاض بجزء ثان ثم ثالث ثم رابع ثم خامس.

وهنا شعرت أني وضعت نموذجاً أمَّلت أن يقوم القادرون من الكتَّاب في مناطق المملكة المختلفة بعملٍ مثله، أو أحسن منه، حتى تكتمل جوانب الصورة، مع إقراري بأنه تبين أن هناك من سبقني إلى شيء من هذا.

بعد أن اكتملت الأجزاء الخمسة من «أي بني» وجدت أن عملي انحصر في حدود المملكة العربية السعودية، وأن الحيف تجاه الماضي لا يقتصر عليها، أو على حقبة بعينها، بل يتعداها إلى حقب

سابقة، بصدود من جميع الدول العربية إلا القليل، وأدركت أن لهـذا أسبابـاً، منها أن التراث منزو في كتب لم يكن الوصول إلى ما فيها سهلاً، إما لأنها لاتزال مخطوطات، رهينة محبس مكتبة عامة أو خاصة، أو أنها مطبـوعـة في كـتـاب رديء الـطبع، أو الإخـراج، أو سـقيم الحـرف، مما لا يغـري بقراءته، والإقبال عليه، والتمعن فيه، أو أن طريقـة تأليـفـه مملة، لـكثرة العـنعنات، وتداخل الروايات، وتعـارضـهـا، وتراكب الأفكار، وتزاحمها، أو لنفاد الطبعة، وعدم تيسر وجـود الكتاب في بعض الأقطار، أو لارتفاع سعره، أو لغير ذلك مما يكون عائقاً

عن الوصول إلى الاستفادة المرجوة. لهذا فكرت في أن أقف بعض وقتي لمتابعة بعض الأفكار المفيدة في كتب التراث، وعرضها في ثوب يكون أقرب للقبول، مع إضافة بعض الأمور الحديثة إذا كان في ذكرها مقارنة مفيدة.

ولم يكن وقتي ولا نشاطي بمستوى رغبتي وطموحي في أن يكون عندي حصيلة مجزية، إلا أن هذا النقص سُدَّ بفضل من الله ثم بفضل من الإخوان الذين استدرجوني إلى الالتزام بكتابة مقال في مجلة أو صحيفة. وكان السابق في هذا الأخ الزميل الحبيب أبا بدر حمد

ابن عبد الله القاضي، فقد استطاع أن يقيدني بقيد ناعم من حرير، وشجعني على السماح بإحكام هذا القيد أن الالتزام كان شهرياً، واستحييت منه ومن نفسي أن استسلم للعجز في هذا، ولكن الطعم كان ممتعاً، ولذته جاءت من كلمات الإخوان التي توالت مشجعة على الاستمرار، لقبولهم هذا النهج.

ثم بدأت صحيفة عكاظ تنقل المقالة، ثم طمعت في أن يكون لها مقال يخصها، وأغراني بالاستجابة -رغم ثقل الحمل- ما تطلعت إليه من مساحة أكبر في صحيفة يومية سيَّارة، فكان لها ما أرادت مني، مقالة

كل أسبوع، واستمر الأمر مدة إلى أن وجدت أن العمل الرسمي بدأ يزحف بجيوش لا قبل لمقالاتي في عكاظ بها، فتوقفت، فجمعت ما كتبت في «المجلة العربية» وفي صحيفة عكاظ في كتاب سميته: «إطلالة على التراث»، وهو اسم يدل على الهدف، وعلى العمل من أجله، وخرج منه عدة أجزاء بلغت حتى الآن ستة عشر جزءاً(١).

لن أطيل في هذا، وما جئت به هنا عن «إطلالة على التراث»، إنما جئت به -فقط- لأبين صلته بكتاب «أي بني».

---

(١) هي اليوم سبعة عشر.

أعود الآن إلى «أي بني».

أيها الإخوة:

لكل جزء من أجزاء الكتاب مقدمة تبين الأهداف والمقاصد والنهج والأسلوب، وكان كافياً أن تقرأ هذه المقدمات، ففيها من الأنوار الكاشفة ما يعطي فكرة متكاملة إلا أني رأيت أن ألقي الضوء على بعض ملامح من الكتاب في هذه الامسية لمن لم يقرأه، أو قرأه منذ فترة طويلة، وذاكرته مثل ذاكرتي، لم يعد الوفاء صفتها، ولأني أيضاً أردت أن يساهم التذكير ببعض المظاهر المهمة على بلورة الأسئلة والاستفسار إن وجد.

كتاب: «أي بني» قامت أعمدته، كما ذكرت في مقدمة الجزء الأول على غرار حديث المجالس، ومن الوفاء لهذا الاختيار أن يكون الحديث عن الكتاب هذه الليلة أيضاً على نمط حديث المجالس، ولهذا سوف أبتعد عن أسلوب المحاضرات التي تسير على خطة متدرجة، تؤدي فكرة منها إلى أخرى، حسب منطق معلن.

وأجد أن هذا النهج الذي اخترته أقرب إلى إعطاء فكرة صادقة عن الكتاب، خاصة وأن وقت الحديث محدود، والوقت الأوفى هو لما سوف يأتي من أسئلة.

«جملة» «أي بني» توحي بأن هناك

حديثاً وديّاً آت من أب لابنه، وأمامهما أهداف يريدان أن يصلا إليها، ونهج يريد الأب أن يسلكه، وخطة يريد أن يسير عليها، وأسلوب يريد أن يكون أداته لنقل الفكرة لابنه، وأن تكون هذه الأداة مقبولة ونافعة.

ومراعاة للوقت، سوف أختار ملامح من الأهداف والمنهج والأسلوب، مع رسم بعض الصور متدرجاً مع الأجزاء جزءاً جزءاً، ما أمكن.

لقد رُسمت صورٌ مختلفة لما كان عليه الآباء في طلب الرزق من كد وكدح، مما جعل بنيان الصرح قوياً وأسسه ثابتة، مما

يستوجب من الجيل الحاضر أن يزيد البناء بما يليق بهذا الزمن، وما فيه من علم وتقنية، إذ إن التاريخ لا يرحم في حكمه على الأجيال المتتابعة.

والنهج الذي اخترته لهذا الكتاب، لتحقيق الفائدة المرجوة، أن يكون على أسلوب حديث المجالس، تأتي الفكرة فيه عفواً، مع عدم الإطالة ما أمكن حتى لا يمل القارئ، وإبعاد الملل هدف مهم من بين الأهداف، ومن وسائل ذلك، الانتقال من الجد إلى الهزل، ومن الهزل إلى الجد، ومن النثر إلى الشعر، ومن الشعر إلى النثر، ومن الإرشاد إلى الطرائف والغرائب.

وحاولت أن أحيي كلمة «الإحماض»، وما تعنيه ومراميها، وساعد على كل ذلك الاستطراد وهو محمود في حديث المجالس، وهذه المحمدة انصبت على ما أُتبِع في هذا الكتاب. وهيكل الخطة في بعض نواحي الكتاب هي أن آتي بالمعلومات التي أريد للابن أن يعرفها، وأن يخزنها ويستفيد منها، ثم أتبعها بقصة أو طريفة،أو لغز، وأحيانا أخالف بين ذلك، فأبدأ بالقصة والطرائف، والألغاز، ثم أبني عليها ماأريد أن أصبه في ذهن الابن من معلومات، حتى لاتكون الرتابة في المنهج مدعاة للكسل العقلي.

وحــــاولت وصل الأفكــــار الجـديـــدة بالقديمـة حتى لا تكون الصورة دون أصل، أو مبتورة، فالقصة الحديثة قد يكون فيها ما يصلها بقصة قـديمة، تكون أصلاً لها، وفي هذا تدريب للابـن على السيـر في جـواد الربط بين الحديث والقديم .

ومن الأهداف التي سعيت إليها، والنهج الذي اتبعته أن استقصي حياة الناس اليومية: رجــالاً ونســـاءً وأطفـــالاً، بنـين وبنات، لأضمـن حداً من الاسـتقصـاء، مع مقـارنةً تلك الحيـاة في المجالات التي لمسـتها بحـياة الناس اليـــوم، فــمـثـــلاً تطرقـت إلى الماء والحطب، والمطبخ، وما يُـطبخ، وإلى وسائل

النقل والحمل، فتحدثت عن الجمال و الخيل والحمير، والسيارات، وغسل الملابس، والطرق والجواد والأزقة، والأكل وأوانيه وأنواعه. وتحدثت عن النوم وأماكنه ووسائله، وعن الأبقار و الحليب واللبن، والأمراض والأدوية، والإضاءة ووسائلها، والمساكن وأنواعها، وحالات الأمن.

ويدخل تحت كل باب من هذه الأبواب ما ليس فيه، بل أحيانا ما لا يخطر على البال أن يكون فيه، وذلك نتيجة الاستطراد، والجري وراء الفائدة، واقتناصها بصيد كلمة تجر إلى قصة طريفة، أو مفيدة لما فيها من عظة، مثل

قـصة مـسلمـة مع الشـعـراء عندمـا قـتـل يـزيـد بن المهلب. وكان كل من حضر ذكر يزيد بسوء إلا شاعراً حفظ له جميله عليه، فمدحه شكـراً، وامتناناً لما فعله، فنال بذلك إعجاب مسلمة.

هذه القصة جاءت استطراداً عندما أريد الحث على الشكر، وما فيه من إشعاع.

وقد حرصت أن أختم كل فـصل بتذكير الابن أن يحـمـــد الله على النعـم التي يرفل فيها اليوم، وحرصت كذلك أن استقصي ما قـيل في الحـمد والشكر مما جـاء في القـرآن الكريم، أو في السنة المحـمـدية، أو ما جـاء حكمـة، أو مثـلاً، نثـراً أو شعـراً، أو قصـة،

عربياً كان ذلك أو مترجماً، وحرصت ما أمكن ألاّ أعيد في فصل لاحق ما قلته عن الشكر في نهاية فصل سابق، أملاً في أن تزيد حصيلة الابن من هذه الدرر، وسعياً وراء التشويق، وإبرازاً لهذا الجانب من الحضارة الإسلامية، واختتام الفصول بالحمد والشكر سمة من السمات الرئيسة للكتاب.

والقصص المقتبسة في هذا الكتاب تمحص بحيث لا يأتي منها إلا النافع، لهذا تفاديت بعض القصص رغم جاذبيتها، وهي ما كان يدور في مجتمع الآباء والأمهات، مما كان مجتمعهم يقبله، ويأباه مجتمعنا، لأن زمننا أكثر حذراً، لأن ما

يقال في المجالس الضيقة غير ما يطبع عاماً في كتاب ينداح في المجتمع بين الرجال والنساء كباراً ومراهقين.

ولأن الاستطراد سمة أساس من سمات هذا الكتاب، ولأني لم آت إلا بمثل واحد هو موقف مسلمة من الشعراء بعد مقتل يزيد بن المهلب، يحسن -كما أعتقد- أن أعطي مثلاً آخر، مما جاء تحت عنوان المطبخ والطبخ، فذكرت قصة تحايلنا ونحن تلاميذ في المرحلة التحضيرية، في عدم الاشتراك في لعب الكرة، وجاء الاستطراد من مخرج ضيق، وهو ملاحظتي أن ابني وأنا أتحدث عن المطبخ والطبخ كان لا يستمع

إليّ لانشغاله بمشاهدة لعب الكرة الذي طار بلبه، وأخذ عليه كل وقته.

ومن الأمثلة الشاطحة التي جرّ إليها الاستطراد ما جاء تحت عنوان «الجمل والسيارة»، وقد استدرج القارئ إلى قصص نعيمان الفكهة.

ومن الصور التي وقفت عندها المقارنة بين الماضي والحاضر، وتماثل الزمن في الماضي بين عهد الجد والوالد والولد، وبطء التغيير، إن وجد، بين هذه العهود الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة، خلافاً للتغيير السريع في الوقت الحاضر، حيث إن هناك سلسلة من التطور المذهل في جيل واحد،

يصبح أول الحقبة بدائياً إذا ما قورن بما جاء في آخرها.

من الأهداف الرئيسة أيضاً لهذا الكتاب أن آخذ بيد الابن في مدارج العلم التي على الهامش، ولكنها من الأهمية بحيث تنافس المتن، ومن ذلك طرق البحث، وعناصرها الأولى المخطوطات والوثائق والكتب، فدللته على مظانها بتبيان المراجع التي رجعت إليها، والمصادر التي استقيت منها، لعله يغرف من أصل النبع الذي غرفت منه، ويخرج بأكثر مما خرجت.

الفهارس والمراجع مما يجب أن يعوَّد المبتدئ على خباياها وزواياها، وطرق

الإفادة منهـا، والاستفادة، فـلا أقل من ذكر المرجع وعضيـده، إن وجد ، واسم المؤلف، والناشـر، والمكتبـة التي هو فيـها، إن كـان مخطوطاً. ومع هذا فـقد حاولت ألاّ أكـثر من المراجع، فـالشاهد الـذي استـقيـته قـد يكون ورد في خمسة مراجع أو أكثر، ومع هذا تجـدني اكتـفـيت بمرجع أو مرجـعين، تكون أكثر توثيقاً، وأقرب للتناول.

وقد اهتمـمت بأمور جانبيـة، قد لا يأبه لها غيـري، فقد اهتمـمت بالإخراج، حتى تكون الصفحة باسمةً، وجاذبة، فالورق من النوع الجيد، والحرف كبير، والسطر كلماته في حدود ثمان كلمات.

ما مرَّ حتى الآن هو ما أوحى به ما جاء في الجزء الأول من «أي بني». وبعد خروج هذا الجزء وجد القراء، ووجدت معهم، أن هناك من المواضيع، التي لم يتطرق إليها ما يحتاج إلى أن يتحدث عنه في جزء ثان، فكان من تلك المواضيع الرئيسة: الأعياد، الجراد، والخيل، والصحراء، والقرى، والمدن، والزراعة، والنخلة.

واستُفيد من الأجزاء اللاحقة في استيعاب باقي أهداف الكتاب، ومن ذلك ما حرصت على تكراره لأهميته، وهو لفت النظر إلى أنه ليست كل قصة رويت

عن الماضي أو في الحاضر حقيقةً، وأنها وقعت كما قصها القاص، ونبهت إلى أن بعضها مؤلف، ومنتحل، وتتبعت تدريجاً أسباب الانتحال، وحاولت أن يكون لدى الفتى ملكة يستطيع بها أن يميز بين الصحيح والمنتحل، والمنتحل هذا متخيل، وفيه فائدة لأنه يكشف ما يدور في ذهن أبناء ذلك المجتمع، مما كان معقولاً عندهم ومقبولاً.

ومن الأهداف التي راعاها الكتاب الحرص، ما أمكن، على عدم تكرار المعلومات أو القصص دون داع، ومحاولة حصرها في مكان واحد، ولضمان ذلك

اخـترت عناوين رئيـسـة، أضع داخلها مـا أحيط به مـشاهدة أو رواية، مـا كان قـائماً في زمن الآباء مما تفـيد معـرفتـه ابن اليوم، مثل عنوان: «مـا تنبت الأرض» (ج٢ ط٢، ١٣١) جاءت تحـته الفواكه والخـضراوات والحبـوب، وما كان جـارياً حيـال كل مادة منهـا، سـواءً كـان الحـديث عن المُزارع أو المستهلك، وهذا جـرَّ مثلاً إلى الحديث عن طبيعة الأرض، فلمس جغرافيتها، وأهلها، وعـاداتهـم. وهذا جـرَّ اسـتطراداً، وطـلبـاً للاستـراحة والإحماض إلى ذكر قـصة من العـصـر العبـاسي، عن الأرض والزراعـة، فيها طرافـة، وهي بين الخليفة المنصور وأبي

دلامـة، وهذا الاستطراد، دفعـاً للملل، لم يقف عند قـصة واحدة لهـا صلة بالعنوان، وإنما تعـدى إلى مـا ليس لـه صلة به حتى أخذ من الصـفـحات من: ١٤٣-١٥٥، واحـتـوى على سـتـة وثلاثين مـوضـوعـاً فـرعـيـاً، فمـن قصـة عثمـان بن رواح، ورفيـقه في السـفر، وكسل هـذا الصديق، إلى عـودة قصـيرة إلى أصل الموضـوع، ثم خـروج منه إلى أنثى الزنبـور وكسلهـا، ثم طرح ألغـاز (طاس طاس ١٤٧) (وأربعـة مع أربعة) ثم عود إلى الفـاكهة، ثم خروج إلى قصص النفس (الشمس والقرص لدى الجـائع) ثم قـصـة عن الخليـفـة الراشـد

علـــي بـن أبي طالــب -رضي الـله عـنه- (ج٢ ١٥٢) ثم قصة أعـرابية تنصح أبناءها (١٥٣) ثم قـصـة عن عـمـرو بن العـاص والأمة التي تحمل طبـقاً مغطى (١٥٤)، ثم حديـث قصيـر عن الخضـراوات، أدى إلى خروج إلى قصة جحا والسمكة التي ادعى أنها أكلـت أباه (٥٩)، ثم وقفة لغـوية، ثم وقـفة مـقارنة بين تقـديم الأكلِ في الماضي وتقديمه في الحاضـر، ثم رأي للشافعي عن غـسل اليد قـبل الطعام وبعـده (١٦٥) ثم قفزة عـالية إلى شمال المملكة حيث يختـبر أب البنت شجاعة خـاطب ابنته، ثم يصرخ العنوان الرئيس محتجاً على نسـيانه، فيعاد

الحديث عن بعض جوانب الفاكهة والخضر، ثم يأتي عامل مُغر، فيبدأ حديث عن اللغة، ويُختار جانبٌ قد يكون بعيداً عن متناول ابن اليوم، ويُثار ما قيل عن القطاة واللطاة (٢/ ١٧٤)، والحوّ واللّوّ، والقبيل والدبير، والزفيان والرقبان (٢/ ١٧٥).

ثم استراحة مع أحد الطفيليين، ومع أشعب، ثم يجد الحديث عن الآية الكريمة التي تمثل بها أشعب مبرراً تطفله، وهذه

القطاة: مقعد الردف من الدابة.

اللطاة: دائرة في الجبهة.

الجو واللّوّ لا يفرق بالكلام بين ما يفهم ومالا يفهم.

الزفيان السعدي: شاعر إسلامي.

الرقبان: شاعر جاهلي.

القصـة تسلمنا إلى قصـة أخـرى بطلهـا مـسؤول عـن الجمـرك في زمن مـضى في إحـدى مـدن المملكة، وتختـتم هذه الاسـتراحـات مع الأعـمش، قـبل أن تأتي إلى مسك الختام في هذا الباب، وهو شكر الله -سبحانه وتعالى- على نعمه.

وكلمة الإحماض يبـعد زمنها عن زمننا فحـاولت أن أعيـد صورتهـا إلى الأذهان، وأُكـثر من تكرار الحـديث عنها، حـتى أني خشـيت أن يظن القارئ أن تكراري لذلك سـببـه شـعـوري بالـذنب من الاسـتطراد وكثرته.

هذه أبرز معـالم الجزء الثـاني، وللجزء

الثالث معالم يشترك فيها مع ما سبق من أجزاء، وينفرد بأخرى، لعل أهم ما يشارك فيه الأسس التي بني عليها «أي بني» في الأساس، أما التي انفرد بها فهي نصوص جديدة مفيدة، برزت عندما حرصت أن أستفيد مما يمر بي قراءة أو حديثاً، أُدوِّنه ليكون مادة لجزء قائم بذاته.

والقصص في هذا الجزء زادت لما تبين لي حب القارئ لذلك، وإقباله عليه، ومطالبته بالمزيد منه ومن ملامح الأسلوب الذي اتبعته الحرص على الترادف في الكلمات والجمل، إما لأن الكلمة الأولى موغلة في الفصاحة أو الوحشة، والثانية

تساعد على فهمها وخزنها، أو لأن الأولى دارجة على ألسنة الناس والمرادف جيء به ليزيد في فصيح القارئ، وأحياناً الكلمة عامية والمرادف فصيح، وأحياناً يكون المرادف هو العامي، لأن فيه صورة ثمينة.

ومن أمثلة الترادف في الجمل والكلمات ما ورد في ص د ج٣ عن المهابيل: «فقد كانت (صورتهم) كلفاً يشوه وجه صفحة (المجتمع)، وندبة تخدش عزته».

ومن ملامح الجزء الثالث أن الإنجازات الحديثة سيطرت على أغلبه، فالتعليم أخذ حقه وافياً، والصحة نالت نصيب الأسد،

وركز فيه كذلك على بناء الطرق، شريان الحياة الحديثة، وعلى الجسور، والمطارات والموانئ والأنفاق، وغيرها مما هو معلم يدل على إنجاز حديث، اقتضاه السير الحضاري الحديث، وموجبات التنمية.

من ميزات هذا الجزء الواضحة -نتيجة التجربة في الأجزاء السابقة- أن الطريقة العفوية التي أُتبعت فيه جعلت العناوين الرئيسة لا تزيد على ثلاثة، ولكن هذا لم يكن على حساب العناوين الفرعية، فهذه احتفظت بالنهج السابق في الاستطراد والتشويق لطرد الملل.

(في مقدمة هذا الجزء تفصيل كامل

لهذا الجانب ص ك) وفي هذا الجزء كذلك عودة إلى أحد الأغراض الرئيسة من تأليف الكتاب، وهي وجوب فحص النصوص عقلاً، وأن لا تُخدِّرنا طرائفها عن نقدها، ووجوب إعطاء العاطفة غفوة لبعض الوقت، ليأخذ العقل حقه.

ويأتي في ظل هذا، التنبيه إلى الكلمات الخاطئة، في بعض الكتابات الحديثة، ووجوب عدم التهاون بها، ونص على بعض ما دخل اللغة العربية منها متسللاً، وكيف حدث هذا. وهذا الأمر جرَّ استطراداً إلى الأصول الصحيحة للجدل في الحديث، والحوار فيه، والنقاش بين

اثنين أو أكثر، وكررت ذلك ليكون طرقاً متتالياً على الباب فيفتحه.

والاستطراد، كالمعتاد، يجر إلى ما لم يكن في المخطط، فمثلاً في هذا الجزء ركزت على بعض مظاهر الإسلام، مما قد يدهش غير المسلم أن تكون حضارة الإسلام قد شملت ما شملت، مثل العناية بالأطفال، والرفق بالحيوان، ورعاية المرضع، ومالها من حقوق، والبر بالوالدين، وكبار السن والضعفاء، والالتفاتة الكاملة لصلة الرحم، والحنو على اليتيم، والفقير، وحفظ الجوار، والاعتراف بالمعروف، ورد الجميل.

والألغاز في اللغة العـربية، وفي المجتمع العـــربي، مظهـر مــن مظاهر الفكر، ولـهـا حضن دافئ في اللغة العربية، ولدى أهلها، لهذا زدت من عدد الألغاز فـي هذا الجزء تنشيطاً للذهن، وإبعاداً للخمول، ولم يأت الأمـر فـيهـا سـرداً، وإنما جـاء مع دراسـة لائقـة، تلقي ضـوءاً على مـا يدور في فكر الملغز، ومتلقي اللغز، والمناحي الذهنية التي يدور في فلكها الـلغز، وتقليب صفـحات الحيـــرة التي يقع فـيـــها مـتلقي الـلغـز. (٣/ ١٢٥) (وفي المقدمة ص: ر،س)

قبل أن أترك هذا الجـزء (الثالث) أشـير إلى بعض مـــا تميـز، من إدخـال مــصــادر

جديدة متنوعة لإثراء مكتبة القارئ، وقد أمكن من ذلك ما مر من وقت بين إخراج الجزء الثاني والثالث، فكان ذلك نتيجة القراءة في هذه المدة. واحتفظ هذا الجزء مثل غيره بلازمة الختام المنير لكل فصل بالشكر لله على ما أنعم.

أما الجزء الرابع فجاء بعد التجربة في الأجزاء السابقة، وبعد التطرق لأكثر ما أردت أن أتطرق له، مما تذكرته، ولكنْ هناك أمور لم تنل نصيبها من المعالجة، وقد نبه إليها الاستشهاد بين آن وآخر بالأمثال، فوجدت أن من المفيد أن أدخل هذا العنصر الجديد في الخطة، وفي إطاره

أجمع شتات ما لم أتحدث عنه، أو مالم يخطر على بالي عند كتابة الأجزاء السابقة، إما لبعده عن العناوين التي اخترتها، أو أن الاستطراد لم يوصل إليه.

ومعالجة الأمثال كشف لجوانب فكر الأمة في ذلك الزمن، ولمسارب الأذهان. والأمثال غنية بالصور الحية عن ذلك الزمن وأهله، ومحيطهم، وتعطي فكرة ماتعة أحياناً عن رحلة المثل من عهد الجاهلية وما بعده إلى زمننا هذا، وعن التغيير الذي طرأ عليه، حتى أصبح بالصورة العامية التي هو عليها، إن كان عامياً. هذا إذا كان بينه وبين سابق له صلة، إلا أن هذا ليس لازماً، فقد

يكون المثل مبتدعاً، ومن إيحاء البيئة والحياة فيها، مثل الأمثال الزراعية.

وعلى العموم الأمثال صورة صادقة لكل جانب من جوانب المجتمع الذي لمسته، جانب المدينة والقرية، والزراعة والتجارة، أو صورة لما عليه الرئيس والمرؤوس، والحاكم والمحكوم، ويمكن للمتمعن في المثل أن يغوص على ما يدور في أذهان الناس من أمانٍ وطموح وقناعة، وعلى نظرتهم إلى ظواهر الكون والحياة، وما يطرأ على محيطهم من جدب وخصب، وسلم وحرب، وفقر وغنى، وغير ذلك من أوجه الحياة.

ومن صفات الأمثال وأهميتها أنها تعبير مختصر مركـز، ويمثل صورة معبرة كاملة، وهذا يعطي المثل القدرة عـلى التسلسل من جـيل إلـى جيل دون أن تفـقـد الصـورة ملامحها أو مراقيها.

ولعل من المـناسب أن أقـرأ عليـكم مـا قلته في ص٧ من هذا الجزء الرابع:

«الأمثال مظهر جمال لغوي، وهي وعاء وحكمـة، وهي قمـة اخـتصـار الأفكار في كلمات مـعدودة، لمعـان لا تحدّ، وهي صلة لغوية بين القـرون، وسجل يرثه اللاحـقون عن السابـقين، وديوانٌ لصورة حيـاة الناس في كل جوانبها».

وسيلحظ في هذا الجزء أن الاستطراد أخذ حقه وافياً، لطبيعة الأمثال وترابطها وتداعيها.

وقبل أن أودع هذا الجزء أود أن أشيد بعمل أستاذي عبد الكريم الجهيمان في جمع أمثال كانت عوناً لي -بعد الله- في بدء المثل، أو الاستطراد في حقله، ومع الأستاذ عبد الكريم آخرون أشرت إلى كتبهم أثناء الحديث عن المثل. ولو تأخر هذا الجزء لاستفدت من مؤلفات في الأمثال توالى صدورها فيما بعد وهي صورة مشرفة في هذا الجانب الفكري المتميز.

أما الجزء الخامس فجاء حاملاً الرسالة

نفسها التي حملتها الأجزاء الأربعة السابقة، محتفظاً بالفكرة والخطة والمنهج والأسلوب، وفيه تأكيد على ما حمد فيها، مما تبين قبوله لدى القارئ.

ومن ميزة هذا الجزء أنه استفيد فيه من التجربة التي اكتسبت من الأجزاء السابقة.

وعموماً هذا الجزء احتوى على ثلاثة ملامح:

الأول: الصور التي كانت سائدة قبل نصف قرن أو أكثر قليلاً، ثم اختفت أو بهتت، أو تطورت إلى ما يتماشى مع العصر، يعرفها أبناء الجيل الماضي، وما بقي منها من رسوم دوارس يسهل تعريف

هذا الجيل بها، (ص:١٠)

الثاني: رُكِّزَ في هذا الجزء على القضاء، ورغم أن النية كانت في الأصل التركيز على القضاء في الماضي، إلا أن القلم وجد روضاً خصباً عن القضاء في عصرنا هذا، وما أدخل عليه من تنظيم لا تزال الجهود الخيرة من القائمين عليه تتلمس جوانب تعضيده، وإكمال جوانبه بما يفي بمتطلبات المملكة في سيرها الحالي.

الثالث: قفز هذا الجزء قفزة واسعة مفاجئة، فجاء الحديث فيه عن الشاهي والقهوة، ولو لم تكتمل صفحات الجزء الثالث لكان مكانها هناك.

هذه ملامح ومعالم عن «كتاب» «أي بني» تعطي فكرة مختصرة وسريعة عنه، ولكنها لا تقف ممثلة لكل ما في الكتاب من معالم لبدت في زوايا منه لا يحيط بها إلا من قرأ الكتاب بتؤدة وتمعن.

هذا أيضاً ما سمح به الوقت في هذه الليلة. أرجو أن أكون قد وفقت لرسم صورة صادقة لبعض جوانب الكتاب.

في كتابي: «أي بني» سمة واضحة في ختام كل فصل من فصول الكتاب في أجزائه الخمسة، وهي الحرص على الاعتراف بالجميل لأهله، والشكر الوافي لذوي الفضل، لذا لعل من الحق،

والبدهي، والإقرار المتناهي بالفضل في ختام هذا الحديث، أن أسدي جميل الشكر وجليله للإخوة الكرام أبناء الشيخ عبدالرحمن الثنيان، أصحاب مكتبة العبيكان، على ما قاموا به من جهود متفانية مقدرة، وما أبدوه من نشاط مشاهد ملحوظ في سبيل جعل هذا البرنامج من أول كلمة ألقيت فيه إلى كلمتي هذه بمستوى هذا الحدث الذي تحمل الرياض، في هذا العام رايته. وأشهد أن جهدهم بلغ المدى، وعملهم أصاب الهدف، وأجزل فيه، فجزاهم الله خيراً، وقبل منهم عملهم المجيد هذا، ووفقهم دائماً لخدمة الثقافة

مصدر الخـير الفكري، والسعـادة الروحية، وجـعـل عـملهم في الـكتب والمكتــبـات مـزدهراً، فـفي ازدهـاره مـردود خـيـر لهم ولكل قـارئ يدعـو الله أن يبـقى الكتـاب مزدهراً، وقراؤه كُثر إنه جواد كريم.

(٢) أشعة البيان في رباعيات المشعان[١]

محمد بن سعد المشعان -أنزل الله عليه شآبيب رحمته، وأفسح له في جنته، وجعله في عليين مع الشهداء والصديقين، آمين..آمين..آمين.. فالرجل كان براً فيما يقول وفيما يفعل، لم يكن يأتي منه إلا الخير، ولم يكن يسعى إلا إلى الخير، حتى في عمله، في وزارة المعارف، اختار أن يكون في التعليم الخاص، يرعى أمور فئة عاجزة، هي في حاجة إلى رعاية هاوٍ للرعاية، وليس موظفا مكلفاً، عليه أنَّ

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة يوم السبت ٢٨/ ٤/ ١٤٢٢هـ الموافق: ١٤/ ٦/ ٢٠٠١م، العدد: ١٠٥١٦ .

يؤدي عمله كما يؤدي أي مكلف.

أهداني دواوينه الأربعة بنفسه، وسمع مني رأيي في كل واحد منها، ولم يكن لي رأي فيها إلا الإعجاب والتقدير، والحث على السير في النهج القويم الذي خطه لنفسه، وثابر عليه، واختاره عن إيمان وقوة عقيدة، كل ما مرَّ في ذهني محمد بن سعد وقف أمام ناظري وجهه الباسم، وملامحه الرزينة، واستعدت الطمأنينة التي تسيطر على جوانحه، وكأنه يتدثر بأردية الفضيلة.

واليوم في يدي ديوانه الأخير: «رباعيات المشعان» وهي رباعيات كان يكتبها تباعاً في صحيفة «الرياض»، وكنا نتلقفها بلهفة، لما

تمتاز به من إبداع في الفكرة، وسلاسة في الأسلوب، بوزن راقص، وقواف طبعية مبهجة. رغم أنه كان ملتزماً بمواعيد خروج هذه الرباعيات، إلا أنها سلمت من آفة الالتزام، فجاءت كل واحدة وكأنها ابنة حمل سنة، فيها من النضج مما يجعل فكرتها تُلتهم لحسن سبكها في أربعة أبيات، ولم ينقص من جودتها، بجانب الالتزام، أنها حددت بأربعة أبيات، وهو أمر لا يدركه إلا من له صلة، بسبك الحكم، ومعرفة مجرى الشعر وزناً وقافية. وأشعر أن كل رباعية سهلة الحفظ خاصة للناشئين، لما فيها من موسيقى، وترابط بين العبارات

والأبيات، لا حشـو ولا نقص، ولا وحشي فـيهـا ولا سوقي؛ نبل في القـول، ونبل في الهـدف، ونـبل في المنحى، وأنت تـقـرؤها تمشي فكرتها مع آية من القـرآن، أو قول من أحاديث المصطفى -عليه السلام- أو حكمة متعـارف عليها، فأنت محـاط بالفضائل من المعنى، ولباسـه الفضفاض، ورونقـه الباهر. وكل رباعية هي شاهد على ما أقول.

هذه الرباعيـات مرآة صادقة لأحـاسيس الناس في تلـك الحـقـبـة من سِيـرنا، ترى مـجـالات الأفـراح، وظلـمَـات الكدر والحزن، تنزل الناس، مثل العُصُم، من قمم الجبال إلى سهول الحقيقة، وتريهم واقعهم،

وما هم فيه مما يجب أن يُحمد الله عليه، أو ما يجب أن يأخذ الله بيدهم لبعدهم عنه، يشيد بالنعم والفضائل، ويستحلب التفكير في البعد عما يشين مما يخدش الدين والوطنية والمروءة والشرف والشهامة، وساطع الخلق.

كل لفظة في أبياته، وكل بيت في قصيدته، تذكرك بالخير، وتغريك بالأخذ منه، وبالمزيد مما فيه من نعم، أو تنبهك إلى رذيلة تدب على وجه الأرض لتخدش أديم حياتك الصافي، أو تحت الأرض، مستترة بستار غشاش ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب.

لم أفكر في أمـر هـو مـحط الأنظار في تلك الأيام، مما يحـمـده الناس أو يذمـونه، إلا مشرط قد «بذحه»، و«شرطه»، وأبان ما يختبئ تحت أديمه من نفع أو ضـرر، خير أو شر، صلاح أو فـساد، جميل أو قـبيح، قوة أو ضـعف، بيده اليـمنى يمسـد على شعـر الطيب، وبيده اليسرى يخنق رقـبة الخبيث، ويبني بيـده صروح الإضـاءة، وبيده يهـدم كتل القتامـة. لمس كل أمر يرى أنه يستحق في مـجـتـمـعه أن يُـلمس، وكـأنه مكلف بمعـالجة الأدواء، وزراعـة أعشـاب الأدوية من السـقم الفكري، ومـا يجرح العـقيـدة، ويخدش الإيمان، ويلحق السوء بالأفراد أو

الجماعات، أو يشوه صفحة خد المجتمع الذي يجب أن يضيء بالإسلام.

جولة سريعة في رباعياته تريك صدق ما ذكرت، وطوبى له ولمن هو مثله يرقد في قبره، وقد ترك تراثاً مقروءاً يسطع بنور الإيمان، وشعاع الحكمة، وبريق الفضائل، ونرجو أن يكون توفيق الله له في نهج هذا الطريق المرضي، دليل رضى، متوجاً بالقبول، مختوماً بالأجر والثواب.

وأول أبيات هذا الديوان البهيج يتكلم عن «السعي»، وفيه نصيحة ثمينة عن الكسب الحلال، واستيحاء لآية في القرآن هي: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً

فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك ١٥).

يقول في مطلع الرباعية:

سِر في مناكب هذه الأرض
بالطول أحياناً وبالعرض

ويحث في بقية الأبيات على طلب الرزق، والتوسع في ذلك، وعدم التراخي، ولكنه يحذر من المال إذا لم يكن الطريق إليه سليماً، لأنه يجر إلى المفسدة، ويحث على الأخذ من زخرف الدنيا في الحدود التي أحلها الله، ويأتي ذلك بأسلوب سلس، وتعبير جزل، يليق بمعنى مأخوذ من القرآن الكريم. وهذه التفاتة منه إلى ما كان يلاحظه

من حـــرص بعض الناس عـلى الإثراء ولو عن طريق الحـــرام. فـهـــو إذاً يعـالـج أمـراً اجتماعياً عاصره، وخاف على مواطنيه منه.

ويخرج إلى محيط أوسع، محيط يلمس العـقـيـدة، وهو مـا شـــاع من فكر عن أن الإنـســان أصله قـرد، وأنـه ترقى مع مـرور الزمن، حـتى اسـتـوى خلقـه إنسـانـاً، وأنه أسـاسـاً قـام على نظرية النشوء والارتقـاء، وهي نـظرية لقـــيت قـــبـــولاً في بـعـض المجتمـعات الملحدة، محمـد بن سعد يدلي بدلوه في دحض الـفكرة، وتبـيـان سـخف «دارون» صـاحـب النظـرية، ومـا جـاء بـه، وقلة عقل من قبل هذا.

ويبدأ الرباعية بقوله:

نشوء، فـارتقاء، فـانتكاس
وأقـوال على وهـم تقـاس

ويلفت نظر النـاس إلى أن الله في غنى عن الناس، وأن الـناس مـحـتـاجـون إلى ربهم، وإلى نعمه -عـز وجل- وأن عليهم أن يشـكروا اللـه على نـعــمـــه ومنـنه، ويستوحي لذلك آية كريمة من القرآن تؤكد أن الشكر يزيد النعم:

فالله قال: «لئن شكرتم» فاشكروا
تجـدوا الكثيـر، وتنسوا الإقـلالا

والآية قوله تعالى:

﴿وإذ تـأذن ربـكـم لـئـن شـكـرتم

لأزيدنكم﴾ (إبراهيم٧) وهو بهذا ينظم في سلك شعره بعض قواعد الإسلام، الموضحة في القرآن الكريم، ويبرزها في شعره بالطريقة التي تثبتها في الأذهان، أذهان العامة، لابسة ثوب الشعر.

ويمجد الله -سبحانه وتعالى- في عبودية الناس له، ويقارن بين فضله على عباده، والعزة والمجد اللذين ينالونهما منه، والذلة والتدني في الخضوع لغيره من البشر، فالله يعطي الجزيل، والمخلوق لا يعطي، وإن أعطى فبمنّة وإخضاع:

عبودية الإنسان، إما لخالق

إذا ما أردت الرشد يمنحك الرشدا

ويقارن ذلك بالمخلوق:

وإمـا لمخلوق إذا مـا سـألتـه

من العيش قطميراً تجاهل أو صدا

والصـــورة الكاملـة هي في الأبيـــات الأربعة.

ويسـتوحـي قوله تعـالى: ﴿وإن تعـدوا نعمة الله لا تحصـوها﴾ (النحل١٨) فيؤكد أن نعم الله في كل شـاردة وواردة، أحيـاناً ظاهرة، وأحـيـاناً خفـيـة، ويضـرب بالنوم مثلاً، ويختم الأبيات الأربعة بهذا البيت:

«وإن تعدوا» أراها خير مقنعة

بأن من أوجد الأرواح يغنيها

ويساهم في إزالة شبهة من يشكك في الإسراء والمعراج، وهو أمر أكده القرآن، والمسلم لابد أن يؤمن به، وبقدرة الله في حدوثه، وإلا نقص إيمانه أو تلاشى، ويأتي بحجة في صحة حدوث الإسراء في آخر بيتين في الرباعية المعنونة: «الإسراء» فيقول:

هل قال «ذو الإسراء» إني مزمع
سفراً سيوصلني إلى العلياء؟
أم قال: إن الله قد أسرى به
فالفعل فعل الله دون مراء

ولعله بهذا يخاطب المسلمين الذين قد يشككون في حدوث الإسراء، نتيجة قصر في تصور العقل عندهم، فيقول لهم:

إن كنتم أحياناً تشككون في بعض الأمور الدينيـة لأنها جـاءت في الحـديث رواية عن الرسـول، مما قـد تثـيرون تجـاهها ضـعف الحـديـث، أو ضـعف بعـض رواته، أو أنه مـختلق، فـإن الإسـراء جاء في القـرآن الذي ﴿لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلـفه تنزيل من حكيـم حمـيـد﴾. (فـصلت: ٤٢) وعلى هذا فالمسلم لا بد أن يُسلِّم.

والإنسان جـعله الله خليـفة في الأرض يعـمـرهـا بالحق والعـدل، يعـمـل العـمل الحـسن في الـظاهر، ويبطن النيـة الحـسنة وطاعة الله في البـاطن، وكل من هاتين لها ثوابها عند الله.

والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا، والله تكفل برزق من طلب الرزق بطرق الحلال، وكرر الله سبحانه وعده بالرزق لعبده في عدة آيات، والجملة التي جاءت في بيت الشاعر في رباعيته المعنونة: «العمل والبناء»، هي الله «يرزق من يشاء»:

واعمل وقد أيقنت أن

الله «يرزق من يشاء»

جاءت في الآيات والسور الآتية بهذا اللفظ تماماً:

﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (البقرة:٢١٢).

﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (آل عمران: ٣٧).

﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (النور: ٣٨).

﴿يرزق من يشاء﴾ (الشورى: ١٩).

وما عند الناس ينفد وما عند الله باق، فليطمئن عبد الله إلى ما عند الله من خير، فلا يحزن، فمعاشه مقدر في اللوح المحفوظ، قدّره خالق الكون القادر، وعلى المرء أن يعطي في الدنيا مما أعطاه الله ليضمن عطاء الله في الآخرة. وهذا ينطوي تحت رباعيته: «ما عند الله خير».

ورباعيته: «المال مال الله» تدور حول

الدنيا وقصرها، والمال وتركه بعد الممات، وبقاؤه في هذه الدنيا اختبار له.

ويبدو أن فكرة عطاء الله في ذهنه دائماً، فهو يكرر أن عطاء الله ليس فيه منّ، بخلاف عطاء العبد، فالخضوع لله وقبول عطائه فيه عز، وعطاء الناس ينطوي على مذلة، وهذا يأتي في رباعيته: «كن مع الله» مثل ما تحدث عن ذلك في رباعيته: «بين المخلوق والخالق».

وأطفال الأنابيب قضية كانت شغل الناس الشاغل، و نظرتهم إلى هذا الأمر تختلف قبولاً ورفضاً، ولقد أعطى رأيه في ضوء إسلامه في رباعيته: «الخالق هو الله».

ورباعـيته: «أمـر الله يعلو» فـيهـا مدى إيمان المسلم فـيما يخـفق غيـره في النجاح فيـه، وهو تصديق قدرة الله في وقـوع أمر يخالف ما تعود الناس أنه يقع طبقاً لقوانين الطبيعـة مثل انشقاق البحر ليـغرق فرعون وينجـو مـوسى وقـومـه، ونار إبراهيم التي قال لها الله -سبـحانه وتعالى- كوني برداً وسـلامـاً. وأكـد أن أمـر الله هـو قـانون الكون، وليـست قوانين الطبيـعـة، وأن الله قادر على كل شيء:

فما صد أمر الله قانون كونه

ولكن أمر الله يعلو ويظهر

وفي «حقيـقة الإيمان» يركز على الإيمان

الذي صفاؤه دائماً في ذهنه، وهو يعالج أمور المجتمع والمناظر المزرية في المحطات التليفزيونية لمست مهمزاً من قلمه في رباعيته «طاب عيش التائب»:

أغراهم التهزاز، أغواهم
هزيز المطرب
أغراهم التلفاز، أغواهم
بنان الكاعب

وفي رباعيته: «الروح من أمر ربي» معالجة لفكرة دقيقة عبرت عنها الآية الكريمة: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ (الإسراء:٨٥).

ثم يأرز للإيمان سريعاً، وهو الموضوع

المحب لنفسه، فيتحدث عن جانب منه في رباعيته: «مسيرة الإيمان» وتتوالى الرباعيات، وكل واحدة فيها إشعاع إسلامي، منها: «ملاذ القلوب» و «دين السماحة» و«نعم لقول الله» و«توحيد الله» وخاتم الإيمان و«كل ميسر لما خلق له» و«نسعى في مناكبها» وفي هذه استيحاء قرآني، ومثلها «تلك حدود الله» والصوم له أحاديث، ورباعيته تقتبس ضوءها من القرآن: «ادع..بالحسنى» وكذلك «كيد ساحر».

ولا يشفي الغليل إلا قراءة الديوان كله، ففيه رحلة مبهجة، وجولة ممتعة، في روض

أغن، وحدائق غلبا، وفواكه تلتذ وتغذي، وياليت الطلاب في صفوفهم المختلفة يتلقونها قراءة حرة، مثلما كنا نفعل ونحن في سنهم بديوان الإمام الشافعي-رضي الله عنه- وأشعر أن فيها شبهاً كبيراً من شعره، في روحها الراقصة، وأبياتها السلسة، ونهجها المتقن النسج، مما يجعل استظهارها سهلاً، لتساهم في رفع مستوى لغة الطالب، وحسن إنشائه، وإيجاد حصيلة يستفيد من مخزونها عند الحاجة.

ولو تركت لنفسي العنان لوقفت عند كل رباعية، فكل واحدة فيها مدخر يعبق بفوح الزهر، وشذى الورود، وكل واحدة

لها حق في أن يوقف عندها، فتـوفَّى حقها تحليلاً وتعليلاً، واستشفافاً لما كان يدور في ذهن الشاعـر المبدع، لأن فـيهـا ما يمكن أن يستـنطق إفراداً مع كل رباعـية، ومـا تحويه وما ترمي إليه، ومجمـوعاً يؤكد أن الشاعر قبل أن يبدأ رباعيـاته قد وضع خطة لسيره في هذه الرباعيات، لعـل أقربها للذهن أنه قـد قرر أن يكون منطلقـه إصلاح جـوانب من المجتمع قد مـالت، وأن عليه أن يساهم في إصـلاحهـا، وأن يكون منطلقه القـرآن وآياته، والـرســول -عليــه صلـوات الله وسلامـه- وأحاديثـه الصحـيحـة، وأصول الإسلام وثوابت الشرع، والحكم الصادقة،

وأن تكون وسيلته هبة الشعر الذي كرمه الله بإتقانه، حتى استطاع أن يفي بالتزامه تجاه هذا المشروع، في خطته التي وضعها، ووسيلته التي اختارها، وأداته التي سخرها، والتزامه الذي تعهد به للصحيفة، وعدم خروجه عن عدد أبيات الشعر التي وسمت برنامجه.

وبعد:

جزى الله الدكتور محمد بن عبد الله المفرح، الموفق، خير الجزاء على تفكيره تجاه ذخيرة الشاعر هذه، وعلى حرصه على أن ترى النور، فلا تبقى قابعة في طيات أعداد صحيفة الرياض، وإنما أعطاها القدرة أن

تقف شامخة على رفوف المكتبة السعودية، مـؤكدة أن عـمله قـد جـاء بالنتيـجـة التي أملها، ولا يقف القلم عن أن يسـجل بفرح وسـرور جـهد ابن الشـاعـر الوفي لتـراث والده، وما ساهم به من مـجهود أخرج هذا السفر، الثـمين في مـا يحويه، الغـالي في نفـوسنا، النفيس فـي فائدته ونفـعه، بهـذه الصورة البهجة.

رحم الله الشاعر، وأجزل له الثواب في كل حرف من حروفه حمل فضيلة، وحث على خلق حـسن، ونبـه إلى درة في الدين غـالية، وجـوهرة في الإسـلام ثابتـة، تقف مفـخرة من مـفاخر ديننا، ومـصدر اعـتزاز

تجاه ما نؤمن به من فكر مضيء استقيناه من قرآننا أو تعاليم نبينا -عليه صلوات الله وسلامه.

وقد أحسن حبيبنا «أبو بدر» في أنه وجد الوقت لكتابة مقدمة، هي مدخل حسن إلى محتوى الكتاب، ومجرد أنه عرف به أعطى الثقة لمن لم يعرف الشاعر من قبل في أنه أمام عمل نفيس.

وعلى كل من قرأ بيتاً، أو اقتبس بيتاً أو معنى أن يقول -رحم الله الشاعر- فهذه هي القيمة التي تبقى، ويصل خيرها إلى الشاعر، لا ثمن النسخة، التي قد يكون اشتراها بها، ومثل هذا الكتاب حريٌّ أن

يكون في كل مكتبة، وأن يستظهر منه بعض ما لا يستغنى عنه اقتباساً واستشهاداً.

والحمد لله رب العالمين.

(٣) كتاب: اللغة العربية في عصر العولمة[١]

لمعالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب

هذا الكتاب قيم ضرب السهم في كبد الحقيقة، وأحاط بالأمر من جميع جوانبه، ووفّى الموضوع حقه، وشفى صدور محبي اللغة العربية، وعاء القرآن، مهوى أفئدة الناس، والنور الذي ينير طريقهم إلى صالح الدنيا وثواب الآخرة.

أبرز هذا الكتاب مكان اللغة العربية بين اللغات، وبين أهميتها لأبنائها، وواجبهم نحوها، وما يمكن أن يجنوه إذا هم حافظوا

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة يوم السبت ٢٨ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق: ١٤/٦/٢٠٠١م، العدد: ١٠٥١٦ .

على ما يجب لها من مستوى، وحموها من المكائد التي تحاك لها، وبعضها إرث تسلل من أعدائها القدماء، تلقته أيدي ورثتهم، وركض به بعض أبنائها جهلاً، أو اندفاعاً وراء برق خلّب.

ميزة هذا الكتاب أنه جاء نتيجة دراسة متأنية، ونظرات فاحصة، ومتابعة دقيقة، ورغبة في إظهار الحق ملحة. لقد جاءت هذه الدراسة من رجل كفيء في هذا المجال، صاحب باع طويل في دراسة اللغة: فنها وقواعدها، وتاريخها، وآدابها، ودورها في الثقافة. ودورها في الوطنية، وتأثيرها في حياة المجتمع، درس اللغة

طالباً جامعياً، ثم طالب دكتوراه، ثم أستاذاً في جامعة، ثم مديراً لجامعة. هو أهل لأن يتحدث فيُستمع إليه، وأهل لأن يرشد فيُقبل منه، وأهل لأن يحث فيُستجاب له، ويحذِّر فينصاع لحديثه.

قد تطرق معالي الدكتور أحمد بن محمد الضبيب، عضو مجلس الشورى اليوم، إلى مواضيع مشعة، تلقي ضوءاً على جوانب في اللغة سوف تؤكد ثوابت، وتعدل بعض الأفكار، وسوف تفتح أبواباً ونوافذ، منها يأتي الأمان للغة، بعون الله، وتلج الحماية والتحصين، وتساعد على إيقاف ما قد يكون هناك من انحدار يتعدى

اللغـة إلى الشـخـصـيـة الوطنيـة، ومكامن تميزها مما هو محل فـخرنا واعتزازنا. الدين وعقيدة التوحيد نبـراساً نضعه دائماً أمامنا، ولا حماية كاملة للـدين إلا بحماية أساس تبيانه، وهي اللغة، والقرآن هو المحور الذي لا نتعداه فـي مقاييس كمال اللـغة، وأدائها لواجبـها في مجـتمع رضيـها لغة تميـز بها وتميزت به، ورضي بهـا ورضيت به، لأنها كيانه، ولا مجال لفصل الكيان أو تجزئته.

عنوان الكتاب يُظهر محور البحث، فهو يدور حول مـكان اللغة العـربية في عـصر العولمة، وبعض ما اندرج تحت هذا العنوان بحـوث ألـقـيت في ندوات عن الـلغـة

العربية، تطرق فيها معالي الدكتور أحمد إلى اللغة العربية وعلاقتها باللغة الأجنبية، وإلى اللغة الأجنبية والتعليم الجامعي، ثم عالج أمر اللغة الأجنبية وسوق العمل، وهذا أدى إلى الحديث عن اللغة الأجنبية والمجتمع، وعن اللغة الأجنبية ومقياس التقدم، ثم تحدث عن المصطلح العربي في عصر العولمة، وتلا ذلك بحث قيم في مستقبل الثقافة العربية من خلال اللغة، ثم بحث عن اللغة العربية والإعلام: الواقع والمأمول. واختتم الكتاب بتضمينه لقاءاً وافياً مع مجلة المعرفة.

وفي كل بحث من هذه البحوث جاء بما

وفـــاه حـــقـــه، وأتـــى بما يوجب الانتـــبـــاه والتـملي، والوقفـة المتأنيـة، للمس الواقع، والتخلـص من العيوب، والحـذر مما يجب الحـذر منه، والسـعـي إلى تقـرير مـا فـيـه الصالح، فجاء ما بيَّنه شاداً ومقنعاً.

ما قلتـه عن هذا الكتاب قليل في حـقه، ولا يوفـيـه حقـه إلا قـراءته قـراءة متـأنيـة ومتبـصرة، والنظر لمستقبل اللغـة والمجتمع في ضوء ما أبرز من جوانب مهمة.

وبالله التوفيق،،

(٤) غازي يحدث عن قبيلته[١]

معالي الدكتور غازي القصيبي شاعر، والشاعر ذو خيال، يبعد به عن تصور غير الشعراء من الكاتبين الناثرين، أو القارئين المتلقين، فالقارئ يقبل على الكتاب ليعرف عن قبيلة غازي المحاربة الغازية، مندفعاً بما توحي به الصورة المرسومة على غلاف كتابه: «عن قبيلتي أحدثكم». ولكن القارئ لا يجد عندما يبدأ قراءة الكتاب قبيلة بالمدلول الذي عرفه، ولكنه عندئذ

(١) هذه المقالة عن كتاب معالي الأستاذ الدكتور غازي القصيبي «عن قبيلتي أحدثكم» كتبت في ١٥/ ٨/ ١٤٢٢هـ نشرت في «المجلة العربية».

يكون قد وقع في مصيدة غازي الختالة، ولكن الختل والصيد يصبح مصدر لذة ومتعة، لا يمكن أن تتوافر في الحديث عن أي قبيلة بدوية، لأن قبيلة غازي ممتدة من العصر الجاهلي إلى اليوم، وصحراؤها بساط مزهر بالإبداع والإدهاش.

الكتب تأخذ مكانها على رف المكتبة الغنية بالفائدة إذا كان في هذه الكتب ما لم يكن في غيرها، إبداعاً في الفكرة، وإتقاناً في النهج والخطة، وجاذبية في الأسلوب، وقوة في اللغة، مع منطق مترابط الجمل والأجزاء. وهذا كله وأكثر منه متوافر في هذا الكتاب، وليس بدعاً على غازي أن

يكون له مثل هذا الكتاب بكل هذه الصفات، فقد عودنا على المفاجآت في الطرح، حتى وصف في بعض ما جاء به بالساحر شعراً ونثراً ورواية.

قد يرى بعض القراء أن في هذا كيلاً زائداً من المدح، وقد يرى أن جزءاً منه يكفي، ولكن قول الحقيقة واجب، وفي إنقاصها إنقاص للشجاعة الأدبية، وهضم لحق المجيد، ومن يقرأ الكتاب سوف يرى مواقع قولي، وأسباب حكمي هذا.

الكتاب استعرض صفحة وجه الشعر العربي من عصر الجاهلية إلى اليوم، ولم يعد ما قاله السابقون، ولم يركب الجادة

التي ركبها غيره على مر الحقب، بل نهج نهجاً آخر بناه على المنطق بعد الاستقراء، وعلى أبرز الصفات التي جعلته يحكم بما حكم به، ويصف ما وصفه، ويصنّف ما صنّفه، فجاء قوله مقنعاً، وهذا منهج جديد، يدل على أن الكاتب وقف وقتاً كافياً ليخرج بما خرج به، وتدبر وتبصر بعمق ليغوص، على الحقائق التي أبرزها مقنعة معجبة.

دخل الدكتور غازي إلى موضوعه مدخلاً سهلاً جذاباً بحديثه عن الشعر، ودلل بحجج جذابة لما قاله، وأخذ يقترب من هدفه قليلاً، حتى وصل إلى أعماق

الأمر، وذكر باختصار في أول حديثه أن الشاعر اتصف بصفات اختلفت مع الوقت، فكان في الجاهلية «ملكاً»، ثم ما لبث أن تحول في صدر الإسلام وفي العهد الأموي إلى فارس، وفي العهد العباسي إلى "«موظف»، ثم مع غروب شمس العباسيين انخفضت مرتبته إلى «أجير». ثم انحدرت رتبته إلى «حرفي صغير». وسأقف هنا في الانحدار لأن الدكتور غازي أخذنا بعد ذلك إلى غَبَّة لا يستطيع العوم فيها أحد إلا إذا كان من ذوي العزم.

عند كل منحنى من هذه المنحنيات

يقف غازي وقفة متأنية، يبرر بجدارة ما اختاره من هذا التقسيم، ومن هذه المبررات تتبين جوانب قيمة هذا الكتاب، وقوة الآراء التي وردت فيه، واستحق أن يكون كتاباً يُحرص على قراءته، ففي رأيي أنه احتل مكاناً مرموقاً بين الكتب التي تناولت الشعر والشعراء، وميزته عنها هي فيما جاء فيه من نظرة جديدة، وابتداع في الفكرة والأسلوب والمنهج والطرح.

هذه عجالة لا تسمح صفحات «المجلة العربية» بأكثر منها، وأترك المائدة بما عليها من طعام شهي، لمن يهمه الشعر والأدب،

وأرجو أن يكون العدد كبيراً، لم تختزله وسائل الإنترنت، ولم «تخترقه» المحطات الفضائية الطاغية، فتسرق وقته، وتصرف نظره إلى القشور الوقتية.

(٥) أريج - ديوان شعر[١]

كلمة «أريج» لها تاريخ عندي، ولها عندي مكانة، ولدي لها قصة، تبدأ أني لا أشم الأريج من أنفي، «ولا أتسعطه» إلى رأسي بلذة ونشوة، لأني ولدت وحاسة الشم عندي مفقودة، ومع ذلك فأنا أشم الأريج بعيني مع إحساس غامر بطيبه وشذاه.

أول مواجهة لي مع كلمة أريج كانت قبل أربعين سنة تقريباً عندما ولدت لصديق[٢] لي ابنة، وهو طبيب وسيد،

(١) نشرت في «الجزيرة» في الأعداد من ٦/ ٨/ ١٤٢٣هـ الموافق ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٢م إلى الإثنين ١/ ٨/ ١٤٢٣هـ الموافق ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٢م.
الأعداد: ١٠٩٧١/ ١٠٩٧٢/ ١٠٩٧٣/ ١٠٩٧٥ .

ويحب أن يداعِب وأن يُداعَب، وسألني رأيي في اختيار اسم «أريج» لابنته، ووجدتها فرصة أن أداعبه، وأن أجور في المداعبة، مسوداً الأبيض، وطامساً النور البهيج، قصداً وإصراراً، فقلت له إن في الاسم حرف (ج)، وصوت الجيم صوت مدفع، وصوت المدفع لا يليق برقة البنت، ففطن لقصدي، وأني متحامل وغير صادق فيما قلت، فقال إنك لا تزال بدوياً في ذوقك، ثم استدرك فقال: لماذا أظلم البداوة فيك، وعندي ما هو أوضح أنت لا تشم، ومن لا يشم لا يدرك، ومن لا يدرك ليس

(١) هو الدكتور عمر الزواوي.

من العـــدل أن يفـتي، وإذا أفـتـى لا يؤخـذ بفـتـواه، ومع الحـمـاس نـسي أنه هو الذي سألني عن رأيي في الاسم.

ومرت الأيام، ورزقت بابنة وبحثت عن اسم، ورصـدت عدداً مـن الأسمـاء، ومن بينهـا «أريج»، وبعد تفكيـر وتدبر وجدت ميلاً شديداً نحـو اسم «أريج»، واستخرت الله واخـترت الاسم، ويـبدو أن لصـديقي الطبـيب السـيـد دعـوة مسـتـجـابة، وعلم بالخـبـر، وتذكـر حـديـثنا فـقـال لي: الآن أصبـحت مدنيـاً، واعتلى ذوقك، وتـهذب طبعك.

وتأتي صلـتي الثـالثـة بكلمـــة «أريج»

عندمـا تسلمت «أريج» ديوان الأخت نورة الشـبيلي، فـإذا كانت الجـوهرة الأولى ابنة الصديق، والجوهرة الثانـية ابنتي، فالجوهرة الثـالثـة هي هذا الديوان المهـدَى لي، ونعم الهدية ونعم المهدي.

الديوان وصل إلى بيتي في الرياض منذ شـهـور وأنـا خـارج المملكـة، ومنذ أن وصلتنـي إحـدى النسخ، ومـا أكـثـر مـا وصلني منهـا، حتى بادرت بقـراءته. وهذا الكتاب وأمـثاله لا يكفي له قـراءة واحدة، وإنما يحـتاج إلى عدة مـرات، الأولى على نمط «ماسح الروض»، وهو طائر يمر بسرعة على الروضة ليفزع ما فيها من عصافير، أو

طيور صغيرة، والقراءة الثانية قراءة متأنية، تقلب كل حصاة لترى ما تحتها، وتعرف كنه ما تجد، ثم تأتي القراءة الثالثة لتوائم بين ما جاء مفرقاً من أفكار، أو اتجاهات في الأسلوب، أو نمط هو طابع الشاعر أو الكاتب، فإذا ما أراد الشخص أن يدون ملاحظات في ضوء ما تبين له فقد يحتاج إلى قراءة رابعة، بل وخامسة.

تعالوا معي لنرى بعض ما يوقف القارئ، فلا يستطيع أن يخطو حتى يروى من نمير القول، وأريج النغم، وحرارة العاطفة، وتسابق المعاني، وتدافع الأفكار، والبصمة الثابتة، والنهج المتقن، قصائد

تترى، كل واحدة تلمس أمراً، وتسجل شعوراً، وتكشف عن مكنون، وتلمس ولا تبعد، أو توغل وتغوص، فتحتاج لمعرفة كنهها إلى غواص ماهر.

بعد قصيدة قدمت بها الشاعرة ديوانها «أريج»، وبعد محادثة شعرية نبيلة جاءت المقدمة. ثم بدأت أقسام أربعة، أولها: «الوطنيات» شاركت الشاعرة فيها بذكرى المواقف المضيئة في حياة الوطن، ومنها ذكرى مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، استهلتها بالبيت الآتي ص(٢٧):

يا خالق الدنيا ورافع سماها
نصرك لنا يا واهب الخير آية

وأعطت صورة عما كانت عليه الجزيرة، أبرزت فيها ظلمة ذلك الزمن، وقالت عن نجد في الماضي:

ذياب وحوش البر وكلن نصاها
سرق ونهب وخوف ماله نهاية
جهل وبدع، والجوع فتت حشاها
ووالي سقاها المرّ كره ونكايه

وصورت بعد ذلك نجدة الملك عبد العزيز لها، والاستجابة لاستغاثتها، وما قام به، وما لاقاه من صعاب، وما جناه بعد ذلك من نصر أعقبه ملك فاء بالخير على البلاد:

شمس على الدنيا شعشع سناها
وحّد جزيرتنا بحزم ودراية

وتختم القصيدة بهذا البيت:

ذكرى مئة عام فيها انتباهي
ذكرى البطولة والفخر والولاية

ثم تتوالى القصائد في ذكرى الأيام الوطنية، وفيها تذكير بالإنجازات المتتالية على مدى السنين والأيام. وفي بعض هذه القصائد تأتي صور رسمت بإتقان لحياة الناس في الماضي. وقد أدركت الشاعرة أنه لا يبين فضل الحاضر السامق إلا بمقارنته بالماضي المتواضع، ومع هذا فهذا الماضي على ما كان فيه من وسائل معيشة محدودة إلا أنه مصدر فخر، لأنه المنطلق والأساس الذي بني على أصالة الحاضر، ص (٢٩):

نفخـر بماضينا والحب له غـير

وبيت طين من نخلنـا طمامـه

وحصيرة مع مسندة تبن تصير

مجلس ومرقـد نهتني في منامه

وعريشة في وسط بستان صغير

يجلي هواها كل هـم وسآمـه

تمرٌ وبنٌ وهيلٌ و مع موية الزير

ذا لنا مع قرص سـمن إيدامه

إلى آخر صور الماضي الجميلة بذكراها، ووقعهـا في نفوس من عاشوا تـلك الحياة، وتؤكد أن ما كان في تـلك الحياة من صور جميلة لا تـزال باقية مع ما أضيف إلـيها مما هيأه التطور.

وتستفيد من ذكرى مرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين المُلك، فترسم صوراً صادقة عما تراه في الملك فهد في جوانب الحياة المختلفة، خُلُقُه، وتميُّزه، وإدارته، وإنجازه، وما يتصف به، من عدل، وحب لمواطنيه، وما قام به تجاه الحرمين، وتختم القصيدة التي بدأتها بالبيت الآتي: ص(٣١):

مشكور يا ليث وفَّى بالتزامه

قلوب شعبه حب فهدٍ ملاها

بقولها:

شفنا على ثغر الزمان ابتسامه

عشرين عام ما تكدر بهاها

مـجـد لنا تاج على كل هامـه

شعب الجزيرة بالمـعاني تباهى

يا من خلق شمس تبـدد ظلامه

احم المليك اللي بلادي حماها

وتتخذ من زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز مناسبة لتمجيد زيارة سموه لمنطقة عسير، فتـأتي في قصيدتها بمعان تدل على عمـق العاطفـة، وتقدير هذه الزيارة حق قـدرها، فتقول في أحد الأبيات: (ص:٣٧):

يا ولي العهد مـا مثلك حكيم

لأن لك في مملكتنا صـخـرها

قائد جـيوش المعزة للخـصيم

من قـيـادتكم تحـقق نصـرها

إلى أن تقول:

يا ولي العهد لـك حب مقيم

في قلوب الكل جدّد عـمرها

وعند عودة صاحب السـمو الملكي الأمير سلطان بن عبـد العزيز تقول في أحـد أبيات قصيدة لها بهذه المناسبة (ص٣٩):

مكارمه فاقـت كرم حاتم طي

والجود والمعروف طبعٍ وسيره

ينصاه من ينشد عن العون والفيّ

يجبـر خواطر من عناها كسـيرة

إلى أن تقول:

تشوف في وجهه تـباشير وضي

ولك مسكن بقـلوب شعبٍ تديره

إلى أن تقول:

تطوي هموم الشعب من جيتك طي
داوَى قدومك كل عين سهيرة
نهدي لك الغالي والغالي شوي
تفداك يا سلطان نفس بريرة

وسمَّت القسم الثاني: «مواقف...ومناسبات»، ورغم اسمه إلا أن محتواه يقترب في بعض جوانبه من «الوطنيات»، فهي لا تملك نفسها عندما تقترب مما يلمس الوطن من أن تسبح في نهره: تصفه وتفتخر به، لأنه يملأ روحها، وتغلغل في شغاف نفسها، ففي قصيدة «سيف العدالة» الموجهة لصاحب السمو

الملكي الأمير نايف بمناسبة حـادث التفجير في شارع العليا تقول: (ص:٤٥)

جند الوطن لا بد يلقى معاديه

يلقى دليل للعدالة على النور

سيف العدالة كل مخطي يجازيه

نهـاية للـغـدر الحق منصـور

إلى أن تقول عن الوطن:

بأرواحنا نفديك يا موطن فيه

بيتين للرحـمن، وهداية النور

هذا بعد أن قالت في سمو الأمير نايف:

نايف رفيع الشـان والناس تغليه

شيخ حريص وثابت القلب ماجور

وتتخذ من أمسية نسائية أقيمت لأول مرة

في مركز الأمير سلمان الاجتماعي مناسبة لإلقاء قصيدة تشيد بجهود سموه، وبما يؤديه المركز من خدمات للمجتمع، وتبدأ القصيدة بالبيت الآتي: (ص:٤٧)

أمير نجد كل ثقل ارتكى له
مشكور يا راع المكارم والأمجاد
أميرنا سلمان يا حي فاله
أنشى لنا مركز وحقق لنا مراد

ثم تصف النادي وحسن إدارته، وما يقوم به تجاه من يستفيدون منه من رواده وأعضائه، تقول عن بعض ذلك:

نادي ثقافي سامي له رسالة
ونادي رياضي فيه ترفيه وإرشاد

نادي اجتماعي كـل خير سعى له

واللي يجون أجداد وأولاد وأحفاد

ثم تقول بعد أبيات:

وقسم النسا من جاه عودّ مشى له

قلوبنا للمـحـتـفي فـينا تنقـاد

وتزور الشاعرة حـائل، فتطريها، وتطري أمـيـرها، وتثني على طبـيـعتـهـا وأهلهـا، وتبـتـهج بالأيام التي قـضـتـهـا بين أهلهـا وربوعهـا، تقول في بعض أبياتهـا عن أجا وسلمى (ص:٤٩)

أجا وسلمى شـامخات حـصينة

وسحر الطبيعة حظ منهو اهتنى به

وتقول عن أميرها صاحب السمو الملكي

الأمير مقرن بن عبد العزيز:

مـقـرن عطي الله تسـلـم يمينه
مقرن لأهل حايل مثل السحابة
ظل وهمـايل كلنا خـابرينه
ما شيف منه إلا الكرم والرحابة

وتقول عن أهل حايل:

يا ربع حـاتم بالكرم مـقـتـفـينه
الضيف إلى جـاكم عزيز جنابه

وتستـمـر في هذا المنحى إلى آخـر القصيدة.

والطائف بجاذبيته المميزة ينال نصيبه من التفاتتـها، فقد ألقت في إحدى الأمـسيات الشعرية قصيدة، أبرزت فيها بعض الصور

للطائف، وألقت أضواء على بعض معالمه.

ومن أبرزها منتزهاته وجباله وواديه، وما تجمعه هذه الأماكن من زائرين وسياح، فهي ملتقى دائم للأصحاب والأقارب. تتحدث عن العسل، وهو ما اشتهر بجيده الطائف، وعن الورد والطائف معروف برائحته التي لا تنافس.

بدأت القصيدة بقولها: (ص ٥٣):

تشرح الصدر يا الطائف عساك العمار

متعة الشوق بجبال الهدا والشفا

وادي وج وثقيف والاوادي اشهار

بينهم جمعة الأحباب وصل وفا

إلى آخر ما هناك من صور عن الجو

هناك، وعن الفواكه، وعن أهل الطائف، وما يستقبلون به الضيف الذي جاء ليقضي الصيف هناك.

وتختار في هذا الباب شخصاً أجمع عارفوه على ما يتميز به من خلق، ومن شهامة ومروءة، مما يجعل قارئ القصيدة يؤمن على كل بيت قالته الشاعرة، الصدق فيما قالت يبدأ مع أول بيت في القصيدة التي استهلت في رسم صور صادقة عن الأخ الدكتور عبدالرحمن الصالح الشبيلي:

يا بو طلال ، الطيب من طيب مبداك
ويحق لي أنظم عن الطيب الأشعار

وتبدي في القصيدة حيرتها، وعجزها

عن إحصاء الجوانب المضيئة في حياته، ومنها أن مشاغل حياته لا تقف في سبيل صلة الرحم عنده، ولا تمنع من البر بالجار، مع ابتسامة دائمة لا تغلبها أكدار الحياة.

وتشيد بصبره وحلمه ولطفه وعزائمه وإصراره على الوصول إلى الهدف في سبيل الخير.

وتشعر بالنقص في قولها تجاهه، وتلجأ مثل كل عاجز في مثل هذا المقام إلى الدعاء إلى من بيده الثواب للمجيدين والخيرين فتقول: ص(٥٥):

يا بو طلال الله يجيرك ويجزاك

خير على بذل النصيحة والأشوار

ثم تقول في الختام:

يا بو طلال الله يحفظك ويرعاك

ويكفيك ربي من تصاريف الأقدار

وفي هذا الباب قصائد أخرى تشد القارئ لما فيها من إبداع، منها قصيدة بعنوان: أحاسيس شادي، وأخرى بعنوان: «يمّه» وثالثة بعنوان: «هاجس» ورابعة بعنوان: «مشاعر أم» وخامسة بعنوان: «يافلسطين»، وسادسة بعنوان: «الكرامة»، وسوف أبخس هذه القصائد حقها لو تحدثت عنها باختصار، ولا يفيها حقها من التقدير إلا قراءتها بتمعن، وعناوينها تدل على الأهمية القصوى لمحتواها.

والباب الثالث خصص للرثاء، وفيه دموع حارة، لأن المرثي عزيز وقريب، وتحت العنوان بينت فيه صورة إيمان المرء، المسلم بقضاء الله وقدره: (ص٦٤):

حوض المنايا كلنا وارديه

أقدار ما فيها من النقص والزود

«وتسنّد» على الأميرة «العنود»، وتتحدث عن الصبر والاحتساب، ومبلغ الحزن، وتتحدث عن القصيدة، التي ترثيها بهذه الأبيات، وتعزي من عدّدتهم ممن افتقدها، وتقول في نهاية القصيدة:

جعل «وسمية» بجنات الخلود

تنعم بفردوس ربي من رضاه

حبهـا بالقلب عايش يا العنود

والشعـر لو قيل مـا يصل مداه

ومن يقرأ الـقصيـدة يرى النهج الذي اختارته لبناء القصيدة وفي قراءتها الصورة الواضحة مما لا يوفيه الوصف حقه.

والدمعة الثالثة التي انسكبت على الخدين على فقيـد الشباب صاحب السـمو الملكي الأمـيـر فـيـصل بن فـهـد -رحـمـه الله- والفجـيعـة فيه كـانت غامـرة. خاطبت في عزائها خادم الحرمين الشريفين، مبدية عظم المصاب، وداعيـة الله أن يعين بالصبر على فجيعة جلّى، انصـهرت لها القلوب، مبدية أفـضـال الـفـقـيـد الغـالـي، وبره بالناس،

ومساعدته لهم، وتفريجه لهمومهم، وتذكر أعماله الرسمية وإنجازاته تجاه الشباب ورعايتهم، والاهتمام بأمورهم. ومثل كل راث، وكل معزّ، ينتهي الأمر بالدعاء، لأنه النافعً -بإذن الله- في الآخرة فتقول: (ص٦٧).

ندعي وربي ما يخيب رجانا

يا جعل بره راجح بالموازين

يرحمه رب للشريعة هدانا

يا جعل منزله جنان الشهيدين

وختام قصائد الرثاء قصيدة عنوانها: «شيخة»، والشاعر يشعر براحة عندما «يسند» في لوعته إلى شخص قريب منه،

عـزيز عـليـه، ولهـــذا ابتـدأت الشــاعـرة قصيدتها بالبيت الآتي: (ص٦٨)

من لوعـــتي والقلب هيـض ونينه

من عقب علم جدّد الحزن يا سعود

وتبين في الهامش من هو سـعود، وتذكر في القــصـيـدة أسـمـاء الأقــارب الذين يماثلونها في لوعـتهم على الفقيـدة الغالية، فتـذكر «أم فـهد» وما تتـصف به من خلق، وتذكر «أم حمـد» وما تتميـز به، وما عرف من صـبـر في «حصـة»، وتذكـر قـرابة من فقدتهم بقولها:

فـرقـا خواتي بالضـمـاير دفـينه

نبكي وما بالدمع من فقدهم فود

ثم كالمعتاد تنتهي القصيدة بدعاء:

ويا جعل «شيخة» في جنان حسينه

بدار البقا تنعم برضوان وخلود

والباب الرابع هو قسم «الوجدانيات»، وهو الباب الذي حلقت فيه سابحة في ربوع الخيال، والخيال عندما يدخل عالمه الإنسان تنفسح أمامه أبعد الآفاق، فلا يجد حداً يوقفه، أو سداً يرتطم به، وتكتب تحت هذا العنوان بيتاً يدل على أنها انطلقت من قيود المعاني المحدودة بأسوار الحادثة، إلى عالم منفتح، رياض المعاني فيه خضراء منبسطة، وأساليب القول حقول منفسحة، والصور، زهور متاحة للقطف والاختيار: (ص٧١):

أكتب قصيدي والمشاعر تغنيه

وارسم بعطر الوجد لوحة جديدة

مثل هذا البيت ملك لها، لا ينافسها فيه شاعر، اختارت تحية الاستعارة، فالمشاعر أصبحت في لفظها كائناً حياً يغني، والعطر الذي من طبيعته أن يلمس وأن يشم أصبح وجداً يرسم، ولم تبدأ هذا الرسم، وإنما اخترعت طريقة جديدة له، عليك أن تجمع حواسك لتحلق مع الريشة الراسمة لصورة لك الحرية أن تختارها حسب ذوقك، وبُعد خيالك، ومعرفتك بقوانين الخيال، إن كان الخيال يمكن أن يقيد بقوانين وضوابط.

ويستمر هذا الاتجاه في الاستعارة في مطلع

قصيدتها : «هلا» ص (٧٢):

اهتـفـت لك نظرة عيــوني هلا

يا حياتي شوفـتك حلمي الجميل

فـالعيـون التي عـملـهـا الأصيل النظر أصبحت تهتـف، لها لسان ذرب، وإن كان المعـروف في اسـتـعـارات العين عـادة أن تكون نظرة ناعسة، أو خـجلى، أو مريضة، أو حزنى، فالجديد أنها تهتف وترحب.

والقصـيدة كلهـا ملأى بالصـور والمعاني التي انصـبـغت بروح الشاعـرة، وأسلوبها، وطريقتها في النهج والمسير.

وفي قصـيدتها «ابذمـتك» تأتي بما يكون قريب المتناول في الاستعارة :(ص:٧٣):

والله ما انسى كلمة كنها سهوم

صـوبتـها لأعـمـاق قلب توده

وقد لا يكون مـا في هذا البيت مفـاجأة، لأن الكلمـة كالسـهم وهذا معـروف، وقد استـفادت من هذا بتـعبـيرها المنفـرد، لكن الإبداع المنفـرد حـقـاً هو في البـيت الآتي، فقـد تداخلت صـور المحسوس مـع صور المعـقول، تداخـلاً مـتقنـاً، تحتـاج إلى روية وتأن، وإعـادة للبـيـت مـرات حـتى ترسم الصـورة التي أرادتـهـا الشـاعـرة، وأرادت تأثيرها عليك:

ومديت لي حب من الشوق منظوم

والله مـا أنسـى لهـفـة ايدٍ تمده

عقد حب منظوم بالشوق، محسوس يتلوه معقول، ثم محسوس يتلوه معقول، تحتاج إلى هدوء في المحيط الذي أنت فيه حتى تستطيع أن تتصور التلاحم بين طبيعتي الأمرين والأمرين الآخرين، ثم تكمل رسم الخيال لليد الممدودة بلهفة.

والعين عندها مصدر مليء بالمعاني، ومصدر الإلهام، وهي بحق كذلك، تكشف عن كثير من المخبأ، ولكن الشاعرة قالت قولها الشعري قبل أن يكشف العلماء أن العين ستحيل البصمات على التقاعد، وأنها هي مخبأ الأسرار، والصفات التي تميز شخصاً عن شخص،

وقولهم هذا جامد، أما قول الشاعرة ففيه إحساس، وذلك في بيت من قصيدة: «بشرى». (ص ٧٤):

أنا وقلبي والمشاعر والأنفاس
في شوق لك، والود بالعين مرسوم

ما دامت العين قالت إن فيها وداً فهي صادقة، ونكاد نرى ريشة الرسم، وهي تخط خطوط صورة الود.

وتأبى استعارة المعاني للمحسوس إلا أن تسير مع الشاعرة من قصيدة إلى أخرى، لأن الأمر نهج، واختيار السلوك أدبي راجح على غيره، وفي البيت الآتي تلوح من بعيد صورة طفل يبكي، وأمه تريد

هدهدته وإسكاته، ولكن شاعرتنا لم تعد أن استعارت هذا الثوب الشفاف لجسم المدامع، فالمدامع في الليالي يهلّ دمعها، والصورة ليست لنهر توقفه، ولا لسد انفتح تغلقه، وإنما لدمع يصيح ، ولا يجوز إلا للخيال المحلق أن يسمع صياح الدمع من المدامع. تقول في قصيدة بعنوان: «مرام» (ص٧٨):

إن تكلمت أنا، أدري ما يفيد الكلام

وإن سكت المدامع بالليالي تصيح

ومن هذه الاستعارات التي على هذا المنوال، المريح للذوق، الغريب التناول أن الحقيقة، تصفح، تقول في «سراب» ص٧٩:

تكشف زيفك وتسأل عن جواب
والحقيقة، الحقيقة تصفعك

ومثله البيت الآتي من قصيدة عنوانها: «عطني دليل» ص(٨١):

وأعطيك أنا من لهفتي ما يشدك
يا بدرٍ أشرق في وجودي شعاعه
ونبع الغلا بأشواق قلبي يمدك
يروي ظما الوجدان في كل ساعة

والديوان مليء بالصور المشعة التي غذتها الاستعارة، واختيرت بإتقان يلفت النظر أولاً، ويوقف القارئ أمام براعة في التعبير، ثم يعطي الفائدة المرجوة من هذا الأسلوب المختار ثانياً. وأكتفي بهذا القدر

في هذا، ويمكن أن يقاس عليه كثير مما ورد في القصائد الواردة في هذا الديوان.

وأنتقل إلى ملاحظة أخرى، وهي أن الشاعرة تأتي بجملة دارجة على ألسنة الناس، ليس لها نغمة أو موسيقى، فتضفي عليها رونقاً، وتسمعنا منها لحناً شجياً، وهي لجيلي مصدر بهجة، لأنها تنقلنا إلى بيئة مررنا بها، لا تزال حلاوة طعمها تجد صداها في نفوسنا، ومن أمثال ذلك قولها: «عطي الله». هذه كلمة قد لا يعرف مراميها بعض شباب اليوم، ولكنها لجيلي ذات وقع متميز:

«مقرن» عطي الله تسلم يمينه

«مقرن» لأهل حايل مثل السحابة

وهذا من قصيدتها المعنونة: «حائل» (ص: ٤٩)

وكلمة: «تبارك الله» معروفة المعنى اللغوي، التي تدل عليها كلماتها، ولكن لها مدلول آخر فيه الثقل الحقيقي، وهو سبقها للمديح، الذي تخشى منه العين والحسد، ولهذا يقول الناس قبل القول أو بعده، «ما شاء الله تبارك الله»، وهذه الجملة جاءت في القصيدة التي عنوانها: «يابو طلال»، وكأنها تحيطه باسم الله عن العين عندما وصفته بصلة الرحم، وعدم شغل دنياه له عن بر الأهل والجيران: ص (٥٥):

تبـارك الله، فـيك وصل، ودنيـاك

ما تشغلك عن واجب الأهل والجار

خاصـة وأنها في أبيات لاحـقة دعت أن يجيـره الله، ويحفظه ويرعـاه، ويكفيـه شر تصاريف الأقدار.

وكلمـة «الهادي اللـه»، كلمة تحمـل، إذا جـزئت مـدلـولاً لغـويـاً واضـحـاً، ولكـن مصطلحها في التراث عندما تقولها الأم، تجـاه ابنهـا، الذي تشـعـر أن الله قـد هداه، أو أنه يـحـتـاج إلى هداية الـله لأنه مـجـانب الطريق، تقـول الشـاعـرة في القصيـدة:

«مشاعر أم» : ص (٥٩):

«الهادي الله» ثم الحرص له دور

يغرس بهم طبع الفضيلة والأخيار

وبمعنى آخر: أعقلها واتكل، فالهداية من الله وحده، ولكن حرص الوالدين في متابعة أبنائهم، ومراقبتهم، واتخاذ الوسائل الموصلة لغرس الفضيلة والخير في نفوسهم، واجب، ولعل الله ينظر إلى نياتهم.

وتأتي جملة من هذه الجمل، الموسومة بهذه السمة، ولوقعها تكون هي عنوان إحدى القصائد: «ابذمتك»، كلمة تقال عادة استحلافاً، وقد جاءت في هذه القصيدة كذلك، ولكنها جاءت بنغم، يتجاوب

صداه مع جوانب الماضي: ص(٧٣):

«بذمتك» و ش جاب ظالم لمظلوم؟

وشلون حـــبي في ثوانـي تهــدّه

ولا يكفيها في هذه القصيدة قنديل واحد من هذه القناديـل، بل تعـضـدها بأخـرى: «وشوله». لا يخطر ببال أحد أن هذه كلمة شعرية، ولكن إطارها جعلها كذلك:

تســأل علي، وتدور أخبـاري كل يوم

«وشوله!!»، وأنت اللي قطعت الموده

«خل طبعك ينفعك» جملة من هذا النسق، ولكنها لم تـعد كذلك بعـد أن حف بها ورد الشعـر وزهرهُ، وأصبحـت نفثة صـدر، ودقة قلب: (ص:٧٩) من قصيدة «سراب»:

الرجا والياس وَدَّى بك وجاب

«خل طبعك والتسلي ينفعك»

«عز الله»، كلمة عز معروفة، ولفظ الجلالة معروف، ولكن الجملة في مجملها لا يعرف استعمالها إلا من اعتاد ذلك، وأقرب مؤدٍّ لها كلمة: «الحقيقة» تقول في قصيدة عتاب (ص٨٩):

يارب لا تواخذ قلوب المواليف

«عز الله» إن الشك كنه بدابي

وجملة: «يا بعد كل غالي» دعوة لا تعرفها إلا بعض المناطق، ولرقتها تختص بها النساء، وتأتي في قصيدة: «نقطة الضعف» (ص:٩١):

يا مرارة وداعك، «يا بعد كل غالي»

لا ذكــرتك تـغطي كل عين يمـيني

«وتكفَى في قصيـدة» ظلمتني ص (٩٢)
لا تمت في المصطلح إلى مـعناها اللغـوي، وهي أقرب إلى مدلول جملة «أرجوك».

وتصبر يا خلي من القـرب مسرور

ولا عاد تطري سيرة البعد «تكفى»

وجملها أكثر أنها جـاءت مسددة للقافية مما جعل لها موسيقى مبهجة.
وتأتي هذه الجملة مرة أخـرى في قصيدة «تذكار» ص (١٠٥):

«تكفى» قبل ما تـنوي البعد قل لي

وقبل الوداع أرجـوك تعطين تذكار

«والله ثم والــله» جـملة ترد فــي حـديث الناس، ولا يكـون لهـا الأثر الذي لهــا في بيت من القصيدة التي عنوانها: «خبر كان»، لقد دبّت هنا فيـها الحياة، وأصـبحت جملة أدبيـة شعـرية، لها وقـعـها المقـصود، ولهـا رنينهـا وبريقهـا، وقبـولها في الآذان، جـاء نغمة جاذبة، تقول الشاعرة ص (٩٨):

ومـا دام قلبي خـالي منه مـرة

«والله ثم والله» ما هو بندمان

إنه تأكيـد يجد صـدى في النفس، ويأتي بالتــأثيـر المطـلوب. «عــاش من شــافك» حولها الاصطلاح إلى جلباب غير جلبابها اللغوي، ورفعها من حديث الجدل الطارئ

إلى روض الشعر الساحر.

تقول الشاعرة في القصيدة المعنونة:

«عاش من شافك» ص (١٠٠):

قال لي: «عاش من شافك» وينك يابعد ناسي»

تعيش بداخلي ذكرى بكل أوقاتي مدعيه»

عند تحليل الكلمة لا تجد صلة بين العيش «والشوف»، إلا أن المصطلح جعل بينها غير الممكن ممكناً، وأوجد صلة رغم انعدام الصلة. إن الجملة تدل على أن القائل يشير إلى طول المدة التي مرت دون أن يرى «الشائف» «المشوف»".

و«يا حياتي» و«يا بعد عـمري» كلمتان من القـائل تعني الأولى أن المخـاطب يزن حيـاة المتـحدث بحـياته، بل إنهـا حيـاته، والثانيـة دعاء أن يـطيل الله عمـر هذا الغالي فـيكون اللاحق بعد الممـات، ولكن هذا كله لا يأتي في الذهن بهـذه الصـورة، ولكن رنيناً مميـزاً يطرب الأذن هو الذي يبقى يرقص النفس.

تقول الـشاعرة في قـصيـدة: «عـاش من شافـك» ص (١٠٠):

ترى حبك بقلبي «يا حـياتي» ثابتٍ راسي

ونفسى «يا بعد عمري» بنار الشّوق مكويه

ومن تأنى في قـراءة الديوان يجـد أمثـال تلك الجـمل قناديل مـضيـئـة في بعض

جـوانب قـصـائده، وكلـهـا لهـا وحـيـهـا المطرب، وصداها المبهج.

أنتقل إلى ظاهرة متـميزة في ديوانها، هي لا يكفـيها كلمـة «قلب» على هذا العـضو الفرح الحزين، المضطرب، المتألم، الذي يمر به كل نوع من الشعور، وإن كانت لم تعاد الكلمـة «قلب» بل تأتي بـهـا أحـيـاناً مـثل قولهـا في بيت من القصيـدة التي عنوانها: «أبشرك» ص: (١٠٤):

ويصير «قلبي» لأجل سلواك سبّاق

يومين، ويمسح كل ذكـرى تجـيني

وأبشرك صدري من الصد ما ضاق

برود «قلبك» مـوّت الحب فـيني

وإنما تغلبها كلمة «خافق» و«خفوق» يجوز أن هذا بسبب ما تعرض له القلب من خفقات، بسبب الحب واللوعة، وخوف الهجر، والشك، وغير ذلك من صروف الزمن التي صورت بعضاً منها في ديوانها، الذي لا يبدو أنها تتحدث عن نفسها في كل قصائده، وإنما تصف حالات في المجتمع، ترى أنها تستحق أن تُرصد، لأننا إذا ما ظننا أن كل القصائد تمثل حياتها، قابلنا تناقض واضح، هي أبعد من أن تقع فيه، والذي يخصها من القصائد مما يلمس حياتها واضح مثل مخاطبتها لأمها (ص٥٧)، و مثل قصيدة

«هاجس» ص: (٥٨) أما قصيدة: «الكرامة» (ص ٦١) فهي ملأى بالحكم العامة، التي كثيراً ما تطفو على سطح صفحة المجتمع.

أما «وجدانيات» ففيها الصور التي تمثل ما في المجتمع مما يكون بين اثنين من سعادة وشقاء، وقرب وبعد، ووصل وصد، هنا ترجح كلمة «خفوق» و«خافق» على كلمة: «قلب» في بعض المواقع:

تقول في قصيدة: «بشرى» ص: (٧٤):

متى تجي يا مالك كل الإحساس؟

جاوب وريح «خافق» منك مهموم

وفي قصيدة: «مرام» ص: (٧٨) تقول:

مـرحـباً بالمشـاعـر والمعـاني الكرام

يا محمد «خفوقي» يشهد الله جريح

وفي قصيدة: «عطني دليل» ص (٨١) تقول:

«تطرد هموم» «الخافق» اللي يودك

من هرج عاذل مـا يطيق استمـاعه

والحـب لـه خـافـق، فـفـي قـصـيـدة: «وهـج» ص (٨٣)، تقول:

يا نعـمة النسـيـان يا الله احتـويني

ما دامني في «خافق» الحب ذكرى

وتقول في قصيدة: «الظاهر» ص (٨٥):

مخلص ووافي، والوفا لك سمابي

اذكـر «خفـوق» دوم بالحب مـدك

وتقول في قصيدة: «ظلمتني» ص (٩٢):

مـجبــور أنا أصـبـر يا هـوى البـال

مجبور حتى أداوي «خافقك» لين يشفى

وتقول في قصيدة: «حلم» ص (٩٧):

حسبي عليـه إن كان ما هو شاري

حبّ يشعشع في «خـفوقي» بريقه

وتقول في قصيدة: «عاش من شافك» ص (١٠٠):

سكت، وخفت من فـرحة «خفـوقي» تاقف أنفاسي

أخـيـراً حس في حـبي وأنا في حـبـه مبليـه

وتأتي بالكلمة: «خفوقي» مرتين في قصيدة «أماني» ص: (١٠٢) فتقول في بيت منها:

كم مـرة تزعل ولا دور رضـاك

وشلون تقبل «يا خـفوقي» هواني

ثم تقول:

وتشوف حلمك صار واقع وهناك

إحساس ما قد «يا خفوقي» عصاني

كل هذا ومع هذا فكلمة: «قلب» لم تفقد مكانها، وتكاد توجد في كل قصيدة، وأحياناً أكثر من مرة.

ربها حاضر في ذهنها دائماً، تتجه إليه، ترجوه، تشكو إليه، تمجّده، تستنجد به، تهتدي بهديه، وتعتز بدينها، ولا يغيب عن ذهنها، لا تخلو من روح الدين قصيدة واحدة، حسب نمطها، وما تحتاجه من الدعاء، أو الالتفات إلى فضل الدين في توفيق الله لها، أو لبلادها.

أول بيت في الديوان تبدؤه بتمجيد الله

واسمه، وإقرار منها بأنه مبدع الكون وخالقه ص (١):

أبدأ قصيدي «باسم من كون الكون»

وأهدي قصيدي للعقول الفطينة

وتختم القصيدة بدعاء فيه التفاتة كاملة إلى ربها، مع تعداد بعض النعم والفضائل منه، ومشيرة إلى أنه في الذهن ليس في وقت الشدة تطلب منه النجدة والعون، ولكن في وقت الرخاء، شكراً وعرفاناً وامتناناً: ص(٣):

يرعاكم الله سايق الخير، ومزون

اللي بساعات الرخا ذاكرينه

وتؤكد التزامها ومواطنيها بأوامر الله،

والسنن التي جاء بها رسوله واتباع ذلك، والمثابرة عليه هو رجاء للقبول من الحميد المجيد، الوحيد المرجو. ص(٢٥):

كل ما سنّ ربي نهجنا بالتزام
نرجي الله وحده الحميد المجيد

وتبدأ إحدى القصائد الوطنية بمناجاة خالقها، خالق الدنيا، تطلب منه النصر، وليس كثيراً عليه فهو واهب الخير. ص (٢٧):

يا خالق الدنيا ورافع سماها
نصرك لنا يا واهب الخير آية

ومن أمور الدين التي لها نصيب في شعرها الالتفات نحو أهمية الحرمين الشريفين، مصدر الضياء للمملكة

وللمسلمين عامة، وتتـخذ مثل هذا مدخلاً لما هو أوسع في الرقعة. (٢٨):

على ثرى أرضك بيت رب المقادير
ومسجـد رسوله عالي في مـقامه
وفي كل مسـجد اهتمام وتعـمير
نمشي نـلبي كل أذانٍ وإقــامــة
صــلاتنا شكـر لربي وتكبـيــر
تشــهد بتـوحيـد الإله استـقامـه
التـقوى فيـنا طاعة فـيهـا تبصـير
بأركـان ربي والحـلال وحـرامـه
حنا على نهج الجـدود والمشاهيـر
بالدين وسلوم الـوفا والشـهـامـة

تؤكد في هذا أن الالتفاتة للدين ليست أمراً

عـارضاً، وإنما هو أمـر عـميق الجـذور، راسي الأسس.

وتعـود إلى هذا الحـمى مـرة أخـرى في قصيدة تالية. ص (٣١):

خدمـة بيوت الله جل اهتمـامه
مـسـاجـد في كل ديره بـناها
راحة حـجيج البيت غاية مـرامه
بكل جـهد، بكـل غالي شـراها
يا خـادم البيـتين فيك الشـهامـة
ومـروتك يا كـثـر خلق نصـاها

هذا تعديد لبعض إنجازات خادم الحرمين الشـريفـين، وتردف هذا بمـا يحلو عـلى لسانها ترداده، وهو الالتفات إلى خالقها:

وبعــون ربي ما نــشوف الندامــة

أفضال رب الكون عشنا بذراها

ثــم تلــتفــت فــي نهــايــة القــصــيــدة فتقــول:

يا من خلق شــمس تبــدد ظلامــه

احم المليك الــلي بلادي حــمــاها

والحرمان، مهوى الأفئدة، لا تغفل عنهما في كل مناسبـة تمر في شـعرها وتـقتـرب منها: ص (٤٥):

بأرواحنا نفديك يا موطن فيه

بيتين للرحــمن، وهداية النور

وتخاطب خادم الحـرمين بأحب المشاريع التي أنجزها، ص (٣٣):

يا خـادم البيـتين والله يكفـيك

ما قمت به من تـوسعة في زمنا

أقدس بقاع الأرض تشهد تفانيك

حـــجـــيج ربي لاقــي مـــا تمنا

ولا تنسى الدعاء له مقابل ما قام به، وتتجه إلى ربها في هذه القصيدة فتقول:

إلهنا يرعـاك ويحميك ويـكفيك

شـر حـاسـدٍ لك حنا له مـا فطنا

يا جعل ربي بطولة العمر يجزيك

يا شـــايلٍ كل الثـــقـيـــلات عنا

وفي الجو الروحي الذي تعشق أن تعيش فيه، تشكر الله على سلامة خادم الحرمين الشريفين أثر الوعكة التي ألّمت به، ص (٣٥):

لك الثنا يا سـامع مـا دعـينا

من رحمتك لبس العوافي كسيته

ثم تقول في القصيدة نفسها، مستمرة في رفع يديها بالثناء:

سلامتك فضلٍ من الله علينا

أجر ومثوبة من إله اتقيته

يا محكّم القرآن شفنا لـقيناً

عدالة الله أظهرت ما نويته

ولا تختم القصيدة دون أن تملأ روحها بالاتجاه إلى الله:

لك يا السعودية حنا انتمينا

يحفظك رب رافع شأن بيته

ومرة أخرى لأهمية البيت الحرام تصله

بدعائها.

وفي قصيدتها بمناسبة زيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد لمنطقة عسير، تؤكد فضل الله على وطننا بأن أنعم عليه بالإسلام، وهذا حظ عظيم، ومنّة تستحق الشكر. ص: (٣٧).

حظنا من فضل خالقنا عظيم
نعمة الإسلام واجبٍ شكرها
كلنا «والحمد لله في نعيم»
من مشاريع عجزنا حصرها

وتبدأ قصيدة بمناسبة عودة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان، النائب الثاني، من رحلته العلاجية، بتمجيد الله، وهذا خير استفتاح، وأنبل استهلال ص: (٣٩).

رحـمن يا قـيـوم يا ربي يا حي

هيمن على سلطان في كل ديره

وتبقى يدها مـاسكة بحبل الله، فتـردف بهذا البيت بيتاً يكمل الصورة التي أرادتها:

الله أكبر رحمـته فوق كل شي

يا ربي في رحلة عـلاجه تجـيره

ولا يرضيهـا إلا أن تختم قصيـدتها بالإقرار لله بالألوهية، والتفرد في تصريف الكون، كما بدأتها بشذى عطر ذكره:

الله أكبر رحمته فوق كل شيء

الله أكـبر رحـمـة الله كـبيـرة

وتختم قـصيدة أخرى خاطبت بـها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان. ص (٤١):

يرعاك، يا سلطان، من خط الأقدار

ويحميك رب دبرة الكون بيده

إنها تعطر كل قصيدة برفع بصرها إلى ربها جل وعلا.

وعن حادث التفجير في شارع العليا، تشيد بجهود صاحب السمو الملكي الأمير نايف، وزير الداخلية، مؤكدة توفيق الله لمن بسط شرع الله في أرضه. وتأكيدُ أهمية تطبيق الشرع لضمان الأمان والطمأنينة أمر تكرر في ديوانها. (ص٤٥):

عشنا بسلام ويا من حكم مباديه

شرعٍ من الله فيه الآيات دستور

وفي قصيدتها : «يا بو طلال»، تدعو

لأبي طلال بأن يجيره ويجزاه خيراً على ما يقدمه، وتدعو له بأن يحفظه الله، وهي دائماً تلجأ إلى من يثيب إذا رأت أن جهدها في الشكر أقل مما توده. ص (٥٥):

يا بو طلال الله يجيرك ويجزاك
خير على بذل النصيحة والأشوار
يا بو طلال الله يحفظك ويرعاك
ويكفيك ربي من تصاريف الأقدار

تبدأ ما أمكنها البدء، بصاحب الفضل عليها، ربها، جل شأنه، ففي قصيدة: «أحاسيس شادي» تؤكد اعتمادها على ربها اعتماداً كاملاً. ص (٥٦):

على إله الكون كل اعتـمادي

الواحـــد الوهاب ربّ البـــرية

وفي نفـثة أمـومـة تجاه ولد غـال، أرادت أن يكون في صورة ناصعة من البر، في كل أطوار نموه. لا تريده إلا أن يكون كذلك، لا صبوة له في عـقـوق، أو صـدود، تلجـأ إلى أسلوبهـا المؤثر: «التسنيـد» على من هو خيـر من يصغي لنجواها:

«أمهـا»، تقول بجملة مـعبرة مـؤثرة، صورة رسـمت بإتقان، كـأنك تلمس الحدث بيـدك، بلغت في التعبير القمة، ص (٥٧):

جيت أشتكى لك من عنا طرفة الموق

تعبـت يدي من مسح دمع عـصاني

يا كثر من يشكي من عقوق مطفوق

وين الوصـل يمه في ها الـزمـان؟

ثم تثني بهـويتها المعـتادة: الاتجـاه إلى ربها، وهدي دينهـا:

نعيـذهم بالله من شـر وعوق

وبحـفظهم يـلهج دايم لسـاني

ندعي لهم يمه، وعـيوننا فـوق

وكـفـوفنا مرفـوعـة بالأمـاني

* * *

أدعي بصلاتي خالق كل مخلوق

تبـارك الرحـمن مـا قـد نسـاني

يا عل وصل منهم مـجفف الموق

حنانهم يشـفي مـواجع كـيـاني

وقصيدة «هاجس» قصيدة قلب، وفيها معان ظاهرة وباطنة، والظاهر قد يعلم الناس منه شيئاً، اعتماداً على ما ظهر منه، إنما الباطن لا يعلمه إلا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا كان لا بد أن يكون أول بيت في هذه القصيدة مناجاة الله -سبحانه وتعالى- ص (٥٨):

خالق الخلق عالم ما خفا بالصدور

حكمتك وامرك اللي يا إلهي حصل

وهو سبحانه الملجأ والملاذ:

أكفنا شر دنيا في ثواني تجور

عافنا وارحم فؤاد من الهم مل

فؤاد يمل الهم صورة لم تسبق إليها، وترفع

طرف الغطاء عن بعض ما هو مكنون في الصدر، هي خائفة، أو متقمصة ثوب أخرى خائفة، ترى أكان هناك مرض أوحى بالموت، فجعلها تكتشف أنها غير شجاعة:

أحسب أني شجاعة وإلا قلبي صبور
لكن البارحة دمعي من الخوف هل

دمعها فضح عدم شجاعتها، وعدم صبرها، ويتبين الأمر أكثر عندما تلجأ إلى تسجيل ذلك شعراً، وتطلب أن تعذر في ذلك، لأنها أحست أن الحق جاءها والحق بهذا التعبير الصريح هو الموت:

فكري، والشاهد الله، بالقصيد معذور
والله من حرّ ما بي أحسب الحق حلّ

فإذا حلّ الحق مـاذا بعده؟ همّها الثـقيل على صدرها خيَّل لها مـاذا سيكون، تصورت حال أسرتها اللـصيقة بها، و«ضناهـا» إذا ما سألوا، ثم استـــدارت إلى القـبلة مــلاذها الدائم، و ملجؤها الأخير، تدعو:

العنا جاب هاجس في خيال يدور
صور الحال عـقبي والضنا لا سأل
جعل فلذات كبدي دايم في حبور
من تولاه ربي صـالـحٍ مـا عـمل

ثم تسلم أمرها لله، وتتذكر رحيل غيرها من هذه الدنيا، وتجعل ذلك ختام قصيدتها تلك:

بقسمة الله يرضى كل عبد شكور
نعـتـبر لذكـرنا كل عـبـد رحل

نرتجي عفـو رحمن حليم غـفور

والعوافي سؤالي، عز ربي وجل

ونحن معها نسأل الله العافية.

وقـصـيـدتهـا: «مشـاعر أم» كـذلك منبـعهـا سويداء القلب، ولهذا كل كلمة فيها تهرول إلى قلب القارئ أو السـامع، وباب القلب لهـا مفـتوح. وتشعر مـعها أن حـمل تربية الأولاد، وهمّ متابعة سيرهم في الحياة، ونموهم، والخوف عليهم من نوائـب الزمان، خاصـة قبل أن ينبت الريش، أو بعد أن نبت ولكنه لم يستكمل حتى يستـقلوا بالطيـران، ويـزيد الهم مع كل وافـدٍ جديد. وخـفقـات القلـب تعلو كلما زاد عـمرُ أحدهم سنة، وكلما خرجوا من البيت، أو قاموا

برحلة، أو عطس أحدهم أو كح، أو دفئ جسمه، أو برد، أو عزف عن طعام.

ولترسم صورة العناء ذكرت أنه مر بها وقت لم يجفل قلبها من الموت، ولكنها لم تتمنه، لأنها مؤمنة، وتعرف أن ما تكابده مكتوب، وأن مصاولة الأتعاب والأكدار امتحان يتلوه عون وثواب. ص (٥٩).

عشت الشقا والهم بالقلب مستور
أشيل همي حتى لو كلي انهار
معذور قلبي إن بغي الموت معذور
واللي منعني من تمنيه الأقدار
خمسة وسادسهم رضيع له شهور
مهما كبروا بالعين ما زالوا صغار

ثم تختم هذه القصيدة العاطفية بالاتجاه إلى الله كالمعتاد منها في مثل هذه الحالات، وحتى دعاءها يكشف عن بعض مكنون الصدر، وما تريده من ربها:

يا مشفي من نور قرانك صدور
يا حافظ احفظهم عن كل الأخطار
واشوفهم في خير وبعز وسرور
وكل واحد منهم بي واصل بار

والحزن والرثاء من المعتاد أن يُقربا أكثر من قبل إلى ربها، وفي قصيدة الرثاء المسماة: «يا العنود» ص: (٦٥) تلتفت إلى عقيدتها، وتؤكد حمد الله على النازلة:

من درينا والخبر شب الكبود

أحمد الله على أمر قضاه

وفي البيت الثالث من القصيدة تطلب من ربها التثبيت، وتطلب تسليحها بالصبر، ولا تنسى أن تطلب رضاه، وهو الغاية:

نشتكي لله رحمن ودود

نسأل التثبيت والصبر ورضاه

ولا تنسى الفقيدة الغالية من دعائها في نهاية القصيدة:

جعل «وسمية» بجنات الخلود

تنعم بفردوس ربي من رضاه

وتلتفت التفاتة كاملة إلى ربها وهي ترثي صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد،

في قصيدتها: «ياجعل بره راجح بالموازين» ص: (٦٧):

يا جرك ربي مليك رعانا

ويحسن عزاكم يا مليك حمى الدين

الله يصبرنا ويجبر عزانا

فجيعة هزت قلوب الملايين

وتختم القصيدة ببيتين تتجه فيها إلى الله:

ندعي وربي ما يخيب رجانا

يا جعل برّه راجحٍ بالموازين

يرحمه رب للشريعة هدانا

يا جعل منزاله جنان الشهيدين

وفي رثائها «الشيخة» تمدح دينها فيها. ص (٦٨):

تقــيــة في طاعــة اللـه ودينه

والناس لأهل الدين شاهد ومشهود

ثم تسرع إلى الدعاء:

ويا جعل «شيخة» في جنان حسينه

بدار البـقـا تنعم برضـوان وخلود

وفي قـصـيدتهـا: «بشـرى» ص: (٧٤) تحـمـد الله على مــا أنعم به من اللقــيـا الدائمة:

والحمد لله كاشف الهم والباس

جعل التـلاقي بيننا دوم مقـسوم

ورغم أن «شوق» عـاطفية بحـتة إلا أن روح الدين أنارتهـا فـي آخـر بيت منهـا ص (٨٤)، وأضافت للعاطفة عقلاً:

وبحـول ربي خالق كل مـخلوق

طول العمر ما نبـتعد واهتني بك

وعندما نعود إلى أول الديوان، وأول قصيدة فيه نجد فيها المنهج والفكرة، وما قاما عليه، وما احـتوياه، فـالقـصـيد في الديـوان موجـه إلى العقول الفطينة، وكأنها تقول: لمن يغوص على المعاني، ويعرف الإشارة، ومرمى التلميح، وما لم يقل مما دلّ عليـه مـا بين السطور، فـهـو إذاً ليس لمن يقرأ متصفحـاً، عابراً، يلتقط ما سهل بكسل، وقلة جهد.

ومـصــدر الديوان الصــدر، وهو صندوق الأسـرار، ومقـر الشـعور والإحـسـاس، فيـه مـجـمـع العـواطف، به تنغـرز الأتراح، وفي

أعماقه تستقر الأفراح، وقد جالت فيه حتى وصلت منه إلى روض مربع، فأخذت تقطف للقارئ من وروده، وما وروده إلا المودة والمحبة، والضوء الساطع، والنغم الشجي المطرب، وبستانه مزروع بأغلى الأحاسيس، ومُسقى بأصفى مياه العاطفة الصادقة، فجاء ريح الود أريجاً ونفح الطيب في الأشواق المتوالية، والأشجان التي سمح بأن يباح بها، وأن تعلن، لتدل على ما شَرِبَه مُلتاع، أضناه الحنين.

ما دام هذا المنبع بهذه الصورة المتناسقة فالنظم للقوافي مضمون، يرافقه وزن الإحساس المتقن في نشره، لهذا يأتي الشعور

صورة لما يجيش في الصدر من خواطر عميقة، يختلط في هذا كله الخيال مع الحقيقة، ليضمن أن يعرف القارئ الصورة التي تعتمل في النفس، لأن هذه هي طبيعتها.

في قصيدتها «أحاسيس شادي» تدخل مع باب طرقه الشعراء، وتلغز ولا تلغز، وتبسط قضية لا تبسطها، وتتقن هذا النهج من المخاطبة، وتنصب لها قاضياً ارتضته، ولولا ثقتها فيه لما ارتضته، وتقول إن هناك خطراً على الأشعار، وتكاد تعصف بها رياح هوجاء، مع أن القصيد تمجيد للوطن والطيبين أهله، ويصف الشعور والإحساس، وما يتبع ذلك من عواطف صادقة. ما هو الحُكم ما دام أن

الشعر إحساس، وله أصول ومبادئ، وهذه مراعاة فيما نفثه الصدر، وعبر عنه اللسان؟

وباب الوجدانيات مجال واسع للخيال يروح فيه ويغدو، مما يجعل القارئ المتتبع في تنبه تام، يلاحق الصور، ويحاول أن يلائم بين ما يجمع بين الخيال فيه، إلى ما قد يوهم بالتناقض، ولكن التدبر يوصل إلى أن الصور المرسومة ليست عن حياة فرد واحد مع خدينه، وإنما لأناس متعددين في المجتمع، ومثل عددهم غير المحدد تعددت أمور حياتهم، فهذا واف، وهذا أقل وفاءً وهذا يشك فيه، ولكن بعضَ الظن إثم، وهذا في حقبة الشباب، ولكن لا يلبث أن ينضج. إن الديوان يسجل

قصصاً حية في المجتمع، رصدت بعين لاحظة، لا يغيب عنها ما قد يغيب عن غيرها.

في قصيدتها «هلا» من تخاطبه غال عندها، رؤياه حلمها الجميل، وقد نفهم أنهاً ابتعدت عنه «بطلة القصة - لا الشاعرة) لأن صدرها امتلأ بما يوجب العتب، ويبدو أن مصدر ذلك قول واش يلمح بما ليس في صالح الفريقين، ومع العلم بكل هذا كاد أن يغضب القلب ليجفو ولكنه يأبى ذلك، والدليل على أن القلب أعرف بالمكنون أنه عند انقشاع الغيم نبض الفؤاد من جديد، ودبت فيه روح الحياة السابقة. ومع دبيب الحياة دبت روح المطالبة بالحقوق، اعتماداً على طبع الوفاء ممن عنده

الحق، مما يجعل المطالب به يصر على أخذه.

وعندما تنظر إلى جـملة: «والصمت خلاني عليل» تقول إن المتكـلم رجل والمخاطب أنثى، ولكن في الشـعر يُحتـمل الاثنان؛ لأن القافـية لها حكم مـتسلط، تجـيز مالا يجـوز، بل إن ما تجيزه أحياناً، وهو مخـالف للقواعد، يكون فيه مسقط الفن، ومأوى الجمال.

أما المتحدث في قصيدة «ابذمتك» (ص٧٣) فمن المؤكد أن المتحـدث امرأة، والمتحدث عنه رجل، وقـبل أن تـؤكـد الكلمـات هـذا نلمح طبيعة الأمر في المخـاطب في الأمور العاطفية، ومن يأتي منه الجفاء ومن يأتي منه اللوم، وبأي أسلوب.

حبيب جفا، ثم لسبب، قد تخمنه الحبيبة، وقد نخمنه نحن، يتنسم الحبيب أخبارها، ونؤمل أن يكون ذلك شوقاً، ولكن للحبيبة أنفة وكبرياء، وتسأله، محاسبة، لماذا السعي لوصل الحبل بعد أن قطعه، وتذكرها بهذا القطع كلمة مرقت إلى قلبها كالسهم،وهو قلب عامر بالمودة، وتلمح حالة ضعف تقرب من الموت كانت السبب في عودة الحبيب، ولكن قائمة الحساب طويلة انتهت بقسم أن لا تعود إليه، وستسد كل المنافذ الموصلة إليه. ولا تشكك بعض الكلمات بأن الخطاب من رجل حين تقرأ «ولا نيب ملزوم» فهذه إحدى خطوط الإبداع فيما ترسمه ريشة الفنان.

والمخاطب في «بشرى» يختلف عنه في «من قال بعناك» وهذا يؤكد أن القصائد صور التقطتها الشاعرة من مجتمعها، واقتنصت منها ما يلمس الإحساس، وإذا كانت العاطفة في الأولى مناسبة هادئة، فيها أمل اللقيا بعد الغياب، فإن الثانية خلافها فيها صعود في العاطفة ونزول، وفيها جدل قد نصفه بأنه صاخب، ففيها غضب، وفيها محاسبة، وفيها إصرار على ذلك، وإلحاح على كشف سبب الفرقة، وتلمس من مجرى الأمر أن هناك حاسداً أو واشياً، أو هما معاً، ومع هذا يطل ضعف العاطفة، والتنازل المتدرج، وتحدي العواذل، والركون إلى ما في ركن القلب من

محبة، زرعها خلق المعاتب، من وفاء محا كل ما عداه.

وعلى نسق لا يبعد عن القصيدة السابقة تأتي قصيدة «غلا» عش معها ما شئت من صعود في العاطفة ونزول، وحاول أن تغوص على المعاني دون أن تجد نفسك في حيرة، ألم يقولوا إن «المعنى في بطن الشاعر»، ولكنه إذا باح بشيء منه أصبح شفافاً يُري ما يجنّه الصدر إذا أبى البطن أن يبوح بما فيه بصراحة. المعاتبة تقول إن «كلش كشفته عنك» ترى هل تبين لك، أيها القارئ، المكشوف؟ الجميل أنه لم يتبين، ولو تبين لارتفع جمال المغيّب! هنا سارق اكتشف، ومطالب بردّ السرقة. ولكن

متى؟ تأخذك الشاعرة بيدها، وأنت تنقاد مختاراً حتى لو لم تفض بك إلى نهاية الطريق، ومع هذا فأنت غير حنق، وإنما تحاول أن تتمعن الصورة التي لم تعط لك على صحن فضة، وقد تُرِكْت تغوص وراءها في لجج من بحر المعاني والأساليب والصور.

وفي «مرام» (ص : ٧٨) مطاردة بين المعاني، فما بين ترحيب بالمشاعر، والمعاني الكرام، وهي توحي بالسعادة والسرور على ما يوحي بأنه كان هناك صبر طويل لم يتحقق معه المراد، ورغم التظاهر مجاملة إلا أن صاحب الأمر غير مستريح، ومجرى الحديث يدل على أن المتحدث، صاحب النفثة، رجل، وإن كان

يحق للمرأة في الشعر أن تختفي في جلباب رجل، لتصل الصورة إل مستقرها. والحيرة واضحة بين حالتين في هذه القصيدة، الحالة الأولى الحديث عما قد يكون مصدر الشكوى، والثانية السكوت، فضح الأمر صوت المدامع، والليالي بهدوئها تصير فيها النسمة إعصاراً. إذاً هناك تظاهر، وإبداء غير المكنون، وهناك رغبة للكلام، ولكن هناك خوف من أن يكون الكلام مصدر لوم، وفي هذا صراحة قاتلة، وهناك عتاب مرّ، ولكن القصيدة تختتم بمثل هو حكمة (ص ٧٨):

من غزا الشوك قلبه صار كله حطام

وقال ليتي من أول بالمحبة شحيح

هذا البيت هو خلاصة تلك المشاعر المضطربة المحيرة. فالشوك غزا هذا القلب وحطمه مما جعل صاحبه يتمنى أن لم يكن كريماً في إعطاء المحبة بالقناطير.

ومُنتهَى الغضب، وشدة الهجوم، تأتي في القصيدة «سراب» (ص ٧٩)، ولن ندخل في تفاصيل ذلك، ونتركه للقارئ ليعيش أحداثه بحقائقها و خيالها.

وتأتي بعدها قصيدة «ملامح قصيدة»، وهي من القصائد التي تجلت فيها الشاعرة، بألفاظها ومعانيها، والنغمة المبهجة، وتريك مولد قصيدة، لك أن تقيس عليها مولد الأخريات، تجد جهد المخاض، ثم شروق الحياة، وبهجة

الدنيا تتلوه.

ثم تتتالى القصائد: «عطني دليل»، (ص ٨١) وفيه حيرة ومناجاة، ومتعة في متابعة ذلك، وما يتبعه، وما ينتهي إليه الأمر. ثم قصيدة: «غروب»، وفيها صور جميلة عن القلب وطبعه، خيال حلَّقت به الاستعارة إلى آفاق عالية، تتنسم هناك وأنت فوق السحاب عذب القول نسيماً منعشاً، حتى لا تود أن تنتهي القصيدة ذات الصور المتلاحقة، المرسومة بعناية، لأنها نبع الشعور.

وفي قصيدة: «وهج»، (ص ٨٣) نعود معها إلى أسى ودموع مكبوتة، حتى أن النسيان أصبح معها نعمة، وهو فعلاً نعمة، في حقل

الحب، وفي حــقل الآلام، وفي حــقل نقص الوفاء، وفي حقل الهجران. وعلى هذا يقاس، حتى تحمد الذكرى، وتستجلب وتستعاد.

وقـصـيدة «شــوق» تعلن عن نـفسـهـا، هنا يُفـحص الشوق، صـادقـه وكاذبه، هنا يعـمل المحك، وتفـحص الأدلة، ويُقـبل مـا يصـدق، ويُردّ ما ليس كذلك. وطبيعة القلب من الأمور الغامضـة، تظن أن ما يفحصه يبعـده، ثم فجأة تجد أن ما هو من أسبـاب الفرقة يجعله القلب من وسائل الجمع.

وقـصـيـدة: «الظاهر» (ص ٨٥) فيـها جـدل وعـتاب وتأنيب، ويـطل اضطراب النفس من بعض أبياتها، وتثبت أركان في العاطفة، وتهتز

أركان، ويبقى الكيان الذي تصدت له القصيدة مهتزاً في عين، وثابتاً في عين.

وقصيدة: «معذورة» من القصائد التي تمثل روح الديوان، في تصوير العواطف وهي تسبح في خيال الشاعرة، ملأى بما يجعل الأبيات تنبض بالحياة، وبدء القصيدة يوحي بأننا على وشك أن ندخل روضاً زهت فيه ورود المعاني، وزهور الصور، وعبق المشاعر: (ص ٧٨):

القلب هايب وفكري حارس سوره

صورة متكاملة، القلب واجف، وداخل سور، والفكر يحرسه، يقف ديدباناً، ثم يتلو هذا عدم سماح بدخول الخطر عليه، ولا

خروجـه من السور، ولكن التركيـز يصبح على أسباب الوجيف والهيبة، ثم تزدحم الصور، وما عليك إلا أن تتسلح بحبال توثق بها كل صورة، وإلا أفلتت، لا لأنهـا ضـعيفـة، ولكن لأن مـا بعدها سوف يزاحمها في التدبر والتفكير.

وقصـيدة: «بسـمة»، (ص٨٨) قـد توهم أن الحياة التي سوف تتطرق لها باسمة، وقد يكون هذا في الماضي، أما في الحـاضر، وما تتـحدث عنه القـصيدة فـإنه «مُغَلْـدِم» عابس، والغـيوم حلت محل «الصحـو»، بسبب الوشاة، ويصل الأمر إلى حد القطيعة التامة:

وأقـولها في كـل عزم وثبـاتِ

ما عاد لك هالحين عندي مكانه

ويستمر العتاب في القصيدة المعنونة «عتاب»، (ص ٨٩) وفيها ما فيها من اصطخاب العاطفة، والعزم والتردد، خفقة للحبيب وخفقة عليه، والأمر ينتهي بهذا البيت:

جربت نسيانك بكل التواصيف

وإن مات شوقي الغلا لك حيابي

وفي قصيدة: «يا البندري» (ص٩٠) ما في سابقاتها مما احتوى على شكوى، ولكن الطريف أن الشاكية كانت تطلب منها النصيحة، واليوم هي تطلبها، وبها ختام القصيدة:

كنت أعطي شوري كل ما شفت الأتعاس

وها الحين صرنا ناخذ العلم والشور

بقي أكثر من عشر قصائد سوف لا أتطرق لها حتى لا يطول الحديث، وحتى لا أغمطها حقها إذا اختصرت الكلام عليها، ولعل القارئ بالعناية والأناة، والفكر الثاقب، يجد فيها، وفي ما مرّ، أكثر مما وجدت، وأنصع بياناً، وأوضح فكراً، وأصدق صورة.. والسلام.

(٦) قصيدة «حديقة الغروب»[١]

(لمعالي الأستاذ الدكتور غازي القصيبي)

قصيدة «حديقة الغروب» ديوان في قصيدة لما احتوت عليه من معان وأفكار، ولما جمعته من قوة وتلاحم بين الأجزاء، ولما احتوت عليه كذلك من شموع مضيئة وشموع أراد الشاعر لها أن تخفت، الأولى أفرحت والثانية رمت ظلال حزن، لا لأن غازي حرّك شجوننا نحوه، ولكن أيضاً لأنه ذكّرنا أننا معه في نهاية الدرب.

---

(١) قصيدة الأستاذ الدكتور غازي المشار إليها كانت قد نشرت يوم الأحد ١٤/ ٤/ ١٤٢٦هـ الموافق: ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٥م في صحيفة الجزيرة.

هذه القصيدة شغلت الناس، ولا تزال، لأنها أولاً من غـازي، وهـو الشـاعـر المقـبـول من الناس، لأنه عمَّق الإعجاب بشعره بما تطرق له من أغراض، وما عالجه من أمور، بشعر راقص جزل، وقافية مطربة، لا تكلف فيما يقول، ولا تصنّع فـيما يبـدي، يسيـر على سجيتـه، فعل الشاعر الواثق بنفسه، وثانياً لما احتوت عليه من حسن صنع، وسداد نهج، وجمال عرض، ولما اتسمت به من تناسق بين أجزائها، وتلاحم بين ما فـيها من مفـاصل وتتابع، ولما احتـوت عليه من صراحة، وما ضمته بين أضلعها من دفء، وما أحاط بها من صـدق، وما تجنبته من تكلف أو افـتعـال. سـارت من أولهـا رهواً، ريحهـا

رخاء، وشراعها منفرداً، في خط مستقيم، لا اعوجاج فيه ولا نتوء، وسيطر عليها السهل، وابتعدت عن الحزون.

جاء البدء طبعياً صادقاً، لم يخف الشاعر فيه عمره، مع أن الكذب في الشعر أحياناً جمال، ولكن هنا أرقام لا تقبل أن يعبث بها. خمس وستون هي رصيد حسابي لا دخل له بالشعر، ولكن هاتين الكلمتين تهيء لك أن تدلف رأساً. نغمة الشعر «في أجفان إعصار» صورة بديعة، مغرقة في الإحساس الشعري. الهدوء الذي يتوقع أن تتسم به الأجفان قُرن بخلافه مما هو في أبعد حد للحركة، وهل بعد الإعصار من حركة صورة لا يستطيع أن

يرسمـها في الذهن عند سـماعهـا إلا المتذوق للشعر،فما بالك بقائلها، مقتنص هذه الصورة الناطقة ببهاء وقوة.

وتسيـر الأبيات متـماسكة الأيدي، متـراصة الأكتاف، حتى يوقـفك على محطة أخرى من الإبداع:

أما تعبت من الأعداء..ما برحوا

يحـــاورونك بالكبـــريت والنار

المتـوقع أن يقـال: «أما تعب الأعـداء»؟، ولكن هذا ليس قول شـاعر، وقلب الأمور بجـدارة هو الشـعـر، وهـذه قـوة، تسندها كلمـة «يحـاورونك»، فـــالشـاعـر لم يقل «يحـــاربونك» وهي لصـــيقـة بالـعـداوة

والأعداء، ولكن الشعر لا يقبل الصور المعتادة وإلا لم يصبح شعراً، لهذا قال: «يحاورونك» أليس أعداء الشاعر من يتلمس الهجوم عليه عن طريق كلمة قالها، أو كلمة أوقدوا نارها، ورموا شهبها، وحتى لا يبقى في الأمر رائحة هدوء، أو شيء لا يضر، أكد أن سلاحهم، وهو كلام، هو في الحقيقة كبريت كاوٍ ونارٌ محرقة.

وقد فكر في فصول القصيدة، وأجالها في ذهنه، وأخذ بعضها يحاول أن يسبق الآخر، وصورة الرفاق التي كان يمكن أن تأتي متأخرة مع ما ختم به قصيدته، ولكنها جاءت هنا

لتمهد لإقرار الشاعر بأنه «اكتفى».

والصحب، أين رفاق العمر؟

هل بقيت سوى ثمالة أيام وتذكار

هذه من الشموع التي خبا نورها، وأعقب ظلمة حزن مرير. من لا يعرف شدة وقع النبأ عندما ينزل على الإنسان وهو يسأل عن زميل صباً غاب، فيعلم أنه غاب إلى الأبد؟ ومحش القدر يمر بالناس كلهم، والشاعر في طريقه. وتطل بلاغة لفظ في «ثمالة» إذْ استعملها الشاعر بذكاء وشاعرية في غير ما اعتاد اتصافها به، ولكنه اختيار لهذه الكلمة في هذا المقام لتجعل الصورة ذات ألوان.

ثم يلتفت إلى رفيقة العمر بامتنان، وعاطفة

صادقة، فيها رائحة الاعتراف بالفضل، والإقرار بسابغ المعروف، ولا يكفيه مقابل مواقفها أن يهديها عمره، وإنما يتمنى أن يكون له أعمار حتى تفي ما تستحقه مقابل مواقفها.

لا أشك في أن نساءً كثيرات غبطن أم سهيل على هذه العاطفة المنصبة انصباب شلال هادر، ليس من السهل أن يجود به من الشعراء إلا الشجاع ذو القلب العادل. ذكر وفاءها وأنها لم تتغير تجاهه عندما بدأ الزمن يعصف بشبابه، ولم تتغير تجاهه عنما بدأت علامات الكبر تزحف تجاه صحته، وبدأت شمس الغروب تنزل من أفق قوته.

عند رفيقة العمر كنوز من الحب أعطته منها

خيرها، ومنحته أنصع صفحة فيها، وأعمق ما في كيانها، ولولا هذا العطاء لأصبح ضائعاً في هذه الحياة، مهلهل اللباس، ولصار من الغرقى المتعطشين إلى الحب، الجوعى إلى خيراته، ناقصي الكساء من دفئه.

ويحاول مقابل كل ذلك أن يجد طريقاً لمقابلة هذه الفضيلة بما يكون ثمناً لها، فسبح في سوق بيع مجوهرات الخيال لعله يجد درراً تكفي لإرضاء شعوره بالامتنان، وأخذ أمنيته من بضاعة الشعر، البضاعة التي يعرف مكامن جيدها، وتمنى أن يغرف من البحر ما يرضي قافيته، ومن الغيم ما يملأ قلمه بمداد الاعتراف بالفضل، والمجازاة عليه، ولا تكفيه إلا أشعار

سعتها ورحابتها تملأ الأفق.

ثم بروح الشاعر يملي عليها إجابة لمن قد يسألونها كيف كان؟ إجابة الشاعر المبدع،فيخلط بين العشق وهو غاية الإقبال المقبول بالعنف والإصرار، لنخرج معه بصورة خيالية محلقة، هي من لوازم الشعراء المبدعين، ونحتاج أن نتفرغ لنتملَّى الصورة متداخلة الأجزاء، فهو يأوي إلى قلبها ليجد الدفء والحنان، ويسكن هناك هانئ البال، وهي كذلك تسكن بين أضلاعه. وقد يوحي البيت أن فيه تناقضاً، ولكن الإبداع جاء بهذا الإيهام، فلم يقل بروح النثر أني أسكن قلبها وهي تسكن قلبي، وليس في هذا جديد، ولا صورة

شعرية ولكنه اصطاد معانيه من أعالي السحب، ولا يلحق بإدراك هذه المعاني إلا من جناحاه قويتان توصلانه إلى أعلى حيث الأفق السامي الذي اقتنص الشاعر منه هذه الصورة.

ومنذ أن قال: «إن ساءلوك» ونحن نشعر بوحي الفراق، وتمر سحابة حزن أمامنا، ونحس كأن غازي يرثي نفسه، ويضع الأفكار التي يمكن أن يحتويها الرثاء، ويؤكد ذلك مطلع البيت التالي: (وإن مضيت) ويختلط في هذا البيت الصادق العدل والفخر العدل لأن في الشطر الأول رائحة التواضع، وفي الثاني اعتزاز وفخر، وهذه الأبيات ملأى بالصور المرسومة بإتقان، المعروضة بثوب رشيق، فيها

من الجاذبية والشدّ ما يجعل القارئ لا يكتفي بقراءتها مرة واحدة، ولكنه يعيدها ويعيدها، وفي كل مرة يكتشف إبداعاً في اختيار الكلمات أو رصفها، أو يجد جوانب في الصور هذه لم يتنبه لها من قبل، وهذه سمة الشعر الطبعي، الخالي من التكلف، القوي في عناصره، السهل في تناوله، المحلق في خياله.

ثم تغلب روح الشاعر فيتنقل، وهو لايزال محتفظاً بروح المغادرة، إلى المعجبات، وكأنه يعاتبهن بصيغة خطاب لإحداهن، وهي جميلة، وفيها كل ما يجذب، ويسألها سؤال تقرير: ماذا تريد منه؟ وهو مكبل في عمره هذا بما يجعله لا يلتفت التفاتة اليافعين إلى

الجميلات. ويشير بأصبعه إلى حديقة عمره التي بدأ نبتها يصوّح، وزهرها يذبل، وأصبحت مرعى لوحش خريف العمر الذي لا يرحم، فهو في حاجة إلى مرعى لأنه جائع ونهم.

حديقة العمر التي صوح نبتها، ورعي هشيمها خيال مجنح صادق، استحق أن يؤخذ منه عنوان القصيدة، فالعمر بكل ما فيه، وبكل ما يمر به، وبكل أطواره، يماثل الحديقة، الغناء في جانب، العطشى في جانب آخر، المعتنى بها في جانب، المهملة في جانب، فيها موقع الفرح، وفيها موقع الحزن، هذا مثل الحياة، إلى أن يأتي اليوم الذي لا تنفع فيها العناية، ولا

الإرواء، ثم تبدأ شمسها تميل إلى الغروب حتى تختفي.

وما دام قد دخل وصف الحديقة وما فيها، فلابد أن يفي بحق من فيها، فالطير المغرد على الأغصان، المعشش في ظل أوراقها الخضراء، هجرها، وغادرها وقد جفت الأوراق، واصبحت الأغصان أحطاباً، والورد يبكي عهد الربيع الذي ذهب ولن يعود.

فلما أطمأن إلى أنه أيأسها منه، لم «ييئسها» من آثاره، مصادر فخره، والباقية بعده، أبناء لا تمشي على قدم، ولكنها تطل باسمة مغردة على رفوف المكتبات، تحكي قصة حياته، وسيره فيها، ثم يقول مرة أخرى مذكراً أنه

يودع: «وإن مضيت فقولي: لم يكن بطلاً»، وعند قراءة هذا البيت نتوهم أن مكانه بعد البيت السابق مباشرة، وهو الذي يقول فيه:

وإن مضيت .. فقولي: لم يكن بطلا

لكنه لم يقبل جبهة العار

ولكنه اختار له هذا المكان ليقول: إنكِ عندما تقرئين كتبي سوف تجدين رجلا لم يكن يسير في خط واحد في هذه الحياة، وكان يمزج أمراً ذا طبيعة معينة بأمر طبيعته مختلفة، ولم يخرج الشاعر عن وصف حياة الناس جميعاً في سيرهم، واختلاف فعلهم في زمن عن زمن آخر، ومعاملتهم للناس في النظرة إلى شخص باختلاف عن النظرة إلى شخص آخر، لأن كل

سير في الحياة له ما يحكمه من العقل أو العاطفة، وتغلب واحد منهما على الثاني، وفي كل الأحوال النتائج مختلفة.

ثم يلتفت الشاعر إلى بلاده، وهي هاجس أخذ منه مأخذاً كبيراً، مظهره فيما أداه من أعمال، وما تلفظ به من أقوال، وما أكنه في ضميره من حب واعتزاز وافتخار. وقد رسمت الأبيات التي في المقطع الآتي صوراً من صلته ببلاده، وشعوره نحوها، ويصرح فيها بأن زهرة عمره قد نذرها لبلاده، وروح الشاعر لا تفارقه فالزهور دائماً أمامه، فلم يقل إنه نذر عمره، وإنما زهرة عمره، وهي أغلى ما في العمر، وأبهاه، وهي أيام الشباب. وحدبه

وعـمله هو لعزها، ورفع شـأنها، ومن يعـرف الأعمال التي تولاها يعرف المجالات التي خدم بلاده فـيهـا أشرف خـدمة. ويعـيد نشـر رداء الحزن أمـامنا مرة أخرى ويدعـو لبلاده بالبـقاء في عـزتهـا ومـجـدها، ثم يقـول: «إني حـان إبحاري».

وبشاعرية متناهيـة يرسم صورة لأغنياته بين رمال بلاده في البيد الـشاسعـة، سمـة المملكة وطبـيعتـها، ويرسم لأسـماره علـى شواطئـها الساحـرة سمـره وأنسه. ثم يلقن بـلاده ما يود منها أن تقوله عنه إذا مـا سُئلت، وأنه لم يؤجر قلمه لأحد، وأنـه بقي قلماً شريفاً، يتـرفع عما يشين، وليس مثل غيره ممـن باع واشترى بقلمه

لصالح من هم خارج بلاده، أو زيف قولاً أو دنسه بما يشين.

ويعود إلى اللازمة التي حافظ عليها، لأنها أصبحت من أعمدة هذه القصيدة، وهي جملة: «وإن مضيت فقولي».

فيرسم صورة أخرى لما قد يظن أنه تناقض، وهو ليس كذلك، وما هو إلا صورة من صور التواضع البديعة. والناس لا يوافقونه على أنه لم يكن بطلاً، خاصة وهم يذكرون مقالاته الملتهبة أيام حرب الخليج، وقد قال ما جبن كثيرون أن يقولوه.

ثم يُدِلّ على بلاده، وله الحق في هذا، فيلقن بلاده أن تقول إن غازياً طفلها، وهذا يعني أنها

أمه، ونعم الصلة، ونعم القرابة. ولا يكفي هذا فهـو حبيبـها، له في قلبـها حيّـز واسع، وهذا مجال فخر واعتزاز.

وهو قيثارتها التي تعـزف مفاخرها، وتميّزها، وما هي عليـه من رفعة شـأن، وحسن سمـعة، وبُعد صيت.

وعند الغروب يبدأ التسبيح، والاتجاه إلى القبلة لمناجاة اللـه -سبحـانه وتعالى- فـهو في الذهن أولاً وآخراً، وإليه المعاد، وخير ختام الكلام شعراً أو نثـراً ذكـره، والتـوجـه إليـه، وهذا مـا فـعله الشاعـر، فبعد أن ناجى من ناجى، وأخـبرهم بما يريد منهم أن يقولوه عنه، التـفت إلى ربه، التفاتة العابد المخلص، الشاعر بثـقل ما قدم مما لا يعرفه

إلا علاّم الغيوب، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، من أسرار ونيات، مُقراً لله بكل هذا، ومُقراً بما منّ الله به عليه، مما يؤمل أنه يغلب كل ما حمله من أوزار، لأن هذا الإيمان عميق، ومهما كان الوزر الذي أقدم عليه عارفاً أو جاهلاً، فلم يقترب قيد شعرة من إيمانه، الذي بقي عميقاً، شامخاً، لا تصله شطحات فكر، أو عثرات سير.

ثم يختم القصيدة بهذا البيت البديع، الذي تضيء، كل كلمة فيه بما تحمله من معان نبيلة، وصور بهية جميلة:

أحببت لقياك.. حسن الظن يشفع لي

أيرتجى العفو إلا عند غفّار

لا يخـاف غـازي الموت، بل يرحب به، لأنه يأمل في لـقـيـا ربه، وهو يعــرف أن كل من يموت، مـا لم يكن مـعصـومـاً، فـلا يخلو من أوزار تكبـر أو تصـغـر، تقل أو تـكثُـر، ولكنه يضع كل أمله في تسهـيل الحساب وبما اتصف به جلّ وعلا بأنه الغفار.

هذا البيت هو غطاء وعاء الحزن، الذي رافق غازياً مع قصيدته من أولها إلى آخرها.

هذه القـصيـدة شغلت الناس عن القـصيـدة الجاهلية:

إن الثــمــانين و بـلغــتــهــا

قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وقـد أوحت هذه القصـيـدة التي أتحفنا بهـا

غازي للشاعر الكبير الأستاذ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس بقصيدة ضافية، وكأنه يقول لغازي: أين أنت مني؟ كان بالإمكان أن تكون ابني، فأنا أطل على الثمانين:

تسع وسبعون .. يا شمعات مسياري
أمضيتها بين إعسار وإيسار

والهيكل العظمي لقصيدة غازي واضحة: إخبار عن عمره، وعن كده وكدحه، وفقده للصحب، ثم مناجاته لزوجه، ثم دفعه للمعجبات، ثم مخاطبة وطنه، ثم اتجاهه إلى ربه في الختام. وقد كسي هذا الهيكل باللحم والدم والعروق، فجاء كياناً متميزاً، يهنأ الدكتور غازي على إجادته في وصف ما أقدم

على وصفه.

هذه عجالة سريعة، ألقت الظلال على ما في ذهني وأنا أقرأ القصيدة، وأعيد قراءتها، وأتملّى مما فيها من معان وصور، ولا أشك أن هناك غيري ممن غاص إلى ما لم أصل إليه، فأرجو من الله أن يهب لغازي عمراً مديداً، وأن يتعدى المئة، وأن تكون قمة الهرم هي الخامسة والستين، وأن يكون نزوله بطيئاً وهادئاً، وأن يأخذ من الوقت في النزول مثلما أخذ في الصعود إنتاجاً وسعادة، وأن يعطينا عهداً أن يقذف بعيداً بقناع التشاؤم، وأن يتفاءل بالخير ليجده.

(٧) كتاب (تراث الأجداد) [١]

الأخ أبو سعد محمد بن عبد العزيز القويعي عاشق التراث، تعلق به، بحث عنه، جرى وراءه، غاص على مظانه، أكرمه بجمعه إياه، وخدمه بحسن تصنيفه، واجتهد على العمل في اكتمال أجزائه، وأحله من نفسه واسع صدره، وفي بيته أفسح له مكاناً، بل لقد أصبحت مأثوراته تزاحم أهله وأبناءه فيما لهم من نفسه من حب موطنه عادة سويداء القلب.

لقد اختار لوحدات التراث التي اختارها

(١) نشرت في الثقافية في صحيفة الجزيرة يوم الإثنين ٢٠/ ٥/ ١٤٢٦هـ الموافق ٢٧ يونيه ٢٠٠٥م.

أرحب مفحص في بيته، حتى أصبحت هي ربة الدار وغيرها ضيف عليها، أصبح لها المقام الأول، والصحبة الدائمة، شغلت منه الفكر، وأخذت منه المال، واستنفدت الجهد. خدمها بحبه لها، وحدبه عليها، وعرّف بها، وأراد الشباب أن يعرفوها، وأن يقدروها حق قدرها، فهي الحلقة الواصلة بين زمنهم وزمن آبائهم، ومن غير معرفة هذه الصلة معرفة تامة بكل جوانبها يحدث الانقطاع الطبعي في التاريخ، ويضعف بذلك الاعتزاز بالأصول، والفخر بالأعراق، والاقتداء بما قام به آباء عانوا وكافحوا في ظروف قد لا يتصورها الأبناء، وإذا شرحت لهم يكادون لا يصدقونها،

لبعدها في شظفها و شحها عن رفاه الحاضر والوجد فيه.

الأستاذ الكبير خير الدين الزركلي -رحمه الله- بدأ مكتبة في غرفة في ملحق بيته، ثم بدأ يضيف إليها كتاباً بعد كتاب، فامتلأ الملحق، فزحفت إلى البيت، وأخذت البيت، واستطاع -رحمه الله- أن يتدارك له سكناً في الملحق.

الأخ محمد يستحق أن يُشكر شكراً جزيلاً على هذه الهواية، وما أجملها من هواية! ولكن الحب أحياناً ثقيل المؤونة، يشيب بصاحبه، ولكنه حب يملأ النفس رضىً.

أعانه الله ووفقه.

(٨) مع قطرات سحائب السدحان[١]

يقرأ القارئ لمعالي الأخ الأستاذ عبد الرحمن ابن محمد السدحان مقالاته المتناثره في المجلات والصحف وقد لا يعرف منها صورة كاملة عن طول باعه في الأدب، ولكن من يقرأ كتابه: «قطرات سحائب الذكرى - سيرة ذاتية»، يدرك فعلاً أنه أمام أديب يجيد التخطيط لعرض أفكاره، واختيار الأسلوب الملائم، واقتناص التعبير الجذاب عن طريق البيان والبديع، استعارة وكناية ومثلاً، فالأسلوب الراقي في الكتابة يساعد القارئ على التبصر في المادة التي يقرؤها، وعلى

التدبر ثم الاستيعاب والهضم، مع ضمان المتعة الكاملة لما أراد لها الكاتب.

بهذا الكتاب وفق معاليه للدخول في «نادي أصحاب المذكرات الشخصية»، وهو ناد رحب من دخل من بابه طائعاً مختاراً أغلق على نفسه عن رضى هذا الباب، ولم يخرج من ناديه، لما يكتشف فيه من فوائد جمة، منها أنه يسهم في كتابة جزء من تاريخ زمنه عن طريق سهل موصل. وفي نظري أن المذكرات الشخصية المحايدة هي في مقدمة مصادر التاريخ العام الصحيح.

وإني ابتهج كلما رأيت كاتباً يكتب عن طفولته، وعن البيئة التي عاش فيها، والمجتمع

الذي أحاط به، ويرسم ما مر به من أحداث قد تكون طفيفة، في زمنها، ولكنها مع مرور الوقت تصبح حدثاً مهماً فيما بعد، وقد تملأ فراغاً لا يملؤه إلا هي. وعدم تكلف الكاتب فيما يكتب، وتركه القلم يسير رهواً على الورق يضفي على المذكرات قوة تجعلها في محل الثقة والقبول.

والمملكة العربية السعودية اليوم مترامية الأطراف. وكانت أجزاؤها في الماضي متباعدة إلى أن وحدها الملك عبد العزيز -رحمه الله- لقد كانت حينذاك العادات متباينة، والمظاهر الاجتماعية مختلفة إلى الحد الذي قد يحرج معه ضيف انتقل من منطقة إلى منطقة أخرى،

لأنه يجهل عادات المنطقة التي وفـد إليها، وقد يأتي بما هو منتـقد. كـانت العادات والتـقاليـد ترسـبت بعـد قرون، وأصـبحـت تلائم حيـاة الناس اجـتماعـياً وسـياسـياً وحربـياً، ورمت ظلالها على ما أصبحت عليه من صورة.

بعد تـوحيد المملـكة بدأت الاختـلافات في العادات والتـقاليد بين أجزاء المملكة تتـوحد، وبرزت عـادات وتقالـيد هي صـفـوة ما كـان قائمـاً، يحكمها المنطق والعـقل، مع الاستنارة بتعـاليم الدين، وتبلورت هذه بعفـوية تامة، لا تكلف فـيهـا ولا تعقـيد، جاءت مـتناسبـة مع الحياة الجديدة.

لهذا من يقرأ هذه «القطرات» يجـد في حياة

معالي الأخ عبد الرحـمن ما يشدّه، وما يجعله «يقـرّب حاجـباً مـن حاجب» من الدهشـة في أمور كـانت سائدة في مـنطقة عـسير ومنـطقة جازان، ثم بهـتت الآن واختفت، وأقـرب مثل دعوات المآدب، والتكاتف في تحمل مصاريف الاحتفـال بالضيف القادم، أو المناسـبة السنوية إذا حلت. ويدهش القارئ وهو يقرأ التفاصيل في التنظيم، الذي تسلسل من عصـور ماضية، وتبلور إلى مـا أصـبح عـليـه مما يلائم ظروف المجتـمع بأفراده: الأغنياء والفقـراء، ويبرز في هذا الاستفادة من خـبرة رجل أصبح علَماً في القـريـة في تقطيع اللحـم، وتقـسـيـمــه على الحاضـرين، كل حسب مقـامه، بدقة واقـتدار.

وإذا كان هذا محل الإعجاب فليس هو العمل الذي يستوقف ابن اليوم ولكن أخذ كل فرد، تبقّى من حصته شيء لم يأكله، إلى بيته، ليتمتع به في اليوم التالي. وأهل عسير ليسوا بدعاً في هذا فبعض الأقطار في الغرب يفعلون هذا ليس في الولائم ولكن في المطاعم، يأخذ أحدهم ما تبقى، لأنه قد دفع ثمنه، فإن أبدى السبب، وإلا اعتقد أنه أخذه لكلبه أو قطته.

تمتعت كثيراً بالفترة التي قضاها كاتب «القطرات» في عسير وجازان، وأكبرت عراكه مع ظروفه والبيئة، وهو ما صقله، وهيأه لما وصل إليه من كفاح في الدراسة العالية ثم في

العمل فيما بعد.

من بين ما تطرقت له هذه الذكريات العزوف عن الدراسة في الصغر، مما يجعلنا ندرك أن هذا لم يكن وقفاً على هذه المنطقة أو تلك، وإنما هو عام في جميع المناطق، لأنه ملتصق بتكوين الطفل وسير الدراسة، وتصرّف المعلمين، والفكرة الخاطئة حينئذ عن التربية والتعليم، وترك الطفل لتصرف رجل جاهل، ينفرد بتشكيل نفسية الطفل، ونظرته للحياة، وتفرده بالعقاب الجائر دون رقيب، بل بتشجيع من أهل الطفل والمسؤولين.

وقد أعفى الله طفل اليوم من العصا ومن الفلقة أو الفلكة بعد أن أحيلتا على التقاعد،

وأصبح عقاب من يتعدى الحدود يمر بمصفيات قبل أن ينفذ، وأصبح الهدف من العقاب التقويم لا تفريغ الغضب ولا التشفي.

لقد ذكر ما يؤكد أن المقبل على خيارين من الدراسة يحتار، هل يذهب إلى القسم العلمي أو الأدبي؟ وكل من حوله يبتعد عن نصحه خوفاً من أن يلام إذا أخفق الطالب حتى والده، وحيرة الطالب تأتي من حمله هم فراق من يعزهم من زملائه، فهل يتبع رغبته أو يتبعهم، وتأتي الحيرة أحياناً من أن رغبته في القسم الأدبي، ولكن المستقبل للعلمي لتعدد مجالات التوظيف فيما بعد التخرج، والأغلب عندما يقرر هذا أو ذاك يضع في ذهنه التحدي

للنجاح حتى لا يكون عرضة للشامتين.

لقد استفاد الكاتب من تذكره للحقائق، ولكنه لم يسردها سرداً جافاً دون تدخل في البحث عن الأسباب التي أدت إليها، أو في بيان النتائج التي انتهت إليها، وإنما جاء بهذه الحقائق مسربلة بالتحليل الذي يعتقد الآن أنه كان يحكم هذه الأمور آنذاك، وهذا أدى إلى إيقاظ ذهن القارئ لقبول الرأي المبدى، أو رفضه، أو الإنقاص منه، أو الزيادة فيه. جاء هذا تحريكاً للساكن، وحفزاً للمشاركة في رسم الصور، حسب ما مر على كل شخص في صغره.

لقد أبرز الكاتب بصراحة تأثير بعض

حوادث الصغر على الإنسان في كبره، وبين كيف تترسب بعض الأمور العابرة داخل النفس، فتلوّن سير الإنسان في الحياة، فدرس الحساب عنده أصبح كريهاً لتصرف المدرّس السيء عندما يخطئ الطالب فيه، والطريقة التربوية السقيمة المتبعة حينذاك، وهي في خطئها الفادح كان يظن أنها الطريقة المثلى، لأنها الطريقة المتوارثة التي حفرت جواد عميقة في الأذهان. وهناك كذلك حادثة الكلب التي رافقه رعبها إلى اليوم.

إن في هذا عبرة للآباء والمربين ليُجنبوا الصغار ما يمكن أن يرسخ خطأً في أذهانهم مما لا يمحوه الزمن، أو تخلقه الأيام، ويبقى ندوباً

غيـر حميدة في أعـماق أنفسـهم، تظهر آثارها على تصـرفهم، وتحـرمهم السـعادة التي كـان بالإمكان أن ينعموا بها.

والمذكـرات تعطي صـورة واضـحة لجـهـاد الناس في ذلك الـزمن وهم يسـعـون لـتـأمين مـعاشـهم، وهذا يكشف حـديث الكاتب عن والده وعن جده بـصفة مـفصلة، وعن غـيرهم بصـفة عـامة. ومع هذا فـالمعيـشة في عـسيـر حـينذاك أيسر منهـا في نجـد بدليل ذهاب أهل نجـد إلى عسـيـر أو جازان طلـباً للمـعيشـة. وبمقارنة حيـاة طفل عسير بحـياة طفل نجد في الزمن نفسـه نجـد أن طفل عـسـيـر في حـال أحـسن، لأنه يتناول فـطوراً، ويأخـذ مـعـه

للمدرسة خبزه، وهو ما لم يكن متوافراً لطفل نجد.

هذا الكتاب من الكتب التي إذا بدأ المرء قراءتها لا يستطيع تركها إلى غيرها إلا بعد أن يكملها، وأكتفي بما ذكرته حتى لا أطير الحمامة من القفص كما يقول المثل.

أرجو أن لا يجعل أبو محمد هذه القطرات بيضة الديك، وأن يتبعها بأخرى وأخرى تكشف جوانب لم تكشفها هذه، فما من كاتب مذكرات يمكنه أن يدعي أنه أتى على كل شيء في حياته في الصغر في أول جزء، لأن الذاكرة سوف تمده لاحقاً بما غاب عنها سابقاً.

وما دام الكاتب سمّى مذكراته «قطرات» لا قطرة فهذا عهد منه أنه سوف يتبع هذه القطرة قطرة فقطرة، ووعد الحر دين عليه.

أود أن أوجه، في نهاية هذه الكلمة، رجائي وندائي إلى كل صاحب قلم، وإلى كل جامعي، وإلى كل صاحب عمود في الصحف إلى كتابة مذكراتهم، كل في منطقته، ولو استجابوا لجاء من هذا خير عميم. وأنا أضمن لكتاب الأعمدة أن الإقبال على قراءة ما يكتبون عن حياتهم سيكون أعظم من الإقبال على ما يكتبون الآن عن غيرها.

والله المستعان.

(٩) صدى السنين[١]

لحنان السيف

تتجمع الكتب المهداه لي، والتي ابتـعتها على «طاولة» على يسـار المكتب الذي أجلس عليـه للكتـابة، وتتـراكـم حـسب ورودها، وتصـبح هرماً بجانبه هرم، ثم تتكاثر الظباء على خراش فلا يدري ما يصيب منـها، ولضيق الوقت أمام الطمـوح للقـراءة والكتـابة وأداء العـمل على الوجه الأكمل، والقيام بالواجبـات الاجتماعية من ذهـاب للتهنئة بـزواج، أو التعزيـة بوفـاة،

(١) نشرت في صـحيفة الجـزيرة الثقافـية يوم الإثنين ١٤/ ٦/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٠/ ٧/ ٢٠٠٦م، العدد: ١٦١ .

أو حضـور مناسبة ملْكة، أو مجيء حـبيب من سـفـر، أو الـذهابَ لتـهنئـة بمولود، أو زيارة مريض، لهذا كله أتمنى أحيـاناً أن يعيرنا لاعبو الورق «البلوت» بعض وقـتهم، نحـيـيه بما فـيه أجر وثواب.

قبل شـهر جـاء دور قراءتي لكتـاب «صدى السنين» للكاتبة المبـدعة حنان بنت عبـد العزيز بن عثمان السيف، فـقرأته بمتعة، وأعدت قراءة بعض المقالات مرتين، لتميزها بما أجد أنه مفيد وممتع. وقـد أهدتني المـؤلفـة الكـتـاب في ٢٥/ ٧/ ١٤٢٦هـ، وكـان أمـامـي طوال هذا الوقت، ينظر إليّ، وأنظر إليه، يدعـوني لأقرأه وأدعوه لينتظر حتى أجد الوقت الذي أطمئن

فيـه إلى أن ذهني في راحة تامـة تليق بمثل هذا الكتاب الذي أجده يتجاوب مع ما لا أفتأ أدعو إليـه، وهو الحـرص على جـمع المقـالات التي يكتبها الكاتب مفرقة في الصحف أو المجلات، أو ملقاة في محاضرة على جمهور من الناس.

هذا الكتـاب هو مقـالات نشـرت تباعـاً في تواريخ مـختلفـة، أو صحف أو مجـلات، نوه عن ذلك في أسفل الصفـحة، زيادة في الفائدة والتوثيق، وهي أول مـا يلفت نظر القارئ على توقيره واعتبـاره من قبل الكاتب. وبعد قراءتي للكتـــاب قلت في نفـسي لو كـــان الأمـر لي لسـمــيت الكتـاب «إضـاءات»، لأنـه مـشع بالأفكار النيّـرة. ولا تجد مـقـالة واحدة تقـول

عنهـا إنها حـشـو، بل كل واحدة أتت صـورة صادقة بما كانت الكاتبة الكريمة تريد أن توصله إلى ذهن قرائها بأمانة وصدق.

من فوائد الكتاب العامة أنه يؤرخ لفكرنا في هذه المرحلة، وسيكون في صـداه رجع صادق لمن سـوف يؤرخ للفكر عندنا عندمـا يتعـرض كـاتب لرسم صـورة لمواكـبـة الـفكر في هذه الحقبة لما يمر به المجتمع من أنغام فرح، أو آهات ترح. وهذا هو ما سـبقنا إليـه كتاب الحـضارة الإسلامـية منذ عصـر العباسـيين، وما ننعم به الآن من لذة فكريـة نجـدها فـيـمـا تركـوه من خواطر ترسم صـوراً مختلفة، عـما كان يدور حـولهم، مما أصـبح اليـوم مـثـلاً يقـتـدى به،

وأضحى موحياً لنا بالإبداع في ضوء ما يمر به العالم اليوم من تقدم تقني، ومصادر ثرة للمعلومات.

قراءة المقالات تؤكد عمق ثقافة الكاتبة، وسعة اطلاعها على كتب التراث بأنواعها دينية وتاريخية وعلمية وثقافية. وعلى اطلاع على سير الرجال عبر عصورنا المشعة. وتبتهج وأنت تقرأ لها إشارة إلى أديب فطحل ولكنه مغمور إلى حد ما، ولكنه معروف للمنقبين، والباحثين، ثم تفاجأ بها وهي تشير بنباهة وذكاء إلى أديب غربي أو شرقي، مما يوحي بما رشفته من رحيق أزهار متنوعة، والحقيقة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها، ومن المقالات التي

تكشف عن عمق الثقافة وسعتها، المقالة الأولى (ص ١١) «الصداقة أصناف شتى».

هل سمعت بالشاعرين الخالدين أبي بكر محمد بن هاشم وأبي عثمان سعيد بن هاشم؟ إذا كنت قرأت «يتيمة الدهر» فأنت بلاشك سوف تعرفهما، وأخشى أن يكون هناك من الجيل الحاضر من لم يسمع «بيتيمة الدهر» للثعالبي. من فوائد قراءة المقالات أو الكتب التي تجمعها أنها تغريك بالبحث عن مظان ما قرأت، فأرجو أن يكون في هذا باعث لك على قراءة «يتيمة الدهر» إذا لم تكن قد قرأتها.

وهل قرأت «الفهرس» لابن النديم، إنه

كتاب مفيد جداً، وهو من مصادر الكاتبة في مقالتها الثالثة (ص:٢٢) وهل سمعت بالشاعر الظريف (نصر الخبر أرزي)، فهو ممن ورد اسمه في هذه المقالة (ص:٢٣) هذه الأسماء للكتب وللأشخاص تعطي فكرة عن مدى سعة اطلاع الكاتبة، وعن عمق إيمانها بمصادر ثقافتها، وولائها لها، ولم ترد أن تنفرد بالنفع بل أشركت جمهور قرائها، وهم من همها أمرهم في اختيار الموضوع، وفي معالجته، واختيار الأسلوب الذي يضمن اجتذابهم.

من الكتاب الذين وشى أسلوبها بأنها من مدمني قراءة إنتاجهم الثر الجاحظ، وهو كاتب له مريدون كثيرون في كل زمان، ومن أظهر

جوانب أسلوبه الجاذب الترادف في الكلمات والجمل، وهو أمر محمود، لأن فيه زينة للأسلوب، وضماناً لفهم المعنى، فإذا كانت الجملة الأولى غير واضحة فرديفتها تتكفل بالوضوح، وهذا أيضاً مظهر احترام لذهن القارئ، وحرص على إيصال الرأي دون منّة.

وتأثر كاتبتنا بالجاحظ أمر مرحب به ممن عرف الأساليب الأدبية، قديمها وحديثها، وإذا كان الترادف في الكلمات يعد أوتاداً مثبتة لمعناها فكذلك الجملة فالجملة الثانية مثبتة للأولى.

ومن الأمثلة التي يأتي فيها التتابع والترادف دون تكلف قولها في المقدمة: «تأتي صيد الخاطر، ولمح الناظر» (ص:٩). ثم «من ذوق

رفيع، ومن أسلوب بديع» «وكم تبلغ بك السعادة كل مبلغ، وتأخذ بك البسطة في كل مهيع» (ص:٢١) ثم «من الذين علوا الزمان، وتصدروا حلبة الفكر والبيان، ومازال نجمهم ساطعاً، وسعدهم طالعاً، وذكرهم ناصعاً، الجاحظ..» (ص:٩١) ثم «وقد يكون من أول هذه الأوجه أن كلاً منهما يعلمك العقل قبل الأدب، فيوقظان ذهنك، ويخاطبان قريحتك، ويصقلان فكرك» (ص:٩١) من جمل الترادف قولها في (ص:١٤٢): «الوجدت الفرق بيّناً، والبون شاسعاً». وفي (ص:١٥٢) قولها: «كلامه -صلى الله عليه وسلم- بلسم شاف، وترياق مجرب».

وقولها : (ص:١٥٦): «ولا غرو في ذلك فالمتنبي مخترع مفلق، ومبدع معجز». وفي (ص: ١٦٧): «وتظل مواهبنا وقدراتنا مدفوعة في داخلنا، مخزونة في خبايا نفوسنا، وتحتاج إلى طاقة جبارة لترى ضوء الشمس، ونور النهار». وعيناها أغرقها الدمع، وقلبها هصره الحزن، ومع هذا لم يهجرها أسلوبها المفضل، بل أسعفها في هذه اللحظة القاسية، قالت في (ص:١٨٥): «وفيها حكمك مضى، وعدلك قضى»".

وأكتفي بهذه الأمثلة عن التتابع والترادف في أسلوبها، وتكاد تجده عدة مرات في كل صفحة تقريباً. والمجال ليس مجال استقصاء.

بل إن هذا التتابع والترادف يعجبها من دون أن تشعر في بعض ما تقتبس من أولئك الذين اتسم أسلوبهم بهذا. (انظر ص: ١٥٧، عندما اقتبست من أبي حيان التوحيدي، وكذلك في ص: ١٥٨).

يُعجب القارئ باختيارها للمواضيع التي تكتب عنها، ونظرة إلى فهرسها تجعلك تجيل طرفك في روض نضر، سواء كان ذلك في الموضوع المطروح، أو في العنوان المختار، فمن الحديث عن أمور عامة تهم المجتمع أو تفيده، أو أمور فيها اختلاف وتحتاج إلى تقرير وضع لها، تساهم هي في طرح وجهة نظرها، إلى اختيار أشخاص

مختلفـي الفكـر أو المـهنـة أو الطبيعـة أو النهج، أو مختلف على موقعهم في فكر الحضـارة الإسلامـية، وسـياحـتهـا في هذا الجانب تمر بأزمان قـديمة وحديثة. وفي كل ذلك تـوثق مـصـادرها، وتكشـف عن حرصـها على أن يكون مـا تقول نافـعاً في أكـثر من مـجـال، وأوسع نطاق، فـعندها حـاسة المدرس الذي لا يكتـفي بإعطاء مـا هو مفيد لتلاميذه، وإنما يدلهم على البستان المفـتوح برحـابة لكل من أراد أن يقطف مما فيه من زهور أو فـواكه، او يطرب بما يغرد فيه من بلابل.

دلّت في مـقـالاتهـا، ورصـد مـراجـعـهـا

ومصـادرها على كتب ابن تيميـة، وابن القيم، وعلى مـعجم الأدباء، ليـاقـوت، ودواوين الشـعـراء الكبـار من أمـثـال المتنبي والمعـري وغـيرهمـا مما هو مـرصود في ثنايا المقـالات. وعلى يتيمة الدهر للثـعالبي، والفهرست لابن النديم. وكـتاب إنباه الرواة لـلقفطي، وكـتاب البـداية والنهـاية، لابن كـثيـر، وتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبـري، وشذرات الذهب لابن عماد، وهذه موسـوعات، وفيما كتـبته ما يدل على أنها قرأت هذه الكتب، واسـتوعبت ما فيها، واختارت ما رأت أنه يخدم غرضاً من الأغراض التي في ذهنها. وما هذه إلا نماذج لما أطل علينا في ثنـايا كتـابهـا. وثبت المراجع في

آخر الكتاب يجعل المرء يفـخر بأن الفتاة عندنا وصلت في هـذه المدة القـصـيـرة منذ بدأت مـدارس البنات إلى هذا المسـتوى، وقـد بزّت كـثيـراً من الذين يكتـبون من الرجـال، وكنت دائمـاً أقول: إن كـان الرجل وصيـاً على المرأة والحديث عنها في الزمن الماضي فقد آن الأوان أن يُقرّ أنهـا لا تحتـاج إلى وصايتـه الآن، وأنها اليـوم في وضع فكري ناضج، وإدراك ثقـافي مـتقـدم، فلا داعي اليـوم أن يتكلم رجل عمـا يخص المرأة من شـأن. الـنسـاء في هذا أكـثـر صـواباً من الرجـال، الكاتـبـات لا يكتبن عن شـؤون الرجـال، وإن حدث فلمـبـرر لا يمكن تجاهله أو تفاديه، أو لشـعور بأن الرجل لم يقم

بحقه نحوه.

قرأت المقدمة أكثر من مرة، لما وجدته فيها من عمق في الفكر تجاه المقالة، وبراعة في معالجة هذا الجانب المهم. وهي مقدمة لائقة بكتاب يحوي مقالات متميزة، وقد بررت جمع المقالات في كتاب خير تبرير. وحق على كل كاتب «عمود» أن يقرأ هذه المقدمة، ففيها رسم لخطوط يستوجب من يكتب أن يراعيها، والكاتبة بذلت من التفكير ما جعل هذه المقدمة تستحق أن تسمى مرجعاً.

المقالات عموماً من النوع الذي لا تكفي فيه قراءة واحدة، أو قراءة سطحية، وقد أغرورقت عيناي بالدموع وأنا أقرأ المقالة

الثالثة والخمسين: (حورية تزف إلى القبر) (ص:١٨٤) ما أن توغلت فيها حتى احتجبت الرؤية عن عيني، لأنها كتبت بقطعة من مهجة حرّى، هصرتها الكآبة، وهي ترى شمعة غالية تعاني وتذبل تدريجاً حتى انطفأ نورها بعد نوبات يأس، ومرات أمل، فانتصب في النهاية الحزن بقامة مديدة، ويد ضاغطة، وكلكل عاصر، يعضده عظم الفقد، ودوام البعد، بعد القرب المبهج، ولم يبق إلا ذكريات تنبش الدفين، وتنكأ الجرح، ولكن الإيمان قوي جاء آسيا، واللجوء إلى الله، من بيده الأقدار، ظهر الاتجاه إليه، والتسليم لأمره،

والخضوع لإرادته، أملاً في الأجر، والمنّ بالصبر في العنوان «عرس».

أكتفي بهذا وهو قليل من كثير، ما جئت منه إلا بما أحاط بالعنق.

والله ولي التوفيق.

(١٠) «الجنية» لمعالي الدكتور غازي القصيبي[١]

تعب معالي الدكتور غازي، مثلنا، من إعمال العقل، وقدح زناده، وسنّ سكاكينه، وشحذ سيوفه، وأجهد نفسه في تقليب صفحات كتابه، والتنقيب في صحرائه حزنها وسهلها، واستخراج ما ظن أنه كنوز تهدى لمن يتطلع إلى الإهداء، جاء الدكتور غازي بكنوزه العقلية نثراً وشعراً أو في صورة رواية هي من صدى الواقع.

هذا التعب جعل الدكتور غازي يلجأ إلى

(١) نشرت في الجزيرة الثقافية يوم الإثنين ٤/ ٨/ ١٤٢٧هـ الموافق ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦م.

الإحـماض، ويغيـر مـجـرى إطلالاته على القراء، فـبدلاً من نوافـذ الواقع في النثر وشـبه الواقع في الشـعر، وصـدى الواقع في القصـة والرواية، فَرَدَ جناحـيه، وطار إلى آفاق الخـيال البعيدة، واختار طبقة عـالية ألقى عصا التسيار فـيهـا، وأخـذ يجول فـيـها بـحرية لا تعـرف الحـدود، ولا تخـشى الارتطام، فـالويل لمن ارتطمت به، وكـان كـريماً فـأخذنا مـعـه على جناح مـركبـة الرحلة، إلى عالم آخـر لم يكن غـريبـاً على بعـضنـا، فـقـد سـمع عن بعض المتناقـضات عنه، فالجن شـغلوا أذهان الناس، لأنهم أرضـعوا لبـان قصـصهم وهم أطفـال، وبهذا حفـرت في الذهن عنهم قصص يجندل

بعضها بعضاً، فهم في بعض الأذهان شريرون، وفي أذهان أخرى هم خيرون، وفي أذهان بعض الناس، ممن شبوا عن الطوق، لا وجود لهم إلا في حدود ما ذكر الدين.

أخذنا الدكتور في رحلة الفضاء هذه إلى عالمهم، فلم يترك شاردة ولا واردة عنهم إلا عرضها ومحّصها، ووصل فيها على لسان أحد أبطال روايته إلى رأي راجح أو مرجّح أو متأرجح بين هذا وذاك. لقد بحث الدكتور غازي بحثاً عميقاً، ونقَّب تنقيباً متواصلاً ودقيقاً، فشرب ما في الكتب، واقتطف من الأفواه، جاء بما يشعر القارئ أن الدكتور غازي يحس أن هذه فرصة يساهم فيها بتثقيف

القارئ الذي قد لا يجد الفرصة لما استطاع الدكتور غازي أن يفعله. ولا يمكن أن يتصور أحدنا أن هذا عمل سنة أو اثنتين، ولكنه عمل سنوات. وإحاطته بالموضوع من التراث يشهد له فيها عدد المراجع التي رصدها في آخر كتابه أو ذكرها في أثناء فصول الرواية. أما مقدرته على السياحة المحيطة، على مناطق المملكة وغيرها، ودخول المجتمعات ومعرفة صورة الجن في أذهان الناس فتشهد له الحقائق المحيطة بالموضوع، كما قلت، ويكاد القارئ يتأكد أن الدكتور غازي عاش في هذه المناطق ما عاش فيها أهلها، لدقة الوصف، والغوص إلى ما وراء السطح. نستطيع أن نصف هذه

الرحلة السياحية بالرحلة العسلية. أليست تماثل تنقل النحلة من زهرة إلى زهرة، ثم هضم ما أخذ في بوتقة تحيله إلى عسل؟ وأرجو أن لا تحتج النحلة من تشبيهنا لها بإنسان وهي الخالية من عيوبه!

لا يغيب عن بالي أن أنبه وأحذر القارئ أن لا يقرأ الرواية قبل النوم، ففيها كثير من الرعب الذي سوف يمنعه من النوم، أو يجلب له الأحلام المخيفة، وقد استطاع الدكتور أن يأتي بمؤثر بالغ حتى إنه يخشى على القارئ أن يقفز عند سماع أي حركة أو نغمة لا يعرف مصدرها، لأن الدكتور استطاع أن يجعله يشعر بحضور الجن حوله.

قررت أن لا أجعل كلمتي هذه «أكاديمية»، فأجمع كل ملاحظة مع أخرى من طبيعتها، لأن هذا سوف يؤخر نشر هذه الكلمة، وأخشى، اعتماداً على نشاط الدكتور غازي، أن يخرج كتابه التالي، والكلمة لاتزال تحت رحمة «التصنيف الأكاديمي»، لهذا قررت أن أبدي ملاحظاتي كما عنت لي وأنا أقرأ الكتاب، وهذا يجعلني أعود لفكرة انتهيت منها، فأكررها وأكررها، ولكني هنا أحتمي بظل القول المعروف السائر: «المكرر يحلو».

يأخذ الدكتور غازي القارئ إلى طبقات موغلة في الخيال، فيعلو به ويرتفع، ويظن القارئ أنه متابع خط السير المستقيم، ولكنه

فجأة يجد أنه حاد به عن الجادة وأدخله منعطفاً متجهاً يميناً أو شمالاً، وقد يمر به في «جيب» هابط قد خطط له وجعله مصيدة متقنة، جعل عمقها يرفع أحشاء القارئ إلى أعلى صدره، تماماً مثل ما يحدث له في «مطبات» الطائرات. ولكن الدكتور غازي لا يلام فهذه أصول كتابة الروايات.

كشف الدكتور غازي في هذه الرواية عن ثقافته الواسعة في مجالات يصعب حصرها في هذه العجالة، ونحن لا نجهل ثقافته، وليست هذه الرواية أول وسيلة ثقافية تكشف عن مخزون فكره الثقافي.

وفي هذه الرواية في هذا المجال لا يكاد يمر

بكلمـــة توحي له بشيء مــن هذا المخـزون إلا انهالت الذخـائر علينا من حصـيلة من التراكم والتراكب كانت تغط في نوم عميق في مؤخرة الذاكرة فأيقظتها هذه الكلمة، أو حـركها تعبير أوحى بما أوحى به، توشك أن تغـبطه على هذا المخزون ولكننا نتوقف إنصـاتاً له فقد جاء هذا نتيجة عمر طويل، وجهد مضن، أحاطه السهر والدراسـة وإتعـاب العـينين والملاسنة أحـيـاناً والمصاولة مع المبارزين في الأدب.

وقد سجل الدكتور نفسه في سجل الحكماء في بعض التعبيرات التي جاء بها، إذ كانت بلا شـك متدثـرة بأردية الحكمـة معنى أو أسلوبـاً أو منحى، خـذ مـثلا قـوله الصـائب: «في كل

حب شيء من الشفقة» (ص ٢٦).

من يعرف الدكتور غـازي مثلي عن قرب لا يفاجأ بالروح الباسمة التي تقفز إلى أسلوبه في الكتـــابة (انـظر ص ٢٢)، إن كنـت ذا حظ واقتنيت الكتـاب، و(ص:٢٥) وانظر ما ترمي إليه جـملة: "«بكل فخـر واعتـزاز، أقول إنني كنت أول من فتح هذه الصفحة المشرقة»!!

يتـقن الدكـتور غـازي جيـداً فن الخـتل في رواياته، وهـو أمـــر لازم في فن الـرواية، وهو أحد عناصـر نجاحهـا، فمثـلاً يثير القـارئ تجاه موقف شـيق، ويشده ويشــده، فينتظـر القارئ حلّ العقـدة التي فتلهـا، وشدت نفســه، وكأنه يقول للدكـتور غازي: ثم ماذا، فيـرد عليه: لِمَ

العجله؟ «ويقطع به الحبل فيقع في البئر» (ص ٢٣).

يحب الدكتور غازي أن يكون ما يأتي ذا جوانب متعددة في الإفادة، فهو مثلاً يعمد إلى المترادفات ليزيد ثقافة القارئ، وليؤكد جو القصة المغربي، وليكشف عما قام به من بحث، وهذا يتجلى في قوله «القرن المنصرم» متبعاً ذلك بمترادف من اللهجة المغربية: «العام الفارط»، و«التاكسي» «يصبح» الطكسي (ص٢٥) و (ص٢٨).

ذكرت عن المنحنيات الحادة المفاجئة في رحلته الخيالية هذه، ومن أوضحها حلول عائشة الجنية محل فاطمة الزهراء، ولم يتنبه

القـارئ إلى أن هناك تبديلاً، لأنه منســجم مع القصة إلا بعد أن يفاجأ بـحقيقة الإبدال وكلما استـقر القـارئ على جادة جـاءه منحنى يقطع عليه رتابة متابعته، ويجـعله يصحو من غفلته، ويلوم نفسه كـيف لم أحدس هذا، ولم أتنبه له من بعض الإرهاصات الـتي مرت. وفي وقت لاحق، وهو يـتـابع القـراءة يـكون حـذراً، ويحـاول أن يتفـادى ختل الـكاتب، فيـشحـذ ذهنه، ويتنبـأ بما سيـأتي من خروج عن الجـادة التي هو عليها، ولكنه كـذلك يفاجأ بما لم يكن له بالحسبان، ويكون تفكيـره في الشرق، فتأتي المفاجأة، «من الغرب».

«الأحـساء» لهـا مرادف غـيـر مفـضل وهو

«الحسا» ولغرام الدكتور غازي بالمترادفات ذكرها، وقد لا يعرفها كثيرون، ومن يعرفها قد لا يعرف أن أهل الأحساء يتجنبونها، وقد جاء بها من هذه الزاوية، ومن زاوية التثقيف، ولم يجرؤ الدكتور غازي على الإتيان بها مرادفة، للأحساء إلا للدالته على الأحساء وأهل الأحساء. (ص: ٣٣).

ولأؤكد أن المكرر يحلو آتي إلى أحد المنحنيات المفاجئة، ولكنها جد ممتعة، وهو حديثه عن جده «الضُّبَيّع»، وقد كشف عن سبب التسمية بكلام موزون ومنطقي، ويساير القصة مسايرة ممتعة، وما جاء في هذا فيه لمحة عبقرية بلا شك، فالرضاع لابد أن يكون له

قرابة وتأثير وتوارث مثل النسب القح، فرضاع الجد التـائه من ضبعـة جنية وصل سببه بالجن الذين ظهـروا لحـفـيـده. وهذا المقطع لم يأت عبثاً، وإنما أدرج تحته انتقاء للمجتمع من بعض الزوايا، وفيه بعض الوعظ تجاه بعض العيوب، وشيء من الإرشـاد النبيـه، وهنا كـذلك لفت النظر إلى مـا يصبح عادة، فـيقـبل ما فـيه من خلل دون التنبـيـه لهـذا، ولكنه يتـهـافت عند الفحص، وإعـمال العـقل، وما أكـثر ذلك في المجتمعات وأخف هذه الانتقادات ما يأتي تجاه التعبير بالاسـتعـارة فهو يلمـز، دون أن يتوقف أو يلتفت، إلى الصورة المختلة التي قد تأتي من الاسـتعـارة، ولهذا عندمـا قـال: «منذ نعومـة

أظفاري» يقول: «والحقيقة أن أظافري لم تكن ناعمة قط». (ص: ٦٥).

الذين يعرفون الدكتور غازي يعرفون مدى تعلقه بأبي الطيب المتنبي، ولا يلام الدكتور غازي بإعجابه بالمتنبي. لقد درس الدكتور غازي شعره بعمق، وحفظ من شعره كثيراً، ولهذا لا يغفر لنفسه أن لا يقول عنه شيئاً هنا، خاصة عما قد يكون متصلاً بحل، وهو الحكيم العاقل (١٦).

ومما يدخل في نقد العرب، ما يأتي به على لسان قنديش الجني، الذي يقوم ببحوث مكثفة عن الإنس، ووصل فيها إلى نتائج منها: «أن الكتب عن الجن أكثر من كتب الرياضيات

(ص: ٦٧)، وهذه حقيقة تُخجل.

ونعود مـرة أخرى إلى سعة مدارك الـدكتور غازي، وقدرته على استـقصاء الحقائق عن أي موضـوع يطرقه، وإجـهاده نفـسه في البـحث والتـحري، رغـبة في زيادة مـعلومات قـارئة، وإراحته من تعب البحث، وإعفائه من الأسئلة التي قد تعن له فيهـا لو كان البحث غير واف، ويتمـثل هذا خير تمثـيل فيمـا ذكره عن الهنود الحمر، وما جاء به من مـعلومات وإحصاءات ومـقـارنات، ومـا رسم لهم من صـورهم في الماضي وصـورهـم حـالياً، ومـا كـان عليـه مجتـمعهم وما أصـبح عليه (ص:٦٩)، ويكاد ما جاء به عنهم يعادل بحـثه عن الجن كما ورد

في عدة أماكن ومنها ما ورد في الفصل (٨) (ص ٨٥).

لا يفتأ الدكتور غازي يذكرنا بأن الرواية تدور في نطاق المغرب، وكلما ظن أننا قد نكون انشغلنا بالرواية عن محيطها جاء بشيء عن المغرب، ففي (ص٧٧) يرمي عصفورين بحجر، فيؤكد لنا أننا والرواية في ضيافة المغرب، وأن عنده من المعرفة ما نضيفه إلى ثقافتنا فيأتي بعبارات التدليل التي يستعملها إخواننا في المغرب، وفيها إضافة ابتسامة تتماشى مع صورة مرح الرواية.

ويوقف قنديش على جبل ينظر منه إلى السهل فيرى الإنس وأفعالهم المنتقدة، وهو

الفاحص الباحث، المواظب على التقصي والتبحر، وما دام الانتقاء جاء على لسان جني فليأخذ حريته لأنه أبعد من أن يحاسب، وفي (ص٧٧) يركز على انتقاد الشعوب وما هم فيه من أخطاء.

وينتقد رامياً إلى الإصلاح، بعض المصطلحات الخليجية (ص:٧٨)، ويتحدث حديث الخبير، لابساً رداء الحياد، فليس من الإنس فيُرْمَى بالتحيز، ولهذا يتحدث بثقة من لابد من قبول قوله، مع الأمل في أن يكون صداه صلاح ما تبين أنه غير صالح.

ويصب الدكتور غازي أفكاره الخاصة بالمجتمع، وما يرى في جوانبه من ظلال باهتة

أو داكنة، على لسان قنديش المسكين، المشجب الذي يعلق على شعبه ما يراه، واجداً فيه مجالا فسيحاً، ومكاناً بارحاً رحباً لطرح ما يرى أن العقل، بعد التفكير، يصل إليه بسهولة، ويجيء هذه المرة في حصر بعض عيوب الإنس، في نظر قنديش الجني في أمور ثلاثة كما ذكر فيما سبق وهي: «الجنس، السلطة، المال» ويأتي بالبراهين الدامغة، والأمثلة الصادقة، والتجارب الموثقة، والوقائع المتكررة، مبدياً مقدرة فائقة في الإقناع. ولا يكتفي بإثارة ذلك في موقع واحد، ولكنه يعود إليه متى وجد إلى ذلك سبيلاً، حتى يضمن أن الفكرة تعمقت في ذهن القارئ، (ص:٧٩).

وإذا كان لأحد أن يصف الأمثال بالحكم لدفئها وللملاحة المغالاة فيها، فإني أرشح المثل الوارد في (ص:١٣٩) هو: «كسلحفاة مصابة بالروماتزم» ولاحظ -أيها القارئ الكريم- أن «الروماتزم» لايكاد يشفى من أصيب بهذا الداء، ولهذا اختاره بدلاً من تحطيم الأقدام والأيدي، وهي أمور يرجى برؤها.

بحوث قنديش المتواصلة العميقة، وملاحظاته الدقيقة، أوصلته إلى أحكام عند المنصف مقبولة: ومنها ما توصل إليه من أن الإنس «لا يعترفون بالجميل». وقنديش مؤدب لم يقل: ينكرون المعروف لأن كلمة إنكار قاسية وبشعة، أما عدم الاعتراف فقد يخفف

وقعها عندما يمكن أن يقال إن عدم الاعتراف قد يكون وراءه سبب خفي. وهذا النقد مظلة واقية يختفي وراءها معالي الدكتور غازي، ومرة أخرى يعلقها على مشجب قنديش المسكين، كبش الفداء!

الدكتور غازي، وهو يتحدث لنا عن عائشة قنديش، الجنية، يتعمق في هذا كما جاء في (ص٨٥)، ويأخذنا كعادته يميناً ويساراً، ويجعل رؤوسنا كأنها كور بأيدي لاعبين، وليته يعطينا راحة بعد ذلك، لا، إنه يعطينا رعباً لا نتخلص منه بسهولة، وهو مغرم بهذا الرعب، فلا يكاد يجد مناسبة لهذا حتى ينتهزها، ويحرن عندها فلا يفارقها إلا بعد أن

يستوعب ما في الجعبة من كلمات الإخافة، والترويع، وما رسم لعائشة، وما هيأه لها من دور، وما أحاطها به من ملابسات، تساعده على ذلك، فالتصميم يبدأ من قبل الفعل.

البحوث الرئيسة التي شملتها هذه الرواية، وأتت بها في أماكنها اللائقة بها بمقدرة وإتقان، كثيرة، ومنها ما سبق أن أشرت إليه من أمر الجن، وأمر الهنود الحمر، ولا يقل عن هذا ما أورده عن «الأنثربولجي» (ص: ١٦١)، فقد وفاه حقه، ولم يبق زيادة لمستزيد، وتتميز طريقته في هذا الموضوع الحديث بالبساطة، وحسن العرض، وما تخلل ذلك من طرق تبعد الملل تجاه هذا الموضوع المهم الجاد.

هذا وقد اشتقنا إلى انتقادات قنديش للإنس التي وصل إليها بعد نحت وبحث واستقصاء جعله يقف بثقة فيكشف لنا عيوبنا نحن الإنس، وآخرها تقريره القاسي الذي يقول فيه: «إنه لا يتوقع اعتدالاً من البشر»، وهو لا يرمي القول على عواهنه (ص١٥٦) وإنما يأتي بالمبررات في أمثلة تجعلنا نحن البشر نطأطئ رؤوسنا أمام الجن.

الحديث يطول ويتشعب، ولو أعطيت نفسي هواها لنافست عدد صفحات الرواية (عدوى المغالاة هذه جاءتني من الرواية)، ولكني أكتفي بما سطرت، وقبل أن أختم حديثي هناك أمران لابد من ذكرهما أولهما: أن المفكرين

والأدباء أغرموا منذ قرون برحلات الخيال، والسباحة في فلكه بحرية تامة، وكان لهذا قبول تام من معاصرين، وترحيب ممن جاء بعدهم إلى هذا اليوم. ومن هؤلاء عرب وغير عرب، فمن العرب أبو العلاء المعري، ومنهم ابن شهير في «التوابع والزوابع» أو «شجرة الفكاهة» ومن غير العرب «هوميروس» في ملحمته «الأوديسا» وشاعر اللاتيني «فرجيل» في «الإنيادة» (إن لم تخني الذاكرة) والشاعر الإفريقي «أريستوفان»، والإيطالي «دانتي» و«مليتون» الإنجليزي «الفردوس المفقود».

وكان المفروض أن غازي، وقد بسط جناح خياله للجن أن جعل الرواية تحت الأرض لا

على وجهها، ولو فعل لكانت أقدامنا في هذه الرحلة على الأرض لا بين السماء والأرض، ولكن لعل «عائشة قنديش» هي التي اختارت المسرح ولم يرد الكاتب أن يعارضها خوفاً من أن لا تكتب الرواية.

ثانيهما: أرجو معذرتي إذا ظهر الاستعجال في هذه العجالة، ولكن الملوم في هذا اثنان:

أحدهما ما زال معي شيء من الرعب بعد قراءة الرواية، وأتوقع ألا أتخلص منه إلا بعد أن أغرق في العمل، وأنسى بعض الصور التي تخايلني، خاصة عندما أكون في الظلام. وأرجو ان يكون القارئ شجاعاً فلا يتردد في قراءة الرواية.

والآخر: أني كتبت مـا كتبت وأنا في الطائرة بين السـمــاء والأرض، بين جـدة والرياض، وبجانبي طفل صغير، والداه على كرسي آخر، وإخـوانه على كـرسـي ثالث، وهو لا يعـرف القـراءة، كـمـا تأكد لـي، ولكنه طوال الوقت ونظره مـركز على سن القلم وهو يجـري على الورق. في أول الأمر ظننت أنـه يقرأ ويكتب، وهذا أقلـقني لأني خـــشـــيت أن يـكون ابن صحفي فيسرق أفكاري وينشرها قبلي، ولكني أطمـأننت إلى أنه ليس كـذلك، وكان مـؤدباً، وأدهشني صـبـره طوال الوقـت على المطالعـة وعدم ملـله، وانسجامـه الذي تأكد لي عـندما يقـتـرب رأسه من الـورقة قليـلاً قليـلاً حـتى

يحجب أحيانا رؤيتي لموقع كتابتي، مما يضطرني إلى إيقاف الكتابة إلى أن ينفسح المجال. جلوسه بجانبي، واهتمامه بما أكتب، وكأنه لم ير أحداً يكتب، أبهجني، وجعلني لا أنسى هذه الرحلة. وقد صار بيني وبينه حديث سوف أبقيه لمذكراتي عن هذا الشهر، ولعلها تكون في الجزء ما بعد العشرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

(١١) قراءة في كتاب «صوت من الأعماق»[١]

للكاتبة: مها بنت سليمان الوابل

كان مجتمع آبائنا يفرح عندما يكون فيه من «يفك الحرف»، ويبتهج بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، فيفتح أبواب العمل لمن هو كذلك، وبقي هذا قروناً، ووصلت هذه الحال إلى زمننا، وبقي الأمر كذلك عدة سنين، يميز من يقرأ ويكتب، فالعلم نور، والنور شع في هذا المحيط.

وعندما أنشئ الجيش النظامي أيام الملك

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة في يوم الأربعاء ٢٧/ ٩/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١/ ١٠/ ٢٠٠٦م، العدد: ١٢٤٣١ .

عبدالعزيز -رحمه الله- قدم من يقرأ ويكتب على من لا يقرأ ولا يكتب، ثم بدأ التعليم النظامي، فأصبح من يحمل الشهادة التحضيرية مرموقاً، ويشار إليه بالبنان، أليس يقرأ القرآن بالتجويد ويحفظ جزءاً منه أو جزأين، ودرس شيئاً من التوحيد والفقه والتجويد والتاريخ والحساب؟ ألم يعلم قواعد الخط الحسن، نسخاً ورقعة؟ ويعلم الإملاء؟ إنه قنديل بجانب من لم يحصل على شهادة هذه المرحلة.

ثم خفت نور هذا القنديل عندما شع بجانبه ضياء من حمل الشهادة الابتدائية، وهي أربع سنوات بعد التحضيرية وأعطي هذا الخريج

التبجيل حتى جاء خريج الثانوية، فكسف نور هذا، فهؤلاء نهلوا من مورد عذب جديد فيه العلوم الحديثة، فيه الكيمياء والطبيعة والرياضيات، واللغة الإنجليزية.

ثم فتحت الدولة باب الابتعاث إلى خارج المملكة للدراسات الجامعية في التخصصات المتعددة. وسرعان ما فتحت الجامعات في المملكة، وصار خريجو تلك المرحلة المتقدمة ملء السمع والبصر، ومصدر فخر البلاد بأجمعها، وسرعان ما بدأت الدراسات العليا، وصار منها خريجون.

كان يتبع كل هذه المراحل بريق بهجة، ومظاهر سرور، تعم المجتمع، وتحظى بكثير من

الإعلام. لقد فرشت الأرض وروداً في طريق هؤلاء الذين وضعوا أقدامهم على جادة التقدم، والأمل في الإسهام في رفع بلادهم إلى مصاف الأمم المتقدمة.

في أثناء هذا البريق كانت الفتاة في مرحلة من هذه المراحل تتلمس طريقها في التعليم بهدوء، وتمكنت من العلم، وتنور ذهنها بالمعرفة، وشاركت في المجالات التي أتيحت لها، ومنها مشاركتها فكرياً فيما يهم بلادها، ويخص مجتمعها مما لا يجيده إلا هي، خصوصاً ما يخص المرأة، وإن كان اعتداء الرجل على هذا المجال لم يكن قليلاً. أما هي فسارت سيرا متئداً، يتسم بالتواضع

والاستحياء، فبدأت النظرة إلى مشاركتها تتغير بعد أن بدأ يأتي منها ما يبز ما يأتي من بعض الرجال في التخصصات التي اعتقدت أنها تنتج فيها بجدارة.

وبقيت تعاني من تدخل الكتاب الرجال فيما هو من تخصصها، وما تتقنه، لأنها تعيشه، وتعرف دخائله، ومنحنياته، ولكنها بقيت مصممة على أن تسير إلى الهدف، فواظبت على الكتابة الرشيدة في الصحف والمجلات، وكتابة الكتب، والمحاضرات في الجامعات، وفي محافل النساء، ويطل علينا بين آن وآخر إنتاج يشدنا، ونعجب به، إيماناً بفائدته، واعترافاً بصوابه.

أمامي الآن كتاب «صوت من الأعماق» للكاتبة: «مها بنت سليمان الوابل»، وهو مجموعة مقالات كتبتها تباعاً تحت زاوية: «صوت من الأعماق» في مجلة: «الشقائق» التي ترأس تحريرها سمو الأميرة الأستاذة الدكتورة سارة بنت عبد المحسن بن عبدالله ابن جلوي آل سعود ثم رأت أن تجمع شملها في كتاب هو هذا الذي بين يدي، وأنا من الداعين المتحمسين لجمع المقالات من الصحف والمجلات في كتاب يلمّ شملها، ويجمع تفرقها، وهذا أحد الأسباب التي جذبتني إلى هذا الكتاب. فماذا وجدت فيه؟

وجدت أموراً تسر، من موضوعات تعالج

جوانب مهمــة في المجتمع، رأت الكاتبة أن من حقها أن تبرز وأن ينبه إلــى ما فيها من انحراف أو تميــز، يؤمل أن يقــوم المنحــرف، ويعـضـد المتميز.

تقــول المؤلفة إن هذا الـكتاب هو أول ثمـرة جهدها، ونحن نقول: هنيئاً بهذا الفتح، ونرجو أن يكون مـدخـلاً إلى حـقل واسع، وما فـيـه مزدهر ومـثمـر، وأن الكثير، مـع مرور الزمن، سيـتلو، مع معالجـة ما يعنّ لهـا، وما تلاحظه، وأن يكون دائمـاً نابعاً من الاعـماق، فـالجذور العميقة دليل الثبات والقوة، وعموم الفائدة.

مقـالاتها، لنضج الـفكر خلفهـا، لم تقتـصر على النقـد، وتتبع الخلل، وهذا سهـل، ولكنها

أسهمت بالحلول، وتلمست سبل التغلب على المشكلات، وتعديل المعوج.

أجل إنها لم تقف عند مجرد التساؤل، ولكنها استدرت ما يمكن أن يجلب من علاج.

مقالاتها تهتم بالمرأة وشؤونها، وما يأتي منها، وما يقع عليها، والمرأة أعرف بالمرأة من الرجل، الذي طال عليه الزمن وهو يكتب عنها، وأحياناً يكون بعيداً عنها، فليس أباً لها ولا أخاً، أو ابناً، أو زوجاً، ولكنه مجرد كاتب تمرن قلمه على الكتابة، وأخذ يجول في ميدان ليس ميدانه، ويبيع ويشتري في سوق ليس سوقه.

في مقالها مثلاً: «كثير من العقل قليل من

الصـراخ» عـالجت عـدم التكافـؤ أحـيـاناً في العاطفـة بين الزوج والزوجة، وتداخل هذا في الهـدف مع مـقال: «أبي الـرجل الذي ظلمني وأنا ظلمت الرجل زوجي».

ومقالاتها كـما قلت تركز على المرأة، وعلى أحوال المرأة في مـجالات قد تفـاجئ القارئ، وتأتي في هذا بصـور مـتـبايـنة عن أفراحـهـا وأتراحها، فلا مقالة إلا وفيـها صورة لها مثلما جاء في مقالة: «سرقة» تنقـلت فيها مع القصة من حـالة إلى حـالة ودخلت في عـمق النفس الإنسانـية، وما تكـون عرضة له مـن مؤثرات، وبدأت رسم صـورة، وانتـهت برسم أخـرى مغايرة.

وتبحث عن الحكمة فتجدها في قصة معاقة، وتسمي المقالة: «صمت أبلغ من الكلام»، وتغوص على المعرفة وعمق الأثر في مقالة: «امرأة وسيجارة».

في كل مقالة معالجة لداء من أدواء المجتمع، أو حث على التمسك بما اكتسب من الفضائل. ومقالة: «قلب أم» أنت معها تسابقها، وتعرف ما سوف يدور عنه كلامها، لأن لك أماً، ولا تخطئ معرفة دفء قلبها، وما هو حق لها مما لا تتناطح فيه عنزان، وتُبهَّر المقالة بأبازير من الشعر ترسم صورة قلب على حقيقته تجعل المغالاة سبيلاً للتأثير ولا تقتصر معالجتها على هموم المرأة السعودية بل

تتعداه إلى المسلمة في بلاد أخرى، فتشارك بالشعور المرأة في كوسوفا، وفي الجزائر، وتصب من ماء عاطفتها ما يدل على عمق شعورها تجاه معاناة أختها في الإسلام، وهي بهذا، دون أن تعلم، تؤرخ لحوادث عالمية سرعان ما سوف ينساها الناس لولا إضاءات مسجلة في هذا الكتاب وأمثاله. سوف تبهت الصور عن البوسنة وعن الجزائر مع مرور الأجيال وسوف يمر بها الناس، إن مروا، مرور الكرام.

وترى العاطفة الدينية في مقالة: «إميلي أسلمت»، وهي تلمس هنا ظاهرة ليست غريبة في مجتمعنا، وهي إسلام بعض الفلبينيين

والفلبينيات نتيجة المعاملة الحسنة التي يلقونها ممن يعملون معهم، ولطول المدة، بسبب هذا، التي يقضونها عند من يخدمونهم، وقد لمست جانباً من جوانب هذه الظاهرة وهي التفاتة محمودة ومقدرة.

والتاريخ أحياناً يكتب دون قصد، فيأتي عفواً، فمقالة "«رسالة إلى إيرما» تصلح أن تكون لغزاً يلقى على الناس، فيسألون من هي «إيرما»؟ وما قصتها؟ التاريخ يُنسى خصوصاً إذا ترك أمره للصحف والمجلات، إذ لابد أن يُدوَّن في كتاب، وها هي قصة «إيرما» قد دونت -والحمد لله- في كتاب: «صوت من الأعماق»، وسيعرف القارئ عن «إيرما» شيئاً

قـد لا يكون عـرفـه، أو لعله نسـيـه، أو بعض جـوانبـه، ولكن هذه المقـالـة في هذا الكتـاب رسمت بأحـرف مدادُها حرقـة من الصدر، أن هناك طفلة عمرها خـمس سنوات من البوسنة بعثرت أجزاء جسمها قنابل الأعداء.

إن غيـرتها على بنات وطنهـا ظاهرة، وعلى وطنها واضـحة. تكتب عن الوطنيـة، ثم تعود وتكتـب، فـحب الـوطن هاجس قـد مـلأ إحـساسـها، ومـثل هذا ظاهر في مقـالة: «هل عـرفـتم مـعنـى الوطن» وفي «للوطن عـبق جميـل». في ضوء هذا الحب تكتب عن الخلل في المجتـمع، وكيف أنه يبدأ، ويـنظر إليه نظرة سلبية، فلا يبادر في علاجه ، لا من الأفراد ولا

من الجماعات، فإذا ما استفحل، وتشعب وأصبح ظاهرة، تساءل الناس: كيف جاءت هذه الظاهرة؟ ولو تذكروا وتمعنوا، لوجدوا أنها من ذلك الشيء الصغير، كبر، ونما، وتشعب، فضاعت معالم بدئه، والأسباب خلف ذلك.

وكانت تكتب من أعماق قلبها، وتنتظر من المتلقين رأيهم، هل يشاركونها أفكارها؟ أو أن لهم آراء أخرى. إنها تريد أن تعرف صدى ما تكتب، هي لا تطلب المدح، ولا التقريظ، هي ترحب بالنقد، فأين هو؟ إنه أداة التحسن، وهي تريد أن تتقن عملها، لذا فهي عاتبة، وحق لها أن تعتب، فهي تشعر أنها تصرخ في

بيداء لا يرد صوتها جدار بيت، ولا لحاء شجرة لعل في كلمتي هذه رد صوت، تعرف منه أني أعتقد أنها على الخط المستقيم للهدف السامي الذي اختطته، وسارت فيه بأناة وتؤدة، وثبات وإصرار، وأننا نريدها أن تستمر، وأن يتبع هذه المقالات مقالات على نمطها، ونراها جمعت في كتب لا في كتاب.

شد الله أزرها، ورفع في الكتابة قدرها، وأرانا منها ما يفيد وينفع، وهو المستعان في كل حال.

(١٢) مقدمة لكتاب
المعجمي في الأساليب الإسلامية والعربية[1]

لغات الحضارات واسعة، بحرها عميق، ويحوي اللآلئ والدرر، وفي مقدمة هذه اللغات اللغة العربية، لغة القرآن، وحسبنا ذلك. لقد نضجت اللغة العربية حتى أصبحت تليق بحمل آخر رسالات الله إلى عباده، لتكون الرسالة واضحة، دقيقة، لا يتطرق إلى مدلولها الشك، ولا يعتري معناها الوهم، ولتفهم في كل زمان، ولا

(١) مقدمة لكتاب: «المعجمي في الأساليب الإسلامية والدينية» للأستاذ محمد أديب عبدالواحد جمران، كتب في رجب ١٤١٩هـ.

تتغير مع مرور الزمن، ولا تتبدل مع نظرات الإنسان.

وفي اللغة العربية جمال، جمال في الكلمة، وجمال في الجملة، وجمال في الأسلوب، وجمال في النهج، ولهذا فهي ثوب تلبسه القصيدة، والخطبة، والمقالة، والحكمة، والمثل، فيبدو عليها جميلاً جذاباً، إذا تطرق لهذه الأمور متضلع في اللغة: نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وتاريخها، وعصور تطورها، لأنه عن هذا الطريق يعرف أسرارها، وفي أسرارها يكمن السحر.

واللغة العربية، مثل بقية اللغات العريقة، لا تؤخذ من المعاجم، بل المعاجم

تنشأ منها، ولكن المعجم المعتاد لا يحمل تاريخ الكلمة، كيف ولدت، وكيف ترعرت، وكيف استوت، ونضجت وتبين من هذا لمحبي اللغة العربية أنه لابد من معاجم تبين أكثر من معنى الكلمة، وتوضح محيطاً أوسع من المدلول القريب لها، فجاءت معاجم تتحدث عن تعبيرات، وجمل، وتشع نوراً على تاريخها وتطورها، ولهذا أصبحت اللغة العربية رائدة في تنوع المعاجم فيها، وطريقة النهج الذي سلكه كل مؤلف في معجمه، ووصل الاستقصاء أن بعض المعجميين اختاروا الطريق إلى معرفة المعاني

للكلمات التي في أول الكلمة، وآخر اختار آخر الكلمة، ولما تشبع هذا الباب من المعاجم، المختصرة، والمطولة، جاءت تلك التي أتت بالكلمة ومعناها، وتلك التي لم تقتصر على ذلك وإنما استطردت تعطي معلومات تضع هالة من النور الساطع على الكلمة مما أعطى علماً وفناً.

ويأتي محمد بن الحسن بن دريد، وهو الخبير باللغة، ومعاجمها، فيجد أن هناك مدخلا للإبداع في وضع المعاجم، يسد النقص، ويفضي إلى إفادة القارئ بما خلف الألفاظ، مما يعطي فرصة للإطلالة على ما خفي من اللغة، ويؤلف كتابه: «كتاب الاشتقاق» بعد معجمه

المعجب «جمهرة اللغة»، ويخدم «كتاب الاشتقاق» ثلاثة أغراض:

١- الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال.

٢- بسط القول في المادة اللغوية التي اشتقت منها هذه الأسماء.

٣- تفسير الآثار الدينية والأدبية التي تمت بصلة إلى تلك المواد.

٤- بيان أسماء قبائل العرب وبطونها، وأفخاذها، وتشعب بعضها من بعض.

٥- إمداد الباحث بكثير من المعارف التاريخية النادرة التي تتعلق بقبائل العرب، ورجالها، وبعض من يمت بصلة تاريخية

إلى تلك القبائل، وإلى أولئك الرجال (راجع المقدمة القيمة التي كتبها الأستاذ عبدالسلام محمد هارون، لكتاب الاشتقاق).

إذاً ابن دريد استفاد من منهج المعاجم، ليصب في ذهن القارئ معلومات مهمة، عن طريق اللفظ، الذي اتخذ مدخلاً لروض أغن، وحديقة فيحاء، وهذه طريقة موفقة لسلوك طريق جديد يغري بالمتابعة والمسايرة ويأتي محمد بن أبي ثابت، فيجد أن بإمكانه أن يبتدع معجماً فريداً، يسبق إليه، ويرى أن أعضاء الإنسان حولها معلومات ثرة، مفيدة، أو طريفة، فيجعلها

أساساً لمعلومات يوافي بها القراء بجدارة ومقدرة، فيؤلف كتابه: «كتاب خلق الإنسان».

ويؤمن محمد بن القاسم الأنباري بسعة اللغة العربية، وعمقها، بعد علم وخبرة منه، فيجد أن هناك مدخلاً لمعجم سوف يكون فريداً، وقد لمس أن في اللغة العربية كلمات لها معنى ولها ضد هذا المعنى، وهو أمر يوجب الالتفات، ولهذا ألف كتابه: «كتاب الأضداد» وهو فتح في تقدم المعاجم، وسبب من أسباب تميز اللغة العربية في المعاجم، وريادة أهلها فيها، واقتباس أناس لما سبق إليه العرب.

ومن علماء اللغة العـربية الذين ساهموا في خدمة مفردات اللغـة ومعانيها، وفكروا في جـانب إبداع يظهـرون بـه على الناس، ويتمـيزون به عليـهم، ويميزون اللغـة على غيرها به: أحمد بن فارس بن زكريا، وهذا العالم قد ألف: «معجم مقاييس اللغة» بعد أن حذق اللغـة، وعرف أسـرارها، وغاص على أصـولها، فـرد مـفردات مـوادها إلى أصـولها المعنوية المشـتركـة، ووفق في هذا كـما يقـول الأسـتاذ المحـقق عـبد السـلام مـحـمـد هارون، وابن فـارس بن زكـريا، انفـرد بين أمثـاله من اللغويين بهـذا النهـج، فلم يُسبق، ولم يُلـحق، ولعل الوحي جاءه

من الإبداع في «كتاب الاشتقاق»، وما جاء به مؤلفه من رد الأسماء إلى أصولها.

وتغلب طريقة المعجم على أحد العلماء، فيجد أن كتاباً مطلوباً، ومفضلاً، يأتيه النقص من بعض جوانبه فأراد أن يقضي على عيب فيه، رآه يستحق الالتفات، فوجد أن الدواء في أن يأتي المنهج فيه على طريقة معجم، ليسهل الرجوع إلى ما فيه من مواد مفيدة، ولا غنى للإنسان عنها، فأخذ كتاب «إصلاح المنطق» فرتبه على حروف المعجم، وسماه: «المَشُوق المُعْلَم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم»، فأضيف إلى أنواع

المعاجم معجم، وخـدمت اللغة خدمة جلى في جـانب من جـوانبهـا، واسـتفـاد طالب العلم فائدة متناهية.

ونجد بين مـا يمكن أن يعتبـر من المعاجم كتاب «الخصـائص» لعثمان بن جني، وفي هذا الكتـــاب إبداع، وعنايـة بالكلمـــة في ضوء حروفهـا، لم يكن بالإمكان التصدي له إلا من رجـل خـارق للـعـادة في الـفكر واللغة، ويكفي أنه مـبتدع في اسـتيفـائه ما جاء فكرةً عـابرةً عند غيـره، وأضاف على رف مكتبة المعـاجم كتاباً له منهجـه المتفرد، وقـد يشعـر قارئ المادة أنه قـد يكون هناك اقتسار في الحكم في تغيير مواقع الحروف

من الكلمة، وما يدخلها في الحكم العام الذي أصدره المؤلف مقدماً، إلا أن هذا الشعور يتلاشى عند التبرير والشرح، وتُقاد بِرَسَنٍ لَيِّن إلى مشاركة المؤلف رأيه.

ولو تتبعت الكتب التي تعد معاجماً في خدمة اللغة، لأبعدني القول عن هدفي، وهو كتابة تمهيد لكتاب، والكتب التي تركتُ أكثر مما ذكرت، وكلها تنحو نحواً مبتدعاً، ومن هذه الكتب: «الزاهر» لمحمد ابن القاسم الأنباري، و«المرصّع» في الآباء والأمهات والبنين والبنات، والأذواء والذوات، وهو كتاب يدل فعلاً على رقي اللغة العربية واتساعها، والكتاب يزيد عن

أربع مئة صفحة، وممتع، وفيه من المفاجآت شيء كثير. وكتاب: «إكمال الإعلام بتثليث الكلام»، وهو كتاب يدل اسمه عليه، لأنه يستقصي الكلمات التي يضم أولها أو يفتح أو يكسر، وهذا أمر يخص اللغة العربية، ولا يوجد في غيرها، وهو لمحمد بن عبد الله بن مالك الجياني، رواية محمد بن أبي الفتح البعلي. وكتاب: «المنتخب من غريب كلام العرب» لعلي بن الحسن الهنائي، المعروف بكراع النمل. وكتاب: «ليس في كلام العرب» للحسين ابن أحمد بن خالويه، «والبارع في اللغة» لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي:

«وكتاب الإبدال» ليعقوب بن السكِّيت، ويدل عليه عنوانه، وفيه حصر للكلمات التي يبدل فيها حرف مكان حرف، ويبقى المعنى ثابتاً، ونهج فيه منهج المعاجم.

وهذا كله قليل من كثير، وهو يؤكد أهمية اللغة العربية، وجاذبيتها للعلماء لخدمتها، لكثرة المجالات المهيأة فيها لذلك. وما كتب حتى الآن لا يعد نهائياً في هذه الجوانب، وإنما يتوقع أن يستمر العلماء يتلمسون سبل خدمة اللغة على هذا المنهاج.

ومن هذا المنطلق أجد نفسي مشدوداً لكل محاولة لخدمة اللغة العربية، أو الدفاع عنها،

أو بيـان قوتها، أو جـمالهـا، أو تبيـان الطرق السليمة للاستفـادة منها، أو الإفادة بها، لهذا التفت إلى المجهود الذي بذله الاسـتاذ محمد أديب عبد الواحد جمران فـي محاولته خدمة اللغـة العربيـة أسـوة بمن سبـقـوه في مجـال المعاجم، وقد اختار عنواناً يدل على ما سوف يندرج تحته من عمل، وسـماه: «المعجمي في الأساليب الإسـلاميـة والعربيـة»، وأرجو أن يجد مكانه قـريباً بجانب مـا يوجد على رف المعـاجم العـربية الـيوم، وأن يكون فـيـه من الفائدة ما أمله مؤلفه.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

(١٣) مقدمة لكتاب
«مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال النجدية» (جـ١)

أفرح عندما أنظر في شيء من التراث، وأفرح أكثر عندما يكون عن شيء معاصر، وأفرح أكثر وأكثر عندما يكون مادة حديثة مقبلة على الطبع والنشر، وهذا ما شعرت به عندما أطلعني الأخ العزيز الأستاذ عبد الرحمن بن عبد العزيز المانع على مسودة كتابه: «مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال النجدية».

إن القوم في العصور العربية المزدهرة

بالأدب مثل العصر العباسي كانوا لا يتركون شاردة ولا واردة، يسمعونها في مجالسهم، أو في قعدة بعضهم مع بعض، إلا دونوها، بل إنهم تعدوا هذا إلى وضع قصص تخيلوها، وأملوا أنها تؤخذ على أنها قيلت من أناس، وسمعها آخرون، فجاءنا من كل ذلك ثروة بالغة، هي اليوم مصدر من مصادر فخرنا، ومنبع من منابع لذتنا، ومسقط فائدة نغرف منها ما يروي ظمأنا، فيها الحكم، وفيها المواعظ، وفيها العِبر، وفيها الأمثال، وهي مصدر تسلية، وترويح للنفس، وإبهاج للقلب، وإطراب للسامر، و إدخال البهجة على المستمع،

وقد تساهم في إبعاد الحزن عنه، وإراحة الذهن مما يشغله.

وكان القوم يحرصون على تدوين ما يسمعون، أو ما يخطر في بالهم، مما يوحي به خيال، مما صغر مدلوله، وقل حرفه أو معناه، ومن الأمثلة على ذلك بعض ما اقتبسه ابن الجوزي في كتابه «الأذكياء» من مثل قوله(١):

«قال: شتم رجل رجلاً من العوام، فقال له:

إيش قلت له؟

---

(١) ص (١٤٨) من الباب الثاني والعشرين في ذكر أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء.

فأوهمه أنه يسأل: أي شيء قلته لك حتى تشتمني؟ وإنما أراد: أي شيء قلته فهو لك، وهذا من عجيب الفطنة».

وكما نرى مدلول هذه القصة ضئيل، ومع هذا نالت عناية التدوين، والحرص على التسجيل، وتداولتها الكتب والمراجع.

وقصة أخرى مثل هذه في عدم الأهمية، ومع هذا أعطيت المساحة التي تستحقها في «كتاب الأذكياء»:

«استدعى رجل مغنيين، فلما همَّا بالغناء قال أحدهما للآخر:

اتبعني.

قال: لا، بل أنت اتبعني.

قال: لا، بل أنت اتبعني.

فلما طال هذا بينهما، قال: صاحب البيت:

اتبعاني جميعاً.

وقصة ثالثة تسير على النسق نفسه:

«قال: قدم طباخ إلى بعض الأذكياء طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له:

إيش تشتهي، أجيئك به؟

فقال: خبز».

لهذا إذا جاء كاتب اليوم، واقتنص من حديث المجالس ما يأتي على نمط ما ورثناه من العصور الماضية المزدهرة، فإنه ينال منا التفاتة عناية، ونظرة حانية، وخطوات

مشجعة، فحرف واحد يخط على صفحة بيضاء ناصعة هو نواة لدوحة بالرعاية والسقاية تصبح ظلاً تحتمي تحته أرواح مجهدة، وأنفس متعطشة إلى صيد الفكر السانح، والرأي المفيد، والحكمة البالغة، والمثل الصادق، والشعر المعبر، والموعظة الحسنة، والعبرة المسعفة، تعطي هذه الدوحة ظلاً ظليلاً لمن تفيأ ظلها، واحتمى بأغصانها من وهج شموس الزمن المحرقة أحياناً.

لقد قضيت وقتا ممتعاً، وأنا أقرأ مسودة الكتاب، فقد نقلني من هذا الزمن الذي أعيش فيه، عهد التكنولوجيا إلى عصر

صغري، وعصر آبائي وأجدادي، فزمنهم كانت تمر فيه السنون، ولا تغير من مظاهر الحياة شيئاً، أما اليوم فالأمر مختلف، كل سنة يأتي جديد، ويبنى جديد، وينشأ جديد، ويخترع جديد، لم تعد القرية تحمل اسمها مدة طويلة، بل سرعان ما تصبح مدينة، والمدينة منطقة.

ولقد أعادت الصور التي فيه صوراً حملت لي ذكريات طربت لها نفسي، وانتعشت معها روحي، تذكرت تزاور الناس في ذلك الوقت تزاوراً يختلف عنه اليوم، فلا مسافات طويلة يقطعها المشتاق إلى صديقه، ولا شوارع مدّ البصر يعبرها

واصل الرحم، ولا إشارات مرور تتحكم في سيره تعيقه عن غايته، ولا تلوث هواء زمن الخطوة فيه تعد، والمجالس عند المساجد بين الصلاتين نواد مفتوحة عامرة، ومرتع خصب لإزجاءً الوقت، ونقل الأخبار، وتبادلها، وإتقان إنشاء الإشاعات، ونقلها، وحبك المقالب، وردها، والتعليق على الذاهب والآيب، بصرف النظر عما يجوز منها أو لا يجوز، المهم أنها تأتي صورة من صور ذلك الزمن، تكمل إطاره، وتتقن عرض التكامل فيه، أو التناسق بين أجزائه، أو التنافر بين محتوياته، أو التشابه بين بعضه وبعض،

أو التضـاد بينها، ومـا إلى ذلك من تقارب في وقوع الأحداث أو تباعدها.

أعـــادت لي هذه الصـــور ذلك كـله، وسـوف تعـيـد لمن هو فـي سني مـثلهـا أو أكـثـر. ولقد شـملت تلـك حيـاة الزراعـة والمزارعـين بنقل مــا كـــان يجـــري في مـــحـيطهم، ومــا يقـع منهم، أو بيـنهم، والطرائف التي رويت عنهم، وهي صـورة صـادقـة لحيـاتهم. ومـثلهم التـجـار الذين تقتصر تجارتهم على مدنهم، أو تتعدى إلى مـدن أخرى، أو يأخـذهم طـلبـهم للرزق خـارج بلادهم، وخارج المملكة. والصـور تتـرى عن الرجـال أحيـانـاً، وعن النسـاء

أحياناً أخرى، وأحياناً تأتي عن العلاقة بين الجنسين، وما أكثر ذلك!

وقد حاول الأستاذ عبد الرحمن أن يجعله من خمسة أقسام:

قسم للقصص والنوادر، وقسم للأمثال، وقسم للأشعار، وقسم للوصايا. وما عدا قسم الوصايا، فإن الأقسام الأخرى، جاء بعضها منفصلاً عن بعض، وأحياناً غلبت طبيعتها ما وضعه المؤلف من أقسام، فالأشعار أحياناً تأتي ضمن قصة، والقصة تأتي ضمن أبيات شعرية، وهذا التلازم طبعي، ويعطي الكتاب عفوية اتسم بها، أبعدته عن التكلف الذي يتنافى عن طبيعته المحمودة.

والأمانة في نقل القصة، وطبيعة القصة جعلته أحياناً يأتي بما يأتي به باللغة العامية، لأن القصة قامت على ذلك، ولو صاغها باللغة العربية فقدت هدفها، وضحت بغرضها الأساس، وقللت قيمتها كما قال.

والمؤلف عاصر من يكتب عنهم، وأخذ من أفواههم ما روى عنهم، أو تأكد منهم عمّا يدور على الشفاه، عن قصص هم أبطالها. أو عاصر من عاصرهم. وذكره الأسماء تأكيد للرواية، وزيادة في توثيق الخبر. وقد هدف من كتابه كما يقول في أوله[1]:

---

(١) ص: ٥

«أن يطلع الأبناء والأحفاد، عل أخبار آبائهم، وأجدادهم، وما كانوا عليه من الذكاء، والفطنة، وسرعة البديهة، بالرغم من عدم وجود مدارس، أو جامعات نظامية».

واجتذبه إلى هذا أنهم:

«نبغوا في أقوالهم، وأفعالهم، وأشعارهم، وأمثالهم».

خذ مثلاً قصة: «قد شقَّينا اللومية»(١)

هذه قصة فيها تاريخ، وفيها عادات، وفيها وصف لحياة اجتماعية لن ترسم في أي كتاب تاريخ! فقد وصفت زيارات الملك

---

(١) ص (٢٧).

عبـد العزيز -رحمـه الله- للبلدان، وكيف كـان يخيم خـارج البلدة، حتى لا يضـايق بمن مـعـه الـناس، ولكنه يـواصل المجيء للبلدة، للقاء ضيافات أهلها، التي تعبر عن فـرحة أهل البلدة به، وكـيف يسـتقـبلونه، ويقابلون ما يقف دون ضيافته بعفوية، تدل دلالة، يفـتخـر بها، بين الحـاكم والمحكوم، فالمحـكوم لم يخف عنه -رحمـه الله- أنه تكلف واسـتعد، والملك لم يتجاهل مـا قد يكون تـعـرض له الـداعي من جـهـد، فاستجاب برحـابة صدر، أكملت الفرحة.

والقصة تـؤرخ لعادة اجتماعـية، فلم يكن الشـاهي حنيـئذ قـد انتـشـر، وأصـبح هو

الشراب المعد للضيافة، وإنما الليمون محلى بالسكر. وفي هذه القصة كلمة لضيائها وصدقها أضحت مثلاً لكل من استعد، ولا يريد أن يضيع جهده، فيقول: «قد شقّينا اللومية»(١).

وفي القصة دلائل عديدة قد لا تكون ظاهرة، فالملك عبد العزيز في أول حكمه، وتوحيد أجزاء المملكة، يتحرك ومعه جند، وهذا استعداد حازمٍ لأي أمر مفاجئ من بادية أو غيرها، ولهذا جعل له مخيماً خارج المدينة، وللجغرافي حصة في هذه القصة، فقد يجد «استراتيجية» واضحة

(١) ص

لاختيار الملك عبد العزيز -رحمه الله رحمة واسعة- «الباطن الجنوبي» من شقراء، مكاناً لمخيمه، وقد يكون واضحاً للناس في ذلك الوقت، ولكنه قد لا يكون كذلك اليوم إلا لمن هم في سن عاصرت ذلك الزمن.

وقصص حيل عبد الرحمن السبيعي (وبالمناسبة فهو ليس سبيعياً وإنما خالدياً)، لا تملك نفسك من الإعجاب بما يأتي منه في هذا المجال،كما في قصة «إيهام الحاضرين بأنه سيعود إليهم»(١)، وتختم القراءة بالضحك الذي لا تستطيع ردّه، فقد وقع السبيعي في مرة من المرات على

باقعة أبطل له حيله، ولا يفل الحديد إلا الحديد، أو كما يقول المثل: «ما كل مرة تسلم الجرة». وسيعيش القارئ مع السبيعي أوقاتاً مبهجة، وهو ينتقل من باقة من الطرف إلى باقة أخرى. والسبيعي ما عرف عنه من طرائف قليل منها ما نشر، أو فيه قابلية للنشر، لأن بعضها تعليق على ما قد لا يجيزه الرقيب!

والشيخ البواردي كذلك من الأشخاص الذين تتداول طرائفهم، وأشعارهم المبهجة، ولا يخلو مجلس من مجالسنا اليوم دون أن يؤدي الحديث إلى شيء مما يروى عن الشيخ -رحمه الله-

ومن عرفه، وجلس معه لا يستطيع إلا أن يذكره بخير، فهو خير، ويحب الخير، وقصصه جميلة، وطرائفه تدل على ذكاء حاد، وفطنة زاكية، وعنده ملكة شعرية للطرائف، قد يخير سامعه بين أن يجعل قوله شعراً فصيحاً أو عامياً. ويأتي بذلك بما هو بديع مثل ترحيبه الحار، الذي جاء بحرارة الثلج!! وليس فيه شيء من الترحيب، مثل قوله: «مرحباً بك عد ما ينفس الميت»(١) وحصيلة هذا العد طبعاً «صفر»!

وامتاز الشيخ البواردي بجانب ضلاعته

---

(١) ص (١٤٠).

في الفقه، وبروزه في القضاء بسرعة البديهة، مثل قصته مع معالي الشيخ راشد ابن خنين -حفظه الله- وأكلهم البطيخ (الجح)، (الحبحب)، ولعل الشيخ راشد فكر ودبر حتى نصب الشراك للشيخ -رحمه الله- ولكن الشيخ البواردي -رحمه الله- بسرعة بديهة، قلب المصيدة، وجعلها في طريق الشيخ راشد، وأمسكته، والبادي أظلم!

ولو أردنا أن نتتبع ما جاء في هذا المجال بالتعليق والتحقيق، لطال هذا، ولسبقنا قراءة القارئ للمتن، وفيه المتعة الحقيقية.

ويحمد من الأستاذ عبد الرحمن، مثل

ما حمد لأستاذنا عبد الكريم الجهيمان، الكتابة عن مثل هذه الأمور، ورسم تلك الصور الصادقةعن مجتمع الآباء، وليت كل قادر على صيد هذه الطيور السوانح، يكتب عما يعرفه عن بيئته في أي منطقة من مناطق المملكة، لتكتمل لنا صور نقدرها عن أناس نقدرهم ونعزهم، ويحق لهؤلاء أن يعتز بهم أبناؤهم ويقول الواحد منهم: إن أبي دوّن عن قومه ما حفظ تراثهم، وحماه من الضياع، وأبرزه بثوبه القشيب، مما لم يستطع غيره أن يفعله، ولن يستطيع، لأن الأمر أمر زمن، وما مرّ لا يسترجع، وليس لكاتب المستقبل إلا أن

يعيش على فتات موائد الكتاب السابقين.

اهنئ الأخ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد العزيز المانع على هذا الإنجاز، وأرجو أن يستمر حماسه لتدوين ما قد يعنّ، وأن يقيد صيده أولاً فأولاً، فلعلنا عن قريب نحظى بجزء جديد، يرفد هذا، ويسنده، أعانه الله، وأخذ بيده إلى ما ينفع ويرفع.

والحمد لله رب العالمين بدءاً وختاماً

---

(١) صدر الجزء الثاني في عام: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م كما هو بين في الصفحة التالية.

(١٤) مقدمة لكتاب
(مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال والأشعار النجدية)[١] ج (٢)

أفرح كثيراً عندما ما أجد كاتباً يعتني بالتراث، رواية أو نقلاً أو كتابة، وحتى المستمع للتراث أقدره وأشكره على حسن إصغائه، لأن التراث ربط للحاضر بالماضي، وأداة للمقارنة من الجيل الحالي بين ما كان عليه آباؤه وما هو عليه في الحاضر، لا تطرف عينه عنه، ولا يصدأ تفكيره فيه، ولا يضعف اعتناؤه به. ويصبح

---

(١) الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

أمانة في يده، يعمل على بقائها في النور، ليراها المستهدي.

قد لا يتصور بعض القراء ما يوجب حماسي لتدوين التراث، لأنهم لم يبدؤا في التفكير في هذا الأمر، لأن في مشاغل الحاضر، وما فيه من إنجازات معجبة، ومتتالية بسرعة فائقة، ألهت أحدهم عن أن يعطي وقتاً للإطلالة على رياض التراث المزهرة.

ولو عوَّد الشباب أنفسهم على قراءة كتاب في التراث لأخذهم سحره، ولوجدوا أنهم أصبحوا تحت التأثير المسيطر له، ولوجدوا أنفسهم يغوصون في أعماق بحاره، ويتوغلون في عمق غاباته،

وهم فيه بين سباحة ممتعة، وسياحة مبهجة.
جَلْب الشباب وإقناعهم بهذا الجانب الحضاري أمر أجد في الدعوة إليه واجباً وطنياً ودينياً وحضاريًا. ولهذا لا أفتأ عند كل فرصة من رفع صوتي ليس فقط بالدعوة للالتفات إليه، ولكن أملاً في الإقناع أكثر، أعرض نماذج مما فيه من إنارة وضياء، علّي في كل مرة أكسب له أفراداً ولو كانوا يعدون على أصابع اليد الواحدة، وآمل أن ينزل الله فيهم بركة فيأخذوا الكرة ويجروا بها إلى آخر الملعب، فيسجلوا أهدافاً قد تفوق ما أمّلناه.

هذا الجانب هو ما يخص القارئ، والجانب الثاني ما يخص الكاتب المهتم بتراث الحاضر، مما هو على الألسن، وغداً يطويه الزمن، ويتبخر في الهواء، فلا يبق منه صور يجترها جيل مقبل. وأهمية هذا التراث أنه يعطي فكرة واضحة للمجتمع الذي نبعت فيه، وأصبحت صورة صادقة له، وبدون معرفة جميع جوانب المجتمع منها تصبح هذه الحقبة حقبة مختفية في ظلام دامس لا يرى منه جيل مقبل شيئاً، وتصبح فترة مفقودة أو ناقصة في تاريخ سير بلاده. والتاريخ إذا لم يتواصل، وأصبح فيه حلقات مفقودة، فأي لبنات

جديدة يحاول ضمها لصرح الوطن لا تجد ما توضع عليه من أساس قوي ثابت. ويصبح التخمين أو الحدس أداة المؤرخ الحديث.

والمجتمع له جوانب متعددة، منها الزراعي، ومنها الاجتماعي، منها الحضري، ومنها الريفي والصحراوي، والمهن من جوانبه من صناعة وتجارة وغيرها، وكل جانب له نضح، يعرف من كلمات عابرة تقال، أو قصص تروى، أو مواعظ تلقى، أو انتقادات يرفع الصوت بها، أو مداعبات تتناقل، أو إشاعات تنتشر، أو فقاعات طرائف تطلق،

أو أمــراض توصف، أو قــحـط ينزل، أو خصب ينعم الله به.

كلمة واحـدة قد تُسـجَّل تعطي صورة، جملـة عابرة قد تصـحح مفـهومـاً، حدث عارض قـد يفتح باباً لتساؤل، خطاب غـير ملفت للنـظر في وقـتـه ينشـر نوراً يضيء فيـقضي على ظلمـة قد خيَّـمت، ويكشف عن غامض قد حيّر وأقلق.

ومُـدوِّن التـراث الحـاضـر يجب، في نظري، أن لا يحـتقـر أمـراً رآه في وقتـه لا يستـحق التسـجيل، أو يخـشى أنه لا يلقى قبولاً من الـقارئ، فما لم يعجـب اليوم قد يعـجب غـداً، ومـا لم يعجـب فلاناً فـقـد

يعجب فلاناً آخر.

وكتب التراث عن العصور الإسلامية الأولى، أو عن عصر الجاهلية جاءت قيمتها من أن فيها ملامح مفيدة لنا في تصور ما كانت عليه الحياة في تلك الأزمان، ولعل قمة التسجيل للتراث كانت في العصر العباسي، فما دوِّن في الكتب التي وصلت إلينا تشبع رغبة المؤرخ والأديب بما احتوت عليه من معلومات شملت جوانب المجتمع المختلفة. وبعض هذه الكتب كتبها أدباء أو مؤرخون تصدّوا لدراسات علمية ملأت رفوف المكتبة العربية في المجالات المختلفة، وبعض

الجوانب تطرق له عدد من الكتاب، فجاء هذا بفائدة عظمى، سواء كان ذلك في استكمال المعلومات في كتاب لاحق لنقص في كتاب سابق، أو بقي منجّماً.

هذا إذا وضع في كفة ميزان التقويم يتساوى مع مجهود مشكور في كفة أخرى من هذا الميزان، وذلك جاء في تدوين ما يدور في المجالس عن أمور عفوية جاءت استطراداً، فأحيت المجالس، وأشاعت ثقافة واسعة، خدمها في هذا أنها مما يقبله العامة، ويسعون إليه، لأنهم يجدون فيه فائدة وتسلية، ويجدون أنه يريح من يبحث عن راحة بعد الكد، وهدوء بعد الركض

وراء المعيشة.

هذا الإقبال على منهج تدوين حديث المجالس شجع الكتّاب على أن يحرصوا على تدوين ما وجدوا أن فيه فائدة، وشعروا أن من واجبهم تدوين ما يعد صوراً جانبية تكمل الصور الأصل، والتي تعد رئيسة في رسم الصورة الحقيقية للمجتمع الذي يعيشون بين ظهرانيه، وله حق عليهم في عدم ترك هذه الدرر تضيع بخاراً في الهواء. وقد سنّوا بهذا سنة حسنة لمن جاء بعدهم من كتّاب في العصور التي تلت عصرهم مثل عصر المماليك. وفي العصر الحديث أخذت الصحف والمجلات

جزءاً كبيراً من هذا النشاط الفكري، وتسجيل الأحداث الصغيرة بما في بعضها من طرائف، وأصبحت مرجعاً لمن جاء فيما بعد من الكتاب، أخذوا منها ما ألفوا منه كتباً أصبح لها رواج ملحوظ.

أفرح عندما أرى أحد المواطنين في بلادنا وقد تصدى لتسجيل ما يدور في المجالس من أحاديث، بما فيها من أقاصيص، وطرائف، وحكم، وأشعار. وهذه كلها تعطي صوراً صادقة عن المجتمع الذي أنبتها، أو احتضنها وروّجها، وأصبحت جزءاً من تراثه يعتز به، أو يأخذها أحياناً مجالاً للتبكيت من

مجتمع لمجتمع، فهذه المنطقة تلمز تلك المنطقة بشيء طريف أو مضحك ادعي أنه حدث في تلك المنطقة أو تلك المدينة، ويأتي رد بالقوة نفسها. وقد يكون في شيء من هذا بقايا من صلات قديمة بين تلك البلدان.

وهذه الأمور المسجلة تنطق بلسان ذرب، وترسم بريشة بارعة صوراً للمجتمع الذي قيلت عنه، وتعكس بحق ما كان يدور فيه، والصفات التي كان عليها، والعادات والتقاليد التي كان يسير عليها، فهذا مجتمع ريفي، وهذا مجتمع حضري، وهذه مهنة وتلك أخرى. وهي

سـمـات تكاد لا تـرى اليـوم، لأن الزحف الحضاري اليوم أخرجها من الصورة، وقوة زحفـه، وسرعة ذلك جـعل من المسـتحيل بقاء تلك العادات، أو صـور الأعمال التي كانت جارية، وتمثل العمل اليومي في تلك المجتمعات.

وأمامي الآن كتاب قد أعدَّ للطبع، وهو الجـزء الثـاني لكتـاب سبـقـه، عنوانه: «مقتطفات من الـقصص والنوادر والأمثال النجـدية» للأخ الأستـاذ عـبد الرحـمن بن عبـد العزيز بن عبـد الله المانع. وهذا الجزء الثـاني هـو امـتـداد للنهـج الذي ارتضـاه، وخط طريقـه، وسـار فيـه بجـدارة، فجـاء

صورة لما عليه المجتمع في حقبة من الحقب، وما كان يدور على الألسنة مصوراً جوانب مختلفة، عما كان عليه أبناء ذلك المجتمع، وفيما دُوِّن مجال واسع للدراسة لمن أراد أن يكتب عن تاريخ ذلك الوقت، وفيما دُوِّن كذلك ما يسلّي ويبهج، ويسري عن أولئك الذين يجهدهم العمل، ففيه «جلسة» سمر لمن منعه الوقت أن يذهب إلى جلسة سمر.

ومن فوائد هذا التسجيل أنه يحفظ جوانب القصة من الضياع، فأحياناً تقص القصة أو يُتلى الشعر، ولا يعرف اسم الشخص الذي دارت عليه القصة، أو اسم

الشاعر الذي تُليت أشعاره. وتزيد الفائدة وتبرز عندما يؤتى بمثل دون أن يعطي فكرة عن الظرف الذي قيل فيه، فإذا عرف من قائله، وفي أي مناسبة، أصبحت فائدته لا تحصر، وتفادينا ما نجده أحيانا من غموض في بعض الأمثال العربية، المدونة عن عصور بعيدة، ولم تقع في مخرج التخمين الذي نلجأ إليه عندما نصطدم بغموض يوجب علينا أن نقول المثل عند الحاجة دون ذاك البعد الفكري الذي يحوطه، وينير جوانبه.

اعتنى المؤلف بابتداع ما يوجب الالتفات إلى الأهازيج، وهي صور فكرية واجتماعية مهمة، فجاء منها بأمثال دلّت

على الاتجاه الذي كانت تتجه إليه، والصور التي كانت تأتي عليها، وما يكمن وراءها من زيادة همة العاملين، وحثهم على العمل، ناسين الجهد المضني الذي هم فيه؛ وهذه صور ناطقة عن جانب من عمل الرعاة، وكدح الفلاحين، وفرح في الزواجات، ومشقة البنائين، ونفرة الذين ينادون لصيد الجراد، إلى آخر ما تعرَّض له مما يخص الأهازيج.

وأعود إلى الأمثال، وأعطي مثلا واحداً لما يزيله البيان في بعضها من غموض، مما قد يذهب فيه السامع إلى ما لا يتفق مع الحقيقة، فمثلاً المثل الذي يقول.

«عسكر السلطان سالم».

فبدون الشرح الذي سطره الأخ عبد الرحمن سوف يذهب فكر القارئ أو السامع يميناً ويساراً، ويبعد عن الحقيقة، ما شاء له الغموض أن يبعد، فمن هو السلطان وفي أي زمن؟ وهل العسكر هو الموصوف بالسلامة، أو أن السلطان اسمه سالم؟ ما جاء من شرح هو السهل الممتنع. لو لم يشرحه لسيطرت الحيرة، ولكنه مع الشرح يبدو الأمر سهلاً بحق.

لنأخذ مثلاً آخر هو:

«يا من يد خلني بمحلق، ويا من يظهرني بمحلقين».

لقد أبعدت كلمة «المحلق» عن مجتمعنا اليوم بعداً يدخلها في أعماق القواميس، والمثل دون معرفة مرامي كلماته، والمناسبة التي قيلت فيه يصبح طلسماً من الطلاسم. أما الآن فبعد الشرح، وإلقاء ضوء ساطع على جوانب المثل، والقصة التي يضع مرفقه عليها، أصبح المثل مبعث متعة، لطرافته، وللصورة التي يرسمها لمجتمع ذلك الوقت، وللفكر الذي يكمن خلف تصرف الناس، وما يقع فيه البشر من أخطاء تجعلهم يعملون «مقالب» في أنفسهم، أدى إليها خطأ يتكرر وقوع الناس فيه، وهو الهرولة خلف

أول فكرة تبدو، دون تقليبها على جوانبها في الذهن، ليرى مدى فائدتها، واكتشاف ما قد يكون فيها من نقص، وما قد تأتي به من ضرر يغطي على النفع الذي برق في الذهن في أول الأمر.

وهذا أمر يحدث كثيراً بين الناس، سواء الفكرة كانت للخروج من مأزق، أو حل إشكال، أو العمل على مكسب.

نجد أن أول فكرة تسيطر على ذهن الإنسان، فينساق إليها، ويقوم بتنفيذها، ثم يتبين له بعد الدخول في التنفيذ أن هذه الفكرة كان يجب أن تكون في الهامش، وأن غيرها أولى أن يكون هو المطلوب

أساساً، وأن السير على طريقه هو الموصل إلى الفائدة والمبعد عن الضرر.

واتباعاً لما يقوله العامة: أن القدْر لا يجلس إلا على ثلاث، والثلاث الأَثافي هي أقل عدد يمكن أن يستقر عليه القدر عندما «ينصب»، وقد أتينا بمثلين، والأثفية الثالثة هي المثل الذي يقول:

«اللي ما يرضى بجزّه يرضى بجزّة وخروف».

هذا مثل دون شرح يصبح غامضاً كل الغموض، ولكنه مع الشرح يزول الغموض، ويحل محله تدبر وتبصر بما يأتي به تصرف الناس غير المتقن، مما سار

خلف رأي أوقع صاحبه في «مقلب» مثل صاحب المثل السابق.

هذه الأمثال تعطي حكماً مختصرة، يستفيد منها الناس في حياتهم، وهذا اتجاه عالمي مما يدل على أن قطاره يسير على قضبان أصل مستقيم.

الأخ الأستاذ عبد الرحمن المانع من أهل شقراء، وكثير من القصص التي أوردها أخذها من ذلك المحيط، ولهذا في بعضها مظاهر ذكاء، وسرعة بديهة، وهو ما عرف به أهل شقراء، فهم سريعو البديهة، والرد عندهم لما يوجه إليهم جاهز، وينطبق عليهم قول القائل «بندقهم مكيولة جاهزة»، بمعنى

أن أحـدهم إذا أراد إحراجـهم، فـالويل له، لأن الرد سـوف يأتيـه قـبل أن يتم كـلامـه. وغالباً ما ينتـهي الأمر إلى ضحكة مجلجلة تهـز القائل ومن قـيلت له، مهـما كـان الرد قاسـياً، لـم أملك نفسي من الضـحك عندما قـرأت القصـة المعنونة «مـعروج بي»، وقـد اشـتاق من حـولي ليعـرفـوا ما أضـحكني، قلت لهم: «انتظـروا حتى يصـدر الكتـاب»

يسعدني أن أقـدم هذا الجزء من الكتاب إلى القراء، وأرجو أن يجد عندهم من القبول ما وجده الجزء الأول، الذي كـان سلوة المسافر «والكاشت»، وصاحب الأسمار.

والله المستعان وبالله التوفيق

(١٥) مقدمة كتاب (الروضة)(١)

يحلو لي عند ما يسألني أحد: «لماذا اخترت التاريخ تخصصاً؟» أن أقول: «كل الصيد في جوف الفرا». أجل، فكل علم في التاريخ، والتاريخ يحتاج إلى كل علم. من مشى في جادة التاريخ أفادته علماً، ومن مشى في جادة أي علم أفادته دراسة التاريخ.

وعندما أقول التاريخ أعني تاريخ الأمم، والدول، والأفراد، والحيوان، ومظاهر الطبيعة، وتاريخ المدن، وتاريخ

(١) مقدمة كتاب «الروضة» للأستاذ أحمد الدامغ، كتبت في ١٦/ ٨/ ١٤٢٠هـ.

المواقع والآثار، فكل أمر من هذه الأمور يحتاج إلى تاريخ حياة، أو تاريخ وجود: بدءاً، وتطوراً، وصورة واقع، وتمحيصاً، وفحصاً: وزناً، ومقارنة.

ونحن الآن بصدد تاريخ مدينة كانت بلدة، وقبل ذلك قرية. وقبل ذلك إما مزرعة أو مورد ماء، وتكاد كل مدينة في المملكة تكون بدأت بإحدى هذه الصفات.

لقد حاول مؤلف هذه الإضمامة (على حد تعبيره في تسميتها) أن يبين بدء مدينة الروضة، في سدير، على ردن وادي الفقي، وتطورها من نواة إلى دوحة سامقة، ونخلة باسقة، راح يجمع فتات موائد الأخبار

والآثار، ينسقها ويرتبهـا ويصقلها، يقتنص خبراً من هنا، وخـبراً من هناك، وحادثة من هنا، وحادثة من هناك، يفـتح هذا الكتاب، فيجد فيه بعض بغيته عن حقبة من الحقب، ويَقْلب صفحة من صفحات ذلك الكتاب، أو يتوغل بين أسطر تلك الملزمة أو الوثيقة، يجد ضالته أو لا يجدها. هذه مادة يستقيها من حـرف وصـفـحـة، وتـلك من رواية ومشافهة، أو من معاصرته لبعض الحوادث وهو صغير، أو مـعاينة رسم لا يزال رسمه بيناً، وشذرات من جسـمه تنوس. ثم يختم هذه الصـور بصـور الحـاضـر، شـاهد هذا الجيل على النهـضة الشاملة، نتيـجة البذل،

والجهد، والمتابعة، والرغبة في الإصلاح، والإصرار عليه، حتى لا يفخر زمن سابق، أو زمن لاحق، على زمننا، أو يتهمنا بالتقصير أو التراخي.

هذا الكتاب ذو أقسام عدة منها قسم يفتح نافذة فيها الاجتهاد المحض للإطلال على الماضي المجهول، بمشعل الحاضر المعلوم، شيء منه حدس، وشيء منه قياس، وشيء استنتاج، وشيء مقارنة، وهذا القسم أساس، ولا يمكن تقويمه إلا ممن تفرغ للبحث العميق، ومزاحمة المؤلف فيما حاوله، وتوصل إليه.

وقسم منه فيه جمع للحقائق من

الكتب، ومواءمة بينها، ما وجد المؤلف إلى ذلك سبيلاً. وهذا الجزء يمثل حيزاً واسعاً في هذا الكتاب، وإذا كان للأستاذ أحمد الدامغ فضل في هذا، ففضله أيضا يمتد ليُري جهد المؤرخين الماضين، الذين فتحوا طريقاً عبره، بَعْدهم آخرون، تركوا لنا تراثاً مجزياً، وضع علامات على الطريق، وإذا كان بعضها لا يغني، إلا أنه إلى حد ما يشفي الغليل، ويقلل من ظمأ العطشان، المؤمِل في الوصول إلى بعض الحقائق، في زمن عز فيه التدوين، لتباعد الديار، وضعف سبل نقل الحقائق، وما واكب تلك الحقب من عزوف عن تدوين ما لا

يكون في سبيل الدين وخدمته، من فقه، وتوحيد، وتفسير.

وقسم اعتمد على الرواية الشفوية ممن يملك إعطاء الحقائق عن وقت شهده، وعاش حوادثه، أو لحق عصر من عاشه. وما في هذا القسم ثمين، لأنه حقائق أخذت طريقها إلى الحرف والصحائف، خطاً أو طباعة، وهو خطوة مقدرة من معاصرينا، وسوف يقدرها أهل زمن لاحق أكثر فأكثر.

ومثلها القسم الخاص بحاضرنا مما شهده المؤلف في القرن الماضي، وشهدنا مثله في مدن أخرى، ولدنا فيها، وترعرعنا على أرضها، وشاهدنا فيها مثل ما شاهده

المؤلف في مدينته «الروضة»، من تطور ونمو، فاق حد خيال المؤملين، ودرجت عجلته بسرعة فائقة، واندياح مذهل، ونافس فيه منحى منحى، واتجاه اتجاهاً. فكانت نتائج ذلك كله خير عميم، ننعم به اليوم، راجين من الله أن يوفقنا لشكره عليه، وحمده على إسباغه.

وبعد:

هذا كتاب قصد به مؤلفه الفائدة، ولا إخاله -إن شاء الله- إلا جانٍ ثمرته.

وفق الله المؤلف للمزيدٍ من الإنتاج النافع، وقَبِل عمله.

وصلى الله على محمد،،،

(١٦) مقدمة لديوان «أغلى وطن»(١)

الفنون متنوعة، وعدّ بعض الدارسين الشعر فناً من الفنون، والشعر، بأقسامه المختلفة، يُكوِّن جانباً فكرياً خاصاً في الأمة، تظهر فيه سماتها، ويشع منه ما تشعر به، ويبوح بما تطمح إليه، وينشر ما تقدره، وتغليه، ويبرز ما يأخذ جل تفكيرها، ويعلن ما يستولي على مخيلتها.

والشعر كما تعارف العرب، ديوان حافظ، وسجل أمين، وحرز مكين، لما يمتاز به عن الحديث المرسل، ففي تكوين الشعر

(١) ديوان: «أغلى وطن» للأستاذ موسى السليم كتب في ١٨/ ٩/ ١٤١٩هـ

تكمن قـوته، وفي تركيبـه تتوافـر أسبـاب السـلامة فـيـه، فلا تعـبث به الذاكـرة، ولا يتسلط المتطفلون، فالوزن فيه حصن قوي، ومن وراء هذا الحـــصن حـــصن ثان هو القافية، فـفيه حصنان كفيـلان بإيجاد الثقة في نصـه، مـهمـا طال الزمن، ومـا مـر من عصور.

وتحت كلمـة الشعـر مفتـرق طرق، كل واحـد منهـا يؤدي إلى قـسم من أقـســام الشـعر، فـالأوزان مـثلاً قسم، وأغـراض الشعر قـسم. وللأقـسـام الرئيسة فـروع، يتفـسح في عددها ونوعـها من أراد السـير في رياض غنّاء.

وشعر الأناشيد قسم من أقسام الشعر، قائم بذاته، ينتصب في الميدان وحده، له أهله، وله أكفياؤه، وله أبطال، وله مختصون، وليس كل شاعر يجيده، لأهله مَلَكَة عرفوها فصقلوها، ودربوها، قدحوا زندها، وأذكوا أوارها، وأعلوا منارها، حتى تم لهم صورة ارتضوها، فجاؤا يعرضون بضاعة مطلوبة، وسلعة مرغوبة، ومن ذا الذي لا يتطلع إلى أناشيد تمجد الوطن، وتشيد بذكره، وتفاخر بعزه، فتشحذ بذلك الهمم، ومن ذا الذي لا يرحب بأناشيد تذكي البطولة، وتحث على رفع قيمة المكتسبات الوطنية، وحماية الثوابت.

ميزة الأناشيد أنها في جانب مهم منها تخاطب الصغار من أبناء الوطن، وهم النبتة الغضة، القابلة للتعديل، والتشذيب، والتهذيب، والتوجيه، فهم التربة الصالحة لزرع الأفكار الخيرة المنتقاة، ترسخ في أذهانهم، وتعمق في ذاكرتهم، فتلوِّن تصرفهم في مراحل نموهم القادمة، فيشع نوره في أعمالهم عندما يكبرون، يجذبهم إليها سهولة نطقها، ووضوح معانيها، وسهولة حفظها، خاصة مع الترديد، واختيار اللحن الجذاب.

يعرف الطفل الوطن من تكرار كلمة «الوطن» في الأناشيد، وقد مررنا بهذه

التجربة ونحن صغـار، وقفزنا إلى السحب والمنشد يقول:

يا شباب الوطن	عـــزّزوا اسمـــه
لا تخافوا المحن	وارفعـوا ضيمـه

***

مجدنـــا باهـــر	إثـــره لا يـــزول
مجدنـا ظاهـــر	ليس يخشى الأفول
نجدنـا والحجـاز	يشهـدان بعدنـــا
أننا فـي الحيـــاة	فعلنـــا فخرنـــا

***

فاهتفـوا جاهرين	بحيـــاة الإمـــــام
واصدعوا شاكرين	لـــــه هذا الإنعام

كلمـــات تملأ النفس بـالأمل في أن هذا

الطفل سوف يكون بعون الله حامياً للوطن، ومُبعداً عنه الضيم، دون تردد، أو نقص إيمان.

ويعرف دوره في مجتمعه عندما ترسمه له الكلمات الآتية، ورغم أني أتصور معانيها إلا أني لا أذكر منها إلا مطلعها:

نحن الشباب لنا الغد ومجده المخلد نحن الشباب

وبيت آخر ولعله من نشيد آخر:

شعارنا على الزمن عاش الوطن عاش الوطن

فيتسع الأفق أمامه، ويصبح الغد مُلكه ومسؤوليته أمام مجتمعه، وضميره، الغد بما فيه من مجد متعدد الجوانب.

كلمـات الأناشيـد تهـمس في أذنه عند الأزمات، مذكرة إياه بما زرع في روحه منذ القدم، وتتـجاوب المعاني أمـامه وهو كبـير مع قصـائد الحرب الحماسـية، وتكون تلك الأناشيـد مقدمـة لتلك القصـائد، فتتـعاون الفئتان على تشكيل الروح المعنوية، وتغذي الجهد المنطلق لحماية الوطن.

وعن تاريخ الأنـاشـيـد التي أذكـرها، وتطرب الذاكرة لاستردادها، تلك التي كنا ننشـدها في صـبـاح كل يوم، أو عـصره، تنشـيطاً لنا قـبل الدرس، أو ترويحـاً لنا بعـده، وهي تمـثل صـدق الولاء، وبُعـد الطموح، وذكرها تسجيل لها عن الضياع،

فقد لا تكون قد سجلت، أو سجلت واختبأت في صفحة من صفحات الكتب التي أصبحت نادرة لقدم طبعتها، ونسيان الناس لها.

ومن هذه الأناشيد النشيد التالي، وهو غني بالأفكار، والعبارات الصادقة، والصور التي أحسن رسمها، وعنوان النشيد:

«اللهم احفظ الملك: نشيد الطلبة بعد كل صلاة» والواقع أنه بعد صلاتين، لأن صلاة الظهر وصلاة العصر يحل وقتهما أثناء وقت الدراسة اليومية:

يا رب عبدك خادم الحرمين فخر المسلمين

عبد العزيز بن السعود توِّجْه بالنصـــر المبين

❊❊❊

انصــر جيوشه وكــن لهـم لـدى البأس معين

فإنهــم جنـدك حـرا س حمـى الدين المتين

❊❊❊

تـــوّج لـواءه بنصـــر منـــك وضـــاح السنـــا

وكن لـه عونـاً وذخراً فهـو مصـدر عزنـــا

❊❊❊

احفظـه ركنـاً للعروبـة فقـد ضـاق الخنـاق

وحـلّ بالإسـلام مــن أعدائـه مـالا يطـاق

واحفظ حماة العـرش من آل السعــود الناهضيـن

وانصـــر جيوش الوحـدة الكبرى وحراس العرين

وانظـر إلى مهـد النبـوة بالعنايـــة والرضـــى

وإلى الجزيـرة بالرعـا   يـة في الصباح وفـي المسا

***

آمين يا الله   آمين يا الله
آمين يا الله   آمين يا الله

***

هذا النشـيد امـتلأ بروح الإيمان والوطنيـة والولاء، والامـتنان لله على نعـمه، ويصـور طمـوح العرب فـي تلك الفتـرة، ويلمـز إلى آلامهم وآمالهم، وما يتطلعون إليه من التفاف ووحدة، جاء كل ذلك في أبيات طربة، تبهج عندما تنشدها حناجر غضة، وفي هذا النشيد النظرة الوطنية المحدودة، والوطنية الواسعة.

والعَلَم رمز للوطن، ومحـور للالتفاف،

وله حق أن يتحدث عنه، ويتحدث إليه، فيوصف دوره، وما يعلق على بقائه عالياً ممجداً، والأمل أن يلتئم شمل الأمة حوله، وهو يحمل شعار الأمة، رمز عزة، ووحدة، وتعاضد، وتكاتف، فيأتي نشيده هكذا:

تحية العلم

علم الوحدة رفرف أنت عز للعرب
كل حرّ بك يهتف كي يؤدي ما وجب

***

كل طرف حين تبدو خافقاً يرنو إليك
كل قلب ملؤه الإخلاص يهفو إليك

***

أنت رمز للسيادة أنت للمجد شعار

أنت مصباح السعادة أنـت عنـوان الفخــار

***

حينمـــا تخفــق ترتــا ح لرؤيـــاك النفــوس
وترى كل فـم يبســـم وإن كــان عبـــوس

***

فيـــك يتلـو الجنـد فـي الحـــرب تعاليـــم الحيـاة
فيسيـرون إلـى المـــو ت ركابـــاً ومشــاة

***

فلتدم للعرب فخــراً خافقـاً حتـى الأبـــد
نرفــع الرايـات كبراً بـــك فـي كـــل بلـد

***

ومـا يمـلأ الذهن في تلك الأيام، الـتي كنا فيها في المرحلة الابتـدائية، هو وحدة العرب،

واستقلالهم وتقاربهم، والأمل أن ينزاح عنهم الاستعمار، لينهضوا ببلادهم، فتتقارب البلدان في أهدافها، وتتحد في اتجاهها وسيرها، ولهذا يأتي نشيد يأخذ منحى منفرداً في صياغته، ليعرف من هم العرب:

من هم العرب؟

سل القلما	سل العلما	من العرب؟
سل السيف	سل الرُّمح	من العرب؟
سل الخيل	سل الليل	من العرب؟
سل الفضل	سل النبل	من العرب؟
سل الأدبا	سل الحسبا	من العرب؟
سل الشرق	سل الغرب	من العرب؟
سل الصحرا	سل البحر	من العرب؟

سل المدفع والموت من العرب؟
سل التاريخ ينبيك عن ماضيهم، ما الذهب؟

وهناك نشيد الاستقبال والترحيب، وهو لون من الأناشيد التي تحمل في معانيها تكريماً، وهو نشيد محبب للطلاب، لأنه يعطيهم فرصة لإبداء مشاعرهم، نحو من يحملون له حبا وتقديراً، ويشعرون بالتقدير المباشر الفوري وهم ينشدون نشيدهم، وبعد أن يلقوه وغالباً ما يكونون هم المادة الرئيسة في الحفل، ومصدر البهجة فيه، والأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) -رحمه الله- يمثل الملك عبد العزيز -رحمه الله- في الحجاز، وينوب

عنه في إدارة المنطقة، فلا غرو أن تلحظ عنايته بالتعليم، ورعايته له، وحدبه على منسوبيه، أساتذة وطلاباً. وكانت الحفلات تترى في المدارس، منفردة، ومجتمعة، واستقباله فيها، بين آن وآخر، يوم مشهود، ومتطلع إليه، وكذلك مشاركة الطلاب في استقباله إذا عاد من سفر، ومن الأناشيد التي قيلت في إحدى المناسبات نشيد الاستقبال الآتي:

على الرحب يا شبل فخر العرب
وأهلاً بزاكي النهى والحسب
فيا مرحباً بالأمير الجليل
كريم الأرومة والمنتسب

قـدمت فـيـا مـرحـبـاً بالندى

وبالمجـد يابن رفـيـع النـسب

وبالنبل، والجـود من راحـتـيك

يفـيـض وأنـت المنى والطـلب

هو العـيـد يوم قـدوم الأمـيـر

إلى شـعـبـه وهو يوم الأرب

ورؤيتـه ظـافـراً سـالماً

هي الأمـل البـاسم المرتـقب

فقـد شع في الأفق بدر السـعود

فـزال به هـمّنا والـنصـب

واشرقت الأرض بالنائب المعظم

فـيـصل فـخـر الـعـرب

وزيارات الملك عبد العزيز -رحمه الله-

للمناطق المختلفة كانت تتوالى، وكان لمنطقة القصيم حظوة عنده، ولبلدانه نصيب وافر متكرر من زياراته، ومن المدن التي كان يزورها، ويقيم بها، مدينة عنيزة، وكان فيها نهضة علمية متميزة، قامت على جهد رجلين فاضلين، هما القرزعي وابن صالح، قبل إنشاء المدارس الحكومية، وكانت مدرسة ابن صالح -رحمه الله- متقدمة في مناهجها، وطرق التدريس بها، وكان عمادها الأستاذ صالح بن ناصر بن صالح، يساعده أخوه عبد المحسن -رحمهما الله- وكان الملك عبد العزيز -رحمه الله- يحرص على زيارة المدرسة،

وكانت تعد لزيارته برنامجاً حافلاً بالأناشيد والتمثيليات التاريخية، وأذكر من جملة الأناشيد نشيداً ألّفه الأستاذ صالح في استقبال الملك عبد العزيز -رحمه الله- منه:

عبد العزيز بن السعود ... ها كلنا بين يديك
كل القلوب تهفو إليك ... نفوسنا تُهدَى إليك
هذه شبان العرب ... عادت بمجد قد ذهب
إن المنى نيل الأرب ... في عهدكم ياذا النسب
راياتنا سودي بنا ... لا ترهبي كيد العدا
آمالنا نيل المنى ... .

ومن الأناشيد التي كان الطلاب يعشقونها، ويحبونها، ويتغنون بها، ويحرصون على ترديدها واستعادتها،

والتي كانت من جملة الأناشيد التي كنا ننشدها، ونحن في المرحلة الثانوية في قلعة هندي التي تضم في مكة مدرستي المعهد العلمي السعودي وتحضير البعثات، مشاركة من المملكة العربية السعودية لشقيقاتها الدول العربية، النشيد الوافي الآتي، وفيه بوح كامل بالآلام، والآمال، مما يمثل الشعور السائد في تلك الحقبة:

نشيد الشباب

شباب العلا يا شباب العلا

أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

ففيم التواني وفيم الونى

وقد آن أن نستعيد الفخار

خيــالك يا مــوطني كل حين
يشاغـلني في المسا والصـباح
فـمنك لقـد شـع نور اليـقين
فـعم القرى مـشرقـا والبطاح
ومنك الذي قد هدى العالمين
بسـبل الرشـاد ونهج الفـلاح
ومنك البواسل في الطامحين
رجال الفـخار وجند الـكفاح
شبـاب العلا يـا شباب الـعلا
أذلوا الصعاب، وخوضوا الغمار
فـفـيم التـوانـي وفـيم الونى
وقـد آن أن نستـعيـد الفخـار

* * *

ومنك أسـامـة وابن الولـيـد

جنود الحـروب وفـرسـانهـا

ومنك الأسود ومنك الفـهود

غطارفـة البـيـد شـجـعـانهـا

ومنك الكمـاة ومنك الجنود

رجـال الـعـروبة فـتـيـانـهـا

أهابت بهم فاستـذلوا الخمود

وسـاد على الدهر قـرآنهـا

شبـاب العلا يـا شباب الـعلا

أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

فـفـيم التـوانـي وفـيم الونى

وقـد آن أن نستـعيـد الفخـار

* * *

فعش سالماً تحت ظل المليك
مليك العروبة حامي البلاد
ومن نوره خذ ضياء السلوك
إذا ما سلكت طريق السداد
فليس له في المعالي شريك
فقد فاق بالطيبات العباد
فيا وطني إنني افتديك
بروحي ومالي ليوم المعاد

وهناك نشيد حماسي آخر، مما يحبه الطلاب، ويعشقون ترديده، والتغني به، النشيد الآتي:

حماة الحمى يا حماة الحمى
هلموا هلموا لمجد الزمن

فقد صرخت في العروق الدما

نموت نموت ويحيا الوطن

***

لتدوي السماوات في رعدها

لترمي الصواعق نيرانها

بعز البلاد إلى مجدها

رجال البلاد وفتيانها

فلا عاش من ليس من جندها

ولا طعم العيش من خانها

نموت ونحيا على عهدها

حياة الكرام وموت الكرام

***

حـماة الحـمى ياحـماة الحـمى
هلمــوا هلمـوا لمجــد الزمن
فقد صرخت في العروق الدما
نموت نموت ويـحــيــا الوطن

***

بلادي احكمي واملكي واسعدي
فـلا عاش من لم يـعش سيـدا
بـحـــــرّ دمي وبمـا في يـدي
أنا لـبـــــلادي وأرضي فــدا
بلادي العـزيزة فـــاســتنجـدي
بعــــزة شـــعــبك طـول المدا
ونحن أســود الوغى فاشـهدي
وثُوب اســـودك يوم الصـــدام

حماة الحمى يا حماة الحمى

هلموا هلموا لمجد الزمن

فقد صرخت في العروق الدما

نموت نموت ويحيا الوطن

* * *

ورثنا سواعد باني الحرم

صخوراً وفنا كهذا البنا

سواعد يهتز فيها العلم

نباهي به ويباهي بنا

وفيها كفاء العلا والهمم

وفيها ضمان لنيل المنى

وفيها لباغي العداء النقم

وفيها لمن سالمونا السلام

ولـم يـكـن المـربـون فـي تـلـك الأيـام يقتصرون فـيما ينشد على أناشيـد الحماسة والوطن والعلم، ولـكنهم يُدخلون مـعـهـا بعض مظاهر الجمال في الحياة الاجـتماعية من زهور وطيـور، وهذه مـحـبـبـة لدى الطلاب خـاصـة إذا جـاء النغم مـتناسـقـاً راقـصاً، ومن الأناشـيد التي كـان الأستـاذ صـالح بن ناصـر الصـالح يـطعِّم بهـا الأناشيـد، نشيـد العندليب الآتـي:

سـمـعـت شـعـراً للـعندليب
تلاه فـوق الغـصـن الرطيب
إذ قـال نفـسي نفس رفـيـعـة
لم تهـو إلا حـسن الطبـيـعـة

وددت منهـا حســن الـربيع
أحـسن بذاك الحـسن البـديع
فالعيش عندي فوق الغصون
لافي قـصــور ولا حـصـون
أطيـر فيـهـا من فرط وجـدي
من غـصن ورد لـغـصن ورد
وفي فـروع الأشـجــار بيـتي
فـالظل فـوقـي والزهر تحـتي
وسل نسـيم الأســحـار عني
كم هزَّ عطف الأغصان لحني
يا قــومي إني خـلقت حــراً
لم أرض إلا الفـضــا مـقـرا

فــــإن أردتم أن تؤنـــســـوني
ففي المبـاني لا تحبــسـوني
وإن أردتم أن تنـطقـــــونـي
بما أغـني فـــأطـلقــــوني

ولعلها لأحد شعراء المهجر أو الشام.

هذه نماذج من أنـاشـيـد أيام الصـــغـر، استخرجتـها سنارة الأخ الأستاذ موسى بن محـمد السليم عندما أطلعني على مـسودة ديوانه، لأرى فـيه مـا جمـعه من مـجهـود سنـوات عـــديدة، كـنت في أثـنائهـــا من المتابعـين لما تنتجه قـريحتـه منها، ومـا كان ينتجه فكـره بوحي من المناسبات التعليـمية المتتـابعة، وكـان هو المدد لأناشيـد مدارس

الرياض، فلم تكن تحتاج إلى كبير عناء في البحث عمن يقابل حق حفل مناسباتها السنوية المتكررة، التي كان خادم الحرمين الشريفين يشرفها بحضوره، أو ينيب عنه من يقوم بذلك، وكانت أناشيد الأستاذ موسى تتصدر الحفل، وتواكبه، وتختمه.

والناظر في هذه الأناشيد كالناظر في أناشيدنا في الماضي، يجد أنها تجسد الحقبة التي قيلت فيها، وتعبر عما في النفوس من إيمان، وولاء، وطموح، وتطلع. فأول نشيد يؤكد الهوية الدينية، ويؤكد أن المنشد مسلم، ويحدد واجباته، وما يتوقع منه، وولاؤه لإسلامه، وتمسكه بعقيدته، يتبعها

ولاؤه لقادته، والإشادة بالوطن منبع المجد، ومصدر الفخر، ثم، وهو يتحدث في مدرسة يرى فائدة قنديل العلم، وفوائد إشعاعه.

والروضة وهي النبة الأولى لها نشيدها الذي يتناسب مع سن من فيها، ويؤكد محبتهم لروضتهم، وفيها يقضون أسعد أيام حياتهم، وجزءاً كبيراً من وقتهم، ولا ينسى أنها البذرة الأولى للإشعاع الفكري.

والوطن ومقامه ومكانه من القلب، استحق نشيداً متكاملاً لمس جوانب من المهم تذكرها ونحن نجهز هذا الغذاء الروحي، فحب الوطن من الإيمان، وزرع

حبه من أوجب واجبات المربي، في إطار الدين الحنيف والسنّة الهادية.

والعلم نور وإشعاع، والمدارس مصدره، وبالعلم نكسب أنفسنا وبلادنا، والشباب أمل المستقبل، وعلى أكتافهم تقوم النهضة القادمة، ولن يضيع بلد حرص أبناؤه على طلب العلم، وعبُّوا من معينه حتى الثمالة.

وإذا كان النشيد من مفردات حفل الختام في مدارس الرياض، ومن أبرزها، وأثبتها على مرّ السنين، فإن التمثيلية الشعرية (الأوبريت) المسماة بناء الوطن، نشيد مُركَّب، مر بأنواع النشاط في البلاد،

وأشعل في كل جانب شمعة، والوطن يستمع للفئات التي تكونه راضياً بهجاً، يسمع للزراع وللمهندسين والبحارة، وللصنّاع، وللأطباء، وللعسكريين، ولطلاب العلم، وختام هذه المشاهد مسك، وهو نهج جميل، وفكرة صائبة، أحسن اختيارها وصياغتها الأستاذ موسى، وكانت ناجحة، ولا أزال أذكر تصفيق القبول الذي واكب إلقاءها.

والحديث عن الإسلام وتذكير الشباب بواجبهم تجاهه أمر لا يمل، وفيه أجر وفيه أمل، ولهذا جاء نشيد «مسلمون» معبراً عما يراه المؤلف في هذا الاتجاه.

وتتــوالى العناويــن، وتتــوالــى الأفكار تحتــهــا، فــمن إشــادة بمدارس الرياض ودورها، إلى الالتفـات إلى الأمة وحقـها، ثم إلى الوطن، والـوطن يشـدُّ المؤلف فـلا يكاد يتركـه إلى غيـره، حتى يعـود إليه، ثم إلى (أوبريت) مـسـيرة الخيـر، ليـتحـدث الشـاعـر عن نواح يـجب أن تبـرز في هذا الثـوب القشـيب، ثوب الشـعـر، وخاصـة شعر النشيد، وهي مسرحـية ضافية شافية، ويدلف إلى الـرياض ولا يتـوقـع أن ينسى أحدنا الرياض العـاصمة وهي واجـهة من الواجـهات المـضيـئـة في التنمـية، ويؤكـد التـصاق الفـرد بالأرض التي يقف عليهـا،

فينفرد بحوار مبتكر بين الأرض والجيل.

والطفولة بسمة تُذكِّر بما في الناشئ من براءة، وما له من حق، وما يعلق عليه من أمل، ثم يعود إلى الحديث عن الوطن وما يشد إليه في نشيد عنوانه: «عرين الأباة»، وفلسطين في الذهن وفي القلب وفي الضمير، فيخصص لها لوحة شعرية مسرحية في «لغم أنا»، ويدعو الله أن يحمي مصادر فخره: مجده، وطنه، عزه، حبه، عشقه لأرضه، يصوغه نشيداً في «حماك الله»، ويعود للكيان والوطن في «الكيان الكبير» فيأتي بفكر جدي يدخل من زاوية غير الزوايا التي سبق أن مجَّد

الوطن منها.

هذا ما كان في القسم الأول حسب تصنيف المؤلف، أما القسم الثاني فيبدأ بنشيد «بابا فهد» وهو نشيد ألقي أمام خادم الحرمين الشريفين، رمزاً للولاء، والاعتراف بالفضل على رعايته لهذه المدارس، التي أصبحت نموذجاً بين المدارس الأهلية والحكومية، ويعود الشاعر للمواطنة في نشيد: «سعودية، يا سعودية»، وفي حفل سنوي يأتي الترحيب بخادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، وهو حفل حافل جاء النشيد متماثلاً معه في الأهمية بما احتوى

عليه من أفكار.

وتأتي التفاتة مرحب بها، التفاتة موفقة محورها أطفال الروضة، وتدور أفكارها حول «حب الطيور»، وهو موضوع مناسب ومتوقع. ويقفز الشاعر إلى موضوع مهم، لا يجوز أن يُنسى وهو الخليج، وصلتنا به، وما نوليه من نظرة، وما نحسبه له من حساب، وما نؤمله له من مستقبل، ثم يشدّ حب الوطن الشاعر فيعود إليه في نشيد «يا حلوة يابلادي» وفي «يا ديرتي وروحي»، ثم يعطي الخليج حقه مرة أخرى بالتفاتة مقدرة، ثم يلتفت للمنتخب فيشركه في أناشيده في نشيد

«العبك طرب».

ثم يقترب من نهاية مجموعته فلا ينسى الوطن الغالي، وهو ختام مسك ثان.

هذه لمحة سريعة على هذه الأناشيد المدرسية الوطنية، مثَّلت فكر صاحبها، ونظرته إلى نواح منيرة من مجتمعه، أخذ على عاتقه فيها أن يشيد بالوطن، والأرض والعلم، وقبل ذلك دين الإسلام، مبرزاً الولاء لكل ذلك ولولي الأمر الذي لمس أفضاله.

قراءة الكتاب تعطي صورة أكثر تكاملاً من هذه العجالة الواصفة، وقد يصبح هذا بدءاً للشاعر يتلوه غيره، وفقه الله.

(١٧) مقدمة لكتاب
«معالم السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية»[١]

كـثـر الحـديث، في هـذه الأيام، عن المناهج فـي المملكة العـربيـة السعـودية وصلتـهـا بالإرهـاب، دون أن يكون لدى المتكلمين في هذا دليل مـقنع يقدمـونه بين يدي دعواهـم، وتبقى دعواهـم هذه دعوى غير موثقة، ومنطلقها لا يعدو أن يكون من منطلق جهل، لأن العـالم لا يقدم على مثل هذا، فاحترامـه لنفسه يجعله لا يضع رأيه،

(١) لكتـاب الأستـاذ الدكتـور سليمـان عـبدالرحـمن الحقـيل: «معـالم السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية، ودور مناهجها في إشاعة السلام والتسامح في نفوس الطلاب المنشورة في ١٤/ ١١/ ١٤٢٤هـ.

أو يتخذ قراراً إلا على أساس مبرر محكم، أو لا يعدو أن يكون صاحب الدعوى مغرض، وصاحب الهوى لا يحكمه حكم عقلي، ولا بد أن يرتطم رأيه برأي صائب يبعثر ما ظن أنه جمعه ليصل إلى غرضه.

والإرهاب ليس وليد اليوم، وهو قديم، وذو جذور عريقة، والعالم كله رآه يتنقل من زمن إلى زمن، ومن بيئة إلى أخرى، والمملكة العربية السعودية تنبهت لما هو في هذا الزمن، ونبّهت إليه، وحذرت منه، واتخذت الوسائل لمكافحته، قبل أن يبدأ العالم دعايته الأخيرة ضده ومحاربته.

ويبدو أن بعض الهجوم على المناهج هو

هدف مهاجمة أمور أخرى، واتخذ هذا الهجوم غطاءاً، والهجوم على مقومات الدول الصغيرة في تقدمها ليس جديداً، فقد مرّ بأطوار، وكل طور يأخذ منحى من المناحي، أحياناً يكون عسكرياً، وأحياناً اقتصادياً، وأحياناً اجتماعياً.

والرد العقلي على من يهاجم المناهج، والحجج الدامغة في تبرئتها من هذه التهم واضحة للعيان، ولمن ألقى السمع، وأراد الحق، واتصف بالعدل، وأحسن النية، وأنصف القضية، فمن الحجج أن الذين سلكوا طريق الإرهاب قلّة، إذا ما قورنوا بمن درسوا المناهج من أكثر من نصف قرن،

وهم ملايين، ومن خيرة الناس، ومن المواطنين الصالحين، ومن المسلمين الحقيقين، وقد كرّسوا حياتهم لرفعة دينهم، ووطنهم: بناءا وتطويراً، وسعياً في أخذ مكان بارح في المسيرة الدولية الخيّرة.

هذه حجة يصعب دحضها، ولا يتجاهلها أو يرفضها إلا مُتعام عن الصواب، لا يريد الحق، أو في قلبه مرض. والموصوفون بالإرهاب هم أقل الطلاب علوّاً في الدراسة، وأدناهم عمقاً في العلم، ومنهم من وقف دون تكملة دراسته، مما جعله يدخل في نطاق الأمية، ولهذا وقع بعضهم في شبه أدخلتهم في عمايات

الضلالة، وتاهوا في أعماقها، حتى أبعدوا عن تعاليم الدين النيرة، والتي عليها الأسوياء من الناس: ديناً وإنسانية، ونظرات أخوية، وأعمال مردودها الأجر والثواب.

والولايات المتحدة، منذ عدة سنوات تعرضت لإرهاب، متعدد الملامح، وكذلك أوروبا في بقع عديدة منها، واليابان صُدم بإرهاب مخيف، ولم يقل أحد إن هذا بسبب المناهج، وإنما راحوا يبحثون في زوايا في المجتمع تلمسوا فيها أسباب هذه الظواهر، وأرجعوا بعضها إلى تراكم اجتماعي، تبلور على عدة سنوات، بل

وقرون، إذ كان هناك ملامح وطنية إقليمية، تبين منها بعض التأثير.

ومن الذين لم يهضموا التهمة الموجهة للمناهج الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، وهو رجل التربية، وصاحب خبرة طويلة، وعميقة في التعليم، واطلاع واسع في المناهج ومحتواها، وخير من يستطيع أن يقوّم تحصيل الطلاب، واستيعابهم، ومدى تأثير هذه المناهج على عقول الطلاب، وتصرفاتهم، لهذا التفت لهذا الجانب، وعالجه معالجة «الأكاديمي» المتقن لما يقصد، واتبع في ذلك منهجاً واضحاً للسير في

بسط الأمـر، وتبيـان الحـقيـقـة بالأدلة والحـجـج، وقـد أثبت أن هذه المـناهج من منطلقها الإسلامي الصحيح المستنير، تشيع ثقافة السلام، وتنمية روح التسامح والمحبة والعـدل، ولم يـأت منهـا إلا البـناء، والمسـاهمـة النـاضـجـة في سـيـر الوطن، وتطوير مرافقه، ورفـعة شأنه، مما يجعل أي تهـمـة توجه، مـخـالفـة لذلك، باطلة، ولا تقوم في الحـقيـقة على أساس مـتين، يقف أمام الحجج المأخوذة من الواقع، وعلى هذا فهي فقاعـات أريد لها أن تبدو في ظاهرها ذات حـجم، ولـكن في داخلهـا، وعند فحصـها يتبين أنها جـوفاء، وعند العارفين

المنصفين المتجردين تصبح مجالاً للسخرية والاستهزاء، ولا تساوي قطميراً عند العلماء والباحثين.

ويعضد هذا أن التهم ذات مظهر عام، وليس من بينها ما يقدم الدليل القابل للتمحيص والحك والنقد، ويأتي التركيز على جوانب مظلمة غير محددة المعالم، ولم يهتم أولئك المتهمون بالنصوص الواضحة التي تدعو بصوت قوي وبين إلى التسامح والإخاء، والتقريب بين المتباعدين، والإصلاح بين المتنافرين. وتساوي الناس، وعند الاختلاف يعطف القوي على الضعيف، والصحيح على

المريض، والرجل على المرأة، والاثنان على الطفل، والحيوان، والحفاظ على الأمانة التي وضعها الله في أيديهم بالمحافظة على ما على الأرض من دابة وشجر، وما في البحر من حياة، وما في الجو من طير سابح، مساهمة في أن تكون هذه الأرض ومن عليها في تناغم تام، يبعد عن النصب والعناء، ويشيع الطمأنينة والأمن والسلام.

وقد احتوى كتاب الأستاذ الدكتور سليمان: «معالم السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية، ودور مناهجها في إشاعة ثقافة السلامة والتسامح في نفوس الطلاب» على أربعة فصول:

الفصل الأول: حوى المقدمة، وتعريفا عاما بالدين الإسلامي، وتطبيق الشرع الحنيف، وقيام المناهج عليه. وقد عرف الإسلام في هذا الفصل وأهدافه، وبين كمال الشريعة الإسلامية ووفاءها لحاجات البشر زمناً ومكاناً. وأبرز محاسن الإسلام، وخصائص الشريعة، ومزاياها. وبعض المقاصد الكريمة التي جاء بها القرآن الكريم، وشرح أسباب اختيار المملكة العربية السعودية هذا المنهج من الخضوع لأوامر الشرع، والسير في ظلها.

والفصل الثاني: ناقش فيه المبادئ التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية

السعودية، وغاياته وأهدافه العامة، وأهداف مراحله، ومصادرها.

والفصل الثالث: لمس اتجاهات التعليم في سياسته، وبناء المناهج، وفصل في هذا لأهميته.

أما الفصل الرابع فأوضح فيه دور المناهج في المحافظة على الثوابت الشرعية، وبث ثقافة السلام، والتسامح والاعتدال في نفوس الطلاب، وقد فصل هذا في إحدى عشرة مادة.

سوف يكون هذا الكتاب من بين الكتب التي يرجع إليها في هذا المجال، لما أحاط به من مواضيع، وما وضع فيه من معلومات،

وما بذل من جهد، لتبيان حقيقة للناس في خضم المعلومات المتناقضة التي لا تستند على دراسات علمية عميقة، وإنما جاءت ضحلة لأهداف معينة، وتكرار مثل هذه المغالطات التي تهاجم المناهج، يفسح لها مجالاً في أذهان من ليس عندهم وقت للتحقق، أو لا يستطيعونه.

ونرجو أن يكون فيه النفع، وأن يثيب كاتبه والحمد لله رب العالمين.

(١٨) مقدمة لكتاب
«التعليم الابتدائي في المملكة العربية السعودية»[١]

العلم من مظاهر الأمم المتقدمة، تحرص على أن تعب من معينه حتى تروى، تهيء لأجيالها اسبابه، وتسهل سبله، وتوفر معداته ووسائله، لا تترك في طريقه عقبات، ولا تتراخى في دفعه إلى الأمام، مستخدمة كل إمكاناتها، ووسائلها، كل هذا للإيمان بفائدته، وتقديرها لمردوده، وإدراكا منها لدوره في سعادتها وفي

(١) مقدمة كتاب «التعليم الابتدائي في المملكة العربية السعودية» للأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالرحمن الحقيل. كتبت في ٢٥/ ٧/ ١٤١٠هـ.

اندفاعها إلى الأمام، فـهو لها نور تعرف به دينها وما تجنيه منه من سعادة دنيا وآخرة.

و المملكة العربـية السعـودية التي تعيش في ظل الإسلام الوارف، وتسـير في طريقه المنير، وتحكِّمُه في جميع أمورها ولا تخرج قيد أنملة عن تعـاليمه، ولا تحيـد شعرة عن جادتة المستقيـمة الصائبة، لا غرو أن أولت التعليم مـا يستحـقه من عناية منذ أن وضع الملك عـبد العـزيز -رحمـه الله- أول لبنة في صرحه العالي. وكانت خطوته -رحمه الله- الموفقة أن طوَّر إدارته إلى وزارة وكل أمر قـيادتها إلى ابنه فـهد بن عـبدالعـزيـز، وكـان الاخـتيـار في مـحلـه إذ التـفـت -

حفظه الله- منذ ذلك الوقت التفاتة عطف وحنان ودفع وتطور إلى التعليم عندما كان وزيراً للمعارف وعندما أصبح ملكاً.

والمملكة العربية السعودية الواسعة الأرجاء، المتباعدة الأطراف جغرافياً، بما لها من حضارة إسلامية، وبما مر عليها من تاريخ يتطلع أن يكون خطوها في التعليم مختلفاً عن غيرها لا من ناحية الطموح في نشر التعليم، ولا من ناحية اختيار الخطط والمناهج له، ولا من ناحية التغلب على الصعوبات التي كانت تقابل المسؤولين.

أخذ التعليم ينمو تدريجاً بتؤدة وروية، أولاً بفتح المدارس، والاستعانة بالمدرسين

الوطنيين المتوفرين من خريجي المساجد والجوامع، فكان لهم دور ملاحظ، وعمل مقدر، وأَدَّوا واجبهم، وقاموا بما عليهم بكفاءة واقتدار في حدود ما علموه، وما هيئ لهم من وسائل، فكانوا الشمعات الأولى التي استفاد منها مسؤولو التعليم في تبديد دياجير الظلمة التي كانت تخيم على المجتمع، والأميَّة التي كانت ضاربة أطنابها، حتى لا تكاد تجد في القرية من «يفكّ الحرف» أو يقرأ كلمة أو يخط حرفاً، ومن استطاع ذلك اعتبر عجباً في محيطه، ولم يكن كثيرون يطمحون بأكثر من هذا، أو يتطلعون إلى ما يزيد عن

معرفة القراءة والكتابة.

وما كادت الدولة تلتفت إلى التعليم، وتوصله إلى المناطق المختلفة تدريجاً حتى سرى فيها سريان الضوء في الظلمة. وكان الملفت للنظر الإقبال على التعليم دون حاجة إلى الإغراء، أو اتخاذ إجراءات مجهدة، وهذا يدل على أصالة مواطني هذه البلاد، وتقديرهم لما فيه مصلحتهم، حتى إن المسؤولين ضاعفوا جهودهم لتتكافأ مع هذا الإقبال المنقطع النظير.

أخذت المدارس الابتدائية تنتشر رويداً رويداً وأخذت أعداد الطلاب تزيد، وبدأت الدراسات للمناهج والخطط

تتعمق، وسرعان ما جاءت الخطوة المتوقعة، وهي تهيئة المدرِّس الوطني، فأنشئت المعاهد ليخدم خريجوها هذه المرحلة المهمة، وعضد هؤلاء المدرسين إخوان لهم أُستقدموا من بعض البلدان العربية المجاورة، ساهموا في حمل الأمانة والمشاركة في العبء.

ولن أدلف في حديثي إلى ما بعد هذه المرحلة، لأن مؤلف الكتاب وقف عندها، وصواباً ما فعل، فهي مرحلة من الأهمية بحيث تحتاج إلى وقفة متأنية، يلقى فيها الضوء على جوانب التعليم الابتدائي، وهو الركيزة الأولى للتعليم، وهو الأساس

الذي يقوم عليه بناء التعليم اللاحق. ولا عجب أن يفرد له المؤلف كتابه الأول في التعليم، فالدولة مثله أفردت له من العناية والرعاية ما يتناسب مع أهميته في نظرها، ولا تزال تفعل ذلك، وسوف لا تفتأ تفعل ذلك، وسوف يبقى منطلقها لتطوير المراحل الأخرى.

والمتابع لهذا الحقل يدهش لما قطعه التعليم الابتدائي منذ أن أنشئ إلى اليوم كمّاً وكيفاً، والمتبصر سوف يجد أنه يشعر بشعور من سار في طريق طويل شغله النظر إلى ما على جوانبه حتى قطع مسافة بعيدة عندما التفت إلى الخلف أصبح لا

يرى المبتدأ، والدهشة ليست في طول المسافة فقط ولكن في المدة التي قطعها السائر.

وإلقاء نظرة إلى الأعداد التي كان عليها التعليم الابتدائي عندما طُوِّرت إدارة المعارف إلى وزارة لا يكاد يصدقه ابن ذلك الزمان، فقد وصلت أعداد الطلبة في المرحلة الابتدائية إلى ثلاثة وأربعين ألف وسبع مئة وأربعة وثلاثين طالباً.

أما اليوم فقد بلغ عدد من يدخل المرحلة الابتدائية، أي في السنة الأولى الابتدائية وحدها، ما يقرب من مئتي ألف طالب، ومجموع ما في هذه المرحلة هذا العام

(١٤١٠هـ) بلغ تسع مئة وخمسين ألف تقريباً.

تكفي هذه الأرقام للتدبر والتبصر، ومعرفة اهتمام الدولة بمرفق التعليم، والعبء الذي عليها أن تحمله بكفاءة ومقدرة، وقد حملته والحمد لله.

إن الاهتمام بالفرد في المملكة العربية السعودية تعليميا وصحيا واجتماعيا جاء من منطلق إسلامي، يخدم أغراض التقدم التي توجب الاهتمام بالقوى العاملة التي على أكتافها يستطيع المجتمع المتكاتف أن يصل إلى طموحه في أن يعيش في مجتمع سعيد يساير التقدم الحضاري الذي تتسابق

الدول اليوم في مضماره. والتعليم هو الركيزة الأولى التي عن طريق نتائجها يمكن للخطط التنموية أن توفى حقها وأن تأتي بالتنمية المطلوبة منها.

والمؤلف في كتابه هذا -كما قلت- ركز -مصيباً- على المرحلة الابتدائية، وأرَّخ بالتفصيل لسيرها، وجاء بمعلومات وفَّرها في كتاب واحد من كتب متعددة، وتقارير متباينة، فهو مثل الطباخ الماهر جمع عناصر الطعام من مواد مختلفة ثم أدخل عليها من براعته وتجربته وعنايته ما جعلها ناضجة ولذيذة التناول.

ولم يترك الأمر دون أن يضفي على

الكتاب من شخصيتـه ما جعله قيِّماً، إذ بيَّن رأيه في بعض الجوانب التربوية التي تتلاطم فيها أمواج أفكار الموجهين شدّاً وجذباً، كل يجتهد فيما يبديه ويبرهن على نفعه، وعلى مـدى فـائدته، وقـد أدلى بدلـوه في أمـور عـديدة تلمس جوانب الـعمل التـربوي في هذه المرحلة. وجـاءت آراؤه مـبـثـوثة، هنا وهناك، قائمة على مقدمات ونتائج، جاءت عرضاً أو قصد إليها قصداً.

ومجـهوده مشكور ومقـدر، ليس فقط لأنه التـفت واعـتـنى، ولكن لأنـه تعب واستـقـصى، وتخـصص في هذا الحـقل، وتجربته الطويلة فيه، وانقطاعـه لخدمته تقيم

له أعمدة النجاح.

وأرجو أن يكون ما سيراه من فائدة جاء بها كتابه لقارئه دافعاً له لمواصلة البحث والإنتاج، فهذا الحقل في بلادنا مازال ينتظر الحارث ونحن في حاجة إلى إنتاج ما سوف يأتي من الجهود.

وأسال الله التوفيق للجميع،،

(١٩) مقدمة كتاب
معرض الإبريز من الكلام الوجيز
عن القرآن العزيز[١]

القـرآن مـصـدر فـخر المسـلمين، ومنبع عــزهم، ومـوئـل مـجــدهم، به يبــاهون ويطـاولون، وإلـيـــه فـي أحكـام دينـهم يعودون، ومنه يسـتقون قوانين عيـشهم في حـياتهم الدنيـا، ويعـرفون مـا ينتظرهم في الآخرة، له الحـرمة التامة في نفـوسهم، وبه القوة لأرواحـهم وعزائمـهم، فلقـد حوى

(١) مقدمة كتاب «معـرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز» للأستاذ الدكـتور عبدالكريم محـمد عبدالكريم الأسعـد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ومبادئ أخلاقهم وأساليب تعاملهم وتواصلهم.

لقد تضمن القرآن الكريم علوماً شتى، فيها مجال واسع للتبصر والتدبر، وميدان فسيح للدراسة المستفيضة لمعرفة ما يأتي المسلم وما يدع، وما يقبل وما يحذر، والقرآن واضح المعاني، مكتمل الأدلة، قطعي الثبوت، رائع الأسلوب، بليغ الأداء، مستوف لكل عناصر الإعجاز الذي لا نظير له.

لقد أقدم دارسو القرآن الكريم على التمعن فيه برغبة وتعبد، والتزم كل فريق

منهم بجانب من الجوانب المتصلة بتخصصه، وجال في النواحي التي تدخل في حدود مقدرته، ودرس المباحث التي يستطيع الإمعان فيها حسب استعداده، ووجد كل فريق بغيته، فالواعظ وجد فيه ما يحتاجه لترقيق القلوب لقبول الخير والتنفير من الشر، والأديب وجد بغيته لوضع الأسس الأدبية وتحديد معايير الذوق الرفيع، والباحث في اللغة وجد طلبته لإرساء قوانين اللغة لتفيده في تعلمه وتعليمه، والفقيه وجد فيه ضالته لاستقاء الأحكام في عباداته ومعاملاته، والنحوي وجد فيه بغيته لاكتناه قواعد النحو

واستنباطها ولاكتشاف الفروع التطبيقية الدقيقة، وبهذين وبغيرهما يستطيع الدارس أن يحمي لسانه من الزلل، وأن يحفظ المعاني من الضياع، وأن يصون الأسلوب القرآني في مكانه الرفيع المرموق، وأن يكسب في الوقت نفسه معرفة الأدلة والأحكام والمرامي الدقيقة والمقاصد المحكمة. ولا يقع اللحن في آيات القرآن إلا نتيجة الجهل بقواعد اللغة وقوانين النحو، وهو -لو ترك- لأدى إلى الإثم الكبير، لأن الخلط في حركات الإعراب والخطأ فيها في كلام الله لابد أن يغيّر المعنى إلى ما قد يُبعد المرء عن المدلول

الصحيح، فتأتي الأحكام حينئذ مخالفة لما أراده الله سبحانه وتعالى، وفي هذا ما فيه من السقوط المريع.

والعلوم التي تضمنها القرآن أوسع وأكثر من أن يقدر على معرفتها عالم واحد مهما كان تخصصه شاملاً، ومداركه واسعة، وذكاؤه عظيماً، وأعمق من أن يجلو كنهها باحث فرد ولو كان على دراية تامة في فنون اللغة، وضروب العلم، ولهذا اقتصر كل واحد ممن تصدوا لدرس القرآن الكريم على جانب من الجوانب التي هي أقرب لمعرفته، والصق بتخصصه، وأدنى لإدراكه، وأشبه باتجاه

فكره، وحاول أن يبذل أقصى الجهد في ميدانه ليأتي بجديد أو يجلو قديماً يفيد بهما الباحثين والدارسين ويعود عليه أيضاً بالأجر العميم والثواب الجزيل.

وعالم النحو واحد من أولئك الذين طلبوا الإفادة والإثابة معاً بتصديه لإعراب القرآن المجيد. إن الدرس النحوي للنص القرآني، ومحاولة استكناه أصول النحو منه باستقراء الآيات، والمقارنة بين الحالات المتماثلة، والموازنة بين القوالب المتباعدة، يمكن المعرب من وضع القاعدة الصحيحة الهادية أو اكتشافها، وهي التي تصبح ميزاناً يوزن به كذلك ما جاء من النظائر

في الأدب والشعر والخطب والأمثال والحكم، فتقبل من هذه النظائر الصيغ الموافقة للقرآن وتعد قياسية، ويعد غيرها شاذاً قليلاً أو نادراً. إن القرآن هو الأساس، وهو المنطلق، وبه الكلمة الفاصلة، وعليه يقوم القرار الأمثل.

ولأهمية النحو في تحديد معاني الآيات أقبل العلماء في الأزمنة المتعاقبة على إعراب القرآن بحماس شديد، تعبداً من جهة، وتزوداً بعلومه من جهة أخرى، وكثر عدد من أعربوه، وأبانوا وجه النحو والتصريف فيه، وأسهموا في كشف وجوه البلاغة في عباراته، فعلوا كل ذلك بطرائق

متنوعة منها ما هو وجيز وما هو وسيط وما هو بسيط، ومنها ما يصلح للشداة وما يصلح للأواسط وما يصلح للمتقدمين، ولقد صبغ كل واحد من هؤلاء عمله بصبغة تختلف عن صبغة غيره، فمنهم من بحث في الإعجاز عبر النحو بخاصة، والبلاغة وسائر علوم الآلة بعامة، ومنهم من أعرب جمهرة آيات القرآن، ومنهم من اقتصر على الإعراب في آيات بعينها رآها صعبة تحتاج إليه دون غيرها، وبهذا اختلفت مناهجهم وتنوعت طرائقهم وتفاوتت آثارهم في المنزلة والأثر وغيرهما من الشؤون.

وآخر محاولة لخدمة القرآن في هذا المجال -فيما أعلم- ما أقدم عليه هنا أخونا وزميلنا الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن محمد الأسعد الذي عايش النحو عمراً مديداً دارساً ومُدرِّساً في جامعة الملك سعود بالرياض، وهو خير من يقوم بخدمة القرآن الكريم في مجال الإعراب والتصريف بتوفيق الله. لقد وضع جهده وخبرته وخلاصة تجربته العلمية في هذا الكتاب، في سبيل أن يقدم ما يمهد للقارئ الطريق إلى فهم معاني القرآن بيسر عبر تفهم قوانين النحو بمعناه العام، ومعرفة قواعده، ووجوه التوجيه في آيات الكتاب

في جميع سوره. ولا شك أن عملاً كهذا جسيم، ويحتاج إلى روية وتؤدة، ومقارنة ووزن، ويحتاج إلى جهد في التحري والتنقيب، مع الحذر والتنبُّه التام،واستشارة المصادرالسابقة، وأخذ رأي المعاصرين من أهل التخصص عند اللزوم، وأحسب أن مصنفنا قد فعل ذلك، فجعل به سِفْره من أفضل ما نشر في بابه في هذا الزمان إن شاء الله. إن هذا الكتاب جيد -فيما أرى- في محتواه وفي منهجه، وللمؤلف فضل العود على بدء، فقد طال الأمد دون أن نرى لأحد كتاباً في هذا الموضوع له مثل ما لهذا المصنَّف من سمات، إن في «معرض

الإبريز» إعراب القرآن، ونحو الإعراب من شؤون البيان، إن فيه النحو المصفّى، والتصريف الدقيق، والقراءات المتواترة وغير المتواترة، والتوجيهات الإعرابية المتعددة تعدد هذه القراءات أو تزيد، ووجود البلاغة وأفانين القول بالقدر الكافي الذي يمتع العقل ولا يتعبه، ويريح النفس ولا يكدّها، وينشط الذهن ولا يصيبه بالملل والإرهاق، وفيه كذلك شرح وجيز للمفردات، وتفسير جلي لا طول فيه للآيات، بالإضافة إلى المحاورات والمقارنات والترجيحات، وكذا الإضافات الاجتهادية، وهي كافة تنم عن فهم عميق،

واستنتاج سديد، وجهد جهيد، وهضم كامل لكل جوانب البحث، واستكمال عميق لكل أدواته، والتزام قوي بلوازمه، وهذا الذي عددناه كله مما لا غنى لكل معرب ومصرف وبليغ عنه، وجميعه كان بأسلوب يفصح بنفسه عن جماله وكماله، ولا ينأى عن مدارك أي باحث، خالٍ من الحشود والتزيد، بعيد عن التعقيد والترديد، فيه عمق المعنى ويسر العبارة وسهولة التناول ولطف المأخذ، وخلاصة القول إن «معرض الإبريز» قد اشتمل على الكلام المطلوب والحديث المرغوب عن آيات القرآن، في حين رأينا بعض المعربين

القدامى يقتصرون في كتبهم على آي دون آي كما ذكرنا من قبل، ويقصر نَفَس الواحد منهم في أجزاء كتابه المتأخرة كلما امتد به الكلام في الإعراب، ويتراوحون في كتبهم بين صعود وهبوط، وقد لا يسلمون أحياناً من الشطط والغلط والخلط ونحوها، ورأينا بعض هؤلاء يلتزم بإعراب المشكل أو الغريب وحده لا يتطرق البتة إلى سواه، وقد يتخيرون أشياء ويتركون أخرى ما كان ينبغي لهم أن يتركوها لأنها مما تستحق الوقوف عندها، بله إعرابها وتعريف الباحثين على وجه مفصّل مقنع مفيد، هذا بالإضافة إلى ما في بعض كتب

المعاصرين من حشو مُمِل، وفي بعضها الآخر من اختصار مُخِل.

نفع الله بهذا الكتاب، وكتب له حسن التلقّي، وأجزل الأجر لمن كتبه وقرأه ودلَّ عليه، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٢٠) مقدمة لكتاب «مكارم الأخلاق»[١]

أفـرح عنـدمـا أرى قـصـة مـن التـراث الشعـبي مدونة، وأبـتهج عندمـا أعرف أن شخـصاً تصـدى لجمع بعض مـا يدور في مـجـتمـعـه الحـاضر عـن مجـتـمع الآباء، والأجداد في الماضي، وأقدر لهذا الشخص جهـده والتفـاتته ولا أفـرق في القيـمة بين قصـة مهمة، وأخـرى تافهة، ولا بين قـصة طويلة، موسعاً في وصف مـراحلها، وقصة قصيرة اختصر فيـها سرد مجراها، ولا أميِّز في التقدير والابتهـاج بين خبر حدث يأخذ

(١) مقدمة لـكتاب: «من مكارم الأخلاق» لمؤلفه الأخ دغيـثر بن عبدالله الدغيثر، والمقدمة كتبت في ١/ ١٢/ ١٤١٧هـ.

صفـــحـات، وآخـر لا يأخــذ إلا سطراً، فالقصد وراء كل من تلك واحد، والهدف واحـد، والغاية واحـدة، وهو رسم صـورة من صور المجتمع الماضي، تبين سيـره، وما كان عليه أهله، وهذا ما كان يفعله الكتّاب والأدباء في العـصر العبـاسي مثـلاً، فقـد تجمـعت الجهـود حينئذ، قليلهـا وكثـيرها، فكوَّنت أدبـاً أعطى صـــورة مـتكـاملة عن ذلك العصـر وأهله، وسيرهم في حـياتهم، ومــا كــان يدور فـي أذهانهم، ورســمت العمل والفكر رسماً مـتكاملاً، حتى أصبح عملهم قدوة، ومثالاً يحتذى.

ومَن لا يفرح أن يرى مجهـوداً متواضعاً

في زمننا يساهم في جـهد يؤمل أن يوصلنا إلى ما وصل إليه مؤرخو الـعصر العباسي، وما قـبله وما بعـده، وما حقـقه كُتَّـابه، وما أنتـجـه أدباؤه، ومـا ابـتـدعـه قُـصَّـاصـه، ومتخيلوه، وسـواء ما كان منه يصف حادثاً وقع، أو يرسم أمراً متخـيلاً، فهذا كله جزء من الصورة الذهنيـة الحقيقة لهـذا المجتمع، سواء ما كان منه محـسوساً أو ملموساً، أو ما كان من نتاج الذهن والفكر.

وهذا الكتـاب الذي بين يديَّ مـسـودته أقـدمـه لما فيـه من صـور اجـتـماعـيـة عن مجـتمـع كـان قائمـاً بعـاداته وتقاليـده مر عليه طامس هذا الزمن، فـغيَّر من ملامـحه

أو محاها جملة، فدخلت في التراث الشعبي الثمين.

وقد ترتفع أهمية ما جاء في هذا الكتاب إلى القمة عند أهل عنيزة لاتصال كثير من مادته بهم، إلا أنه عموماً مكمل لصورة البيئة في المنطقة الوسطى، فما ذكر فيه من حوادث، وما وُصف فيه من مواقف، ما هو إلا صورة صادقة لما يحدث في هذه المجتمعات، المترابطة في عاداتها وتقاليدها، وما مرَّ بها من شظف العيش ورحابته، وما عانته من جدب الحياة ورخائها، وما يحدث بين الكبير والكبير، والكبير والصغير والمرأة والرجل.

وأنت في هذا الكتاب تنتقل من علم إلى علم، ومن حقل إلى حقل، ومن موعظة إلى موعظة، ومن قصة فضيلة إلى قصة فضيلة، وأنت في الحقيقة تنتقل من زهرة إلى زهرة، ومن وردة إلى وردة، نجد ذلك في قصص قصيرة طريفة، تمثل واقعاً كان قائماً في تلك الأيام، وتضيف معلومات قيمة إلى سير بعض الأشخاص المرموقين المحبوبين لسبب أو آخر، مثل الشيخ المرموق المنزلة، المحمود الخلق، الغزير العلم، عبد الرحمن الناصر السعدي -رحمه الله- وأقل خبر عن الشيخ عبد الرحمن يتلقى بالابتهاج والرضى

والقبول، أياً كانت طبيعة هذا الخبر.

ويحرص المؤلف في كتابه هذا على أن تكون مواعظه في صورة قصة جذابة، قد يذكر اسم صاحبها بعينه، وقد لا يذكره، فمثلاً محمد العبد الله الفريح قصته تمثل الصبر، وما يأتي من فرج في نهايته.

والمؤلف عندما يضع في ذهنه نصيحة أو موعظة لا يكتفي بما يعرفه عن أهل بلده عنيزة، فقد يتلمس ذلك في بلد آخر، كما فعل في قصة «صحبة الأخيار»، وما صوَّره فيها من مظهر الخير، ومظهر الجشع، وما أبانه من ذلِّ الدَّين وقهر الرجال.

وهذه القصص فيها صور صادقة عن

حياة كانت تتكرر في نجد: فلاح يستدين، ولا يستطيع السداد، فتضيق عليه الحياة، ويزيد فقره فقراً، فيعاني، أو يهيئ الله له من يعينه على مصيبته، ويخرجه من غلوائها.

وإذا كان صاحب حائل في قصة «صحبة الأخيار» تمثل مظهراً متكرراً، يمرّ به الفلاحون الفقراء، فهناك غير الفلاحين ممن يمثلون جانباً آخر من جوانب المجتمع، وهم التجّار، وقصة عبد الله العمري في الزبير، وما كان عليه أمره من الرخاء، وما آل إليه أمره من الإفلاس، ومطاردة الدائنين له، والحكمة التي أهداها الشمري له،

واستفادته منها، وعـودة حاله إلى ما كانت عليه من رخاء وازدهار.

وقصـة عايد الـتميـمي تستـحق الوقـفة عندهـا لأنهـا تمـثل مظهـــراً من المظـاهر المتكررة، وعـــايد رجل فـاضـل، وله أبناء أفاضل، يعـدون من أزاهر عنيزة، فـلا غرو أن يحرص المؤلف على إبراز قصتـه، وفيها ما فيها من مكارم الأخلاق.

هذه أمثـلة مختـصرة لما في الكـتاب من قـصص طريفـة، تمثل واقـعـاً كان قـائمـاً، وصــورة صـادقـة لذلك المجـتـمع، سـاهم المؤلف في تدوينهـا وحـفظهـا، وهـذا خط طويل، نرجـو أن يستمـر المؤلف في السـير

فيـه إلى ما هو أبعد من جـزء، مع الحرص على اللغـة العـربيـة ونـحـوها حـتى يخلو الكتاب من الشوائب، ويـكون لكتابه موقع في المكتبة العربية.

وكتابة أمثال هذه القـصص مساهمة في تدوين تاريخ هـذه المنطقـة، يعـضـد ذلك الشعـر الذي يستـشهـد به المؤلف، مما يزيد في قيـمة كتابه، ويـعدد جوانب الاستـفادة منه.

وبعد:

فجـهد المؤلف في هذا المجـال مشكور، وهو جـهد يدخله حيِّـز الانفراد، ويعطيـه فرصة للمتابعة والزيادة.

(٢١) مقدمة لكتاب
«المناهج الدراسية والتغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع السعودي»[١]

التعليم حقل واسع، وليس هناك متعلم إلا يمرّ بعدد من مراحله مروراً عابراً، أو مروراً متأنياً، وقليل من هؤلاء العابرين لم يكوّن رأياً في التعليم خططه ومناهجه، وما تحتوي عليه هذه المناهج، وما ترمي إليه الخطط، وما يودّ أن تكون عليه، والتعديل الذي يؤمّل أن يدخل في ثناياه. وكلما

(١) مقدمة لكتاب: «المناهج الدراسية والتغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع السعودي» للدكتور عبدالمحسن عبدالعزيز أبانمي، كتبت في ٢٦/ ١٢/ ١٤١٤هـ.

طالت مدة التعلّم في التعليم ومراحله زادت الرغبة في التغيير والتبديل، والتطوير، وإذا قدِّر لهذا المتعلم أن يصبح من رجال التعليم يصبح هذا الأمر شاغلاً ذهنه، ومستولياً على لُبِّه، يقوم معه ويقعد، ويحضر ولا يغيب.

والطموح إلى المساهمة في النهضة بالتعليم طموح مرحب به، ومطلوب، لأن الأيدي إذا اجتمعت على حمل العبء، بارك الله جهودها، إذا كانت النية طيبة، والجهد مخلص، وتزيد بركة الجهد إذا عالج المرء أمر التعليم من الزاوية التي يتقنها، ويتخصص فيها، وقاوم التوسع،

والدخول إلى المجالات التي قد يكون غيره أولى بمعالجتها، وهي إحدى الآفات التي أحياناً يقع فيها الدارس، أو يتوه في شعابها الباحث، فقد يبدأ بحثاً في جانب هو فيه متخصص، ثم يدلف، إلى حقل لا يعرفه جيداً، ولكن فيه من الجدة والطرافة والإغراء ما فيه، فيدخل في غياهب طرقه، فإن توغل وأعطى البحث حقه أبعد عما هو عمله، وإن لمسه لمساً سريعاً خفيفاً، فقد لا يأتي بالنفع المطلوب، بل قد يأتي بالضرر، لأنه صرفه عما يتقن إلى ما لم يعطه حقه من الدرس والتنقيب والبحث، الموصل إلى الإتقان.

وإذا كانت هذه هي إحدى الآفات، فهناك آفة أشد وأضرى، وهي آفة الانسياق إلى النظريات التي يصعب تطبيقها، أو قد يستحيل تحقيقها على الواقع، إما لخلل فيها، أو لعدم استطاعة تطويع الظروف لها، إما لمانع ديني، أو اجتماعي، أو سياسي، أو غير ذلك.

وجموح الفكر، والطموح المبعد، قد يفيد في بعض الحقول إلا في حقل التعليم، فإن المجازفة فيه لها آثار معيقة، ولا يجوز الإقدام على أمر ما لم يضمن نجاحه، ولهذا يلجأ المربون إلى تجربة النظرية جزئياً، وفي نطاق ضيق، لعدد من

السنوات، وعلى فئة محدودة، أو فئات معينة.

وتثبت التجربة في أثناء القيام بها ما هو صالح، وتعدل ما يحتاج إلى تعديل، وتدخل وتخرج، وتضيف وتسقط، وقد ينتهي الأمر إلى نتيجة محمودة، ولكنها نتيجة ابتعدت عن النظرية الأصل، ولكن الهدف ليس النظرية في حد ذاتها، وإنما إلى ما تنتهي إليه عملياً، لأن الهدف الغاية لا الوسيلة.

وبعض النظريات يأتي عاما، وفيه من الإغراء في ضوء النتيجة التي ترسم ما يدعو إلى الحماس، ولكنه عند التطبيق

يحتاج إلى نظريات أخرى تضع الأوتاد حتى يستقر في الأذهان مهيأ للتجربة، وغالباً في مثل هذه الحالة، يتغير الإطار العام للنظرية، حتى لا تكاد تعرف النظرية المحيطة، بعد أن رسم ما بداخلها.

ورسم خطط التعليم ومناهجه من أصعب الأمور، لأن فيها من المرامي والتداخل ما يجعل أحياناً من الصعب التفكير في إدخال أمر جذري جزافاً، نتيجة الطموح وضغطه، أو نتيجة إغراء التقليد، وما جاء به من لمعة وبريق.

والتعليم بمناهجه وخططه ينمو مثل الإنسان من جنين إلى وليد فرضيع حتى

يصل إلى مرحلة النضج، وكما أن الإنسان لا يعاد خلقه حسب الرغبة فكذلك التعليم لا نستطيع إلغاءه في يوم ووضع بديل، ولكنه مثل الإنسان نستطيع أن نشذبه ونهذبه، ونعدل ما يميل منه إذا مال، ونقوي منه ما قد يضعف، وتدفع ما قد يتأخر.

والتعليم كائن حي يأسن ويموت إذا غفلت عنه، يجب أن تكون العين إليه دائماً ناظرة، والأذن سامعة، والحواس متيقظة، لأن التأخر في معالجة ما يحتاج منه إلى معالجة لا يأتي بالضرر فقط، ولكنه يجعل الإصلاح فيه صعباً، أو قد يصبح

مستحيلاً، وهذه أجيال تخرج، وأفواج تدفع ، ومن خرج من التعليم، ودخل الحياة، إن كان صالحاً وقوياً نفع، وإن كان دون ذلك أخر وعوق.

ومن توفيق الله -سبحانه وتعالى- ومن حسن حظ بلادنا أن التعليم قام على أساس متين، لا يُشك في قوته، لأنه قام على الدين الإسلامي، الذي يحكم سيرنا في كل صغيرة وكبيرة، وقد اعتنى الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بهذا الأمر، فأرساه على هذه القاعدة المتينة، ثم تلاه وزير المعارف بعد ذلك خادم الحرمين الشريفين، الذي استمرت عنايته بالتعليم

منذ عام ١٣٧٣هـ إلى اليوم، ومن حسن حظ التعليم مرة أخرى أن يكون هو أول وزير للمعارف، فانطلق بالتعليم انطلاقته المشهودة، فأشرف على وضع الخطط والمناهج، التي تتناسب مع المملكة ومجتمعها، وعلى النهوض بجوانب التعليم من تهيئة المدرسين، ونشر المدارس، وبنائها، وجعلها وافية بنهوض أجزاء المملكة المترامية الأطراف، وكان دائماً حاضراً بتوجيهه، للتغلب على الصعوبة، وفتح المسالك، وتمهيد الدروب والطرق، حتى وصل التعليم إلى كل بقعة، ودخل كل قرية وهجرة نامية.

والمتتبع لنهضة البلاد في جميع المجالات، يجد أبناء البلاد الذين درسوا في هذه المدارس هم الذين قامت على أكتافهم هذه النهضة الشاملة، ودليل نجاح الخطط والمناهج، ووفائها بمتطلبات التنمية ما نراه اليوم من إنجازات في المجالات المختلفة. ومن الأدلة أيضا أن أبناءنا الذين ينجحون من المدارس ويُبتعثون إلى جامعات خارج المملكة، سواء في بلاد عربية، أو غير عربية، لا يجدون صعوبة في متابعة دراستهم في الخارج، بل إن بعضهم أدهش زملاءه وأساتذته هناك، بما أظهره من مواهب بزَّت أقرانه.

والمتتبع للمناهج والخطط يجدها في تغير مستمر حتى لا يكاد يستجد شيء مهم في النطاق المحلي أو العالمي إلا وجد طريقه إلى التعليم في مناهجه أو وسائله، وليس هذا قاصراً على مرحلة دون مرحلة بل يبدأ مما قبل الروضة، إلى أعلى شهادة في الجامعة.

وبالمقارنة بين مناهجنا وأمثالنا من الأمم الناهضة نجد تميز المنهج السعودي، رغم ما يوجه إليه من غير المتخصصين، من نقد لا يقوم على أسس قوية، أو على تجارب عميقة.

والكتاب الذي بين أيدينا «المناهج

الدراسية والتغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع السعودي» للدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز أبانمي، محاولة من أحد أبناء التعليم للمشاركة في دراسة تختص بالمناهج الدراسية، وقد عالجها من زاوية تخصص معينة، وبذل جهداً محموداً في إبراز رأيه، وقدم اقتراحات يعتقد بأهمية الالتفات إليها.

وقد جاءت نظريات عامة عن المناهج الدراسية والتغيرات الاجتماعية والثقافية لا تختص بالمملكة العربية السعودية، ثم انطلق منها إلى المناهج الدراسية في المملكة، وما يراه حيالها، إلا أن هذا في

بعض جوانبه جاء عاماً لا يعرف منه ما هو قد تحقق، وما يحتاج إلى تحقيق، وأرجو ألا يظن القارئ أن كل ما هو مقترح غير قائم، بل إن القائم في البحث يفرز عمّا دعا الدكتور عبد المحسن إلى إيجاده، فالدكتور عبد المحسن وضع رأيه متكاملاً، شاملاً ما هو متوافر، وما يحتاج إلى إضافة، ولعل من أهم الأمور التي أشار إليها، هي إدخال العمل اليدوي والمهني، ورأيه يمثل إحدى المدارس التربوية المعتبرة.

ومن الأمور التي تواجه التعليم في مراحله الأولى الطموح إلى إعطاء الطالب في المراحل الأولى فيضاً من المعلومات،

التي تعجز المناهج أحياناً عن تحملها، والطرق التربوية الحديثة ترى أن في هذا إرهاقاً للطالب لا تجعله يستوعب العلم استيعاباً كاملاً، لتشعبه، وكثرة ما يحمله العلم الحديث من معلومات لازمة في الحياة، ولهذا فهي ترى التركيز على الوسائل التي تربي عند الطالب الملكة التي بها يستطيع أن يتابع بها ما يميل إليه خارج المدرسة، لأن التركيز على المعلومات وحدها يفضي إلى التلقين والحفظ، وهو ما يقضي على المقدرة على الإبداع والاختراع.

والطموح وحده إذا أخذ حيزاً أكثر مما

يستحق في ذهن المخطط يدخله في تناقض قد لا يصل معه إلى نتيجة محمودة، فلا هو أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى. وهذا يؤكد عدم المجازفة في التغيير الجذري دفعة واحدة.

والحديث في هذه المجالات يطول، ويتشعب ويكاد لا يكون له نهاية، لأن كل أمر فيه يجر إلى أمر آخر، ولهذا يحمد التخصص في الدراسات، ودراسة الدكتور عبد المحسن اقتصرت على الفكرة الرئيسة، وسوف يكون لها الفائدة المرجوة منها إن شاء الله، وهي إضافة مُرحَّب بها، لتحتل مكانها على رف المكتبة التربوية، العربية،

ونرجو أن تكون بدءاً لدراسات تربوية لاحقة، تتسم بالمقارنة والبحث العميق، وهو ما يؤمل في أبنائنا في الأقسام المتخصصة في الجامعات، وعلى عاتقهم يقع عبء ثقيل من المسؤولية في مجال العلم والبحث، خاصة فيما يخص المملكة العربية السعودية، ومن أولى منهم بدراسة ما يخص بلادهم، ويرفع شأنها.

والله الموفق،،

الفهـــارس

١ - فهرس الموضوعـــات

٢- فهرس الأعــــلام

٣- فهرس الأمــاكـــن

٤- فهرس الأشعـــار

١- فهرس الموضوعات حسب ورودها

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
(١) أمسية ثقافية عن «أي بني»	٩
(٢) أشعة البيان في رباعيات المشعان	٦٥
(٣) اللغة العربية في عصر العولمة	٩١
(٤) غازي يحدث عن قبيلته	٩٧
(٥) «أريج» ديوان شعر	١٠٤
(٦) قصيدة «حديقة الغروب»	١٩٣
(٧) كتاب «تراث الأجداد»	٢١٥
(٨) مع قطرات سحائب السدحان	٢١٨
(٩) صدى السنين	٢٣١
(١٠) الجنّيّة	٢٤٨
(١١) صوت من الأعماق	٢٧٤

(١٢) المعـجمي في الأساليب الإسلامية
والعـربـيـة ٢٨٩
(١٣) مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال
النجدية(١) ٢١٦
(١٤) مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال
والأشعار النجدية(٢) ٣٢٣
(١٥) كتاب الروضة ٣٤٤
(١٦) ديوان «أغلى وطن» ٣٥١
(١٧) معالم السياسة التعليمية في
المملكة العربية السعودية ٣٨٨
(١٨) التعليم الابتدائي في
المملكة العربية السعودية ٤٠٠
(١٩) معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن
القرآن العزيز ٤١٢
(٢٠) مكارم الأخلاق ٤٢٦
(٢١) المناهج الدراسية والتغيرات الاجتماعية
والثقافية في المجتمع السعودي ٤٣٥

٢- فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
(أ)	
إبراهيم «نبي الله» :	٨٢
أبو دلامة :	٤٥
أحمد الدامغ :	٣٤٤، ٣٤٨
أحمد بن فارس بن زكريا :	٢٩٦
أحمد محمد الضبيب :	٩١، ٩٣، ٩٥
أريج :	١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٧٦
أريستوفان :	٢٧٠
أسامة :	٣٧١
إسماعيل بن القاسم القالي«أبوعلي» :	٣٠٠
أشعب :	٤٧
الأعمش :	٤٨

أطفال الأنابيب : ٨١
إميلي : ٢٨٤
إيرما : ٢٨٥

(ب)

البواردي : .... ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠

(ت)

التوحيدي «أبوحيان» : ٣٤١
ابن تيمية : ٢٤٣

(ث)

الثعالبي : .... ٢٣٦، ٢٤٣

(ج)

الجاحظ : .... ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩
جحا : ٤٦
ابن جرير الطبري : ٢٤٣
ابن الجوزي : ٣٠٥

(ح)

حاتم الطائي : ١٢٠

الحسين بن أحمد بن خالويه : ٣٠٠

حمد بن عبدالله القاضي «أبوبدر» : ..... ٢٧، ٨٩

حنان السيف : ٢٣١

(خ)

خالد بن الوليد : ٣٧١

خراش : ٢٣١

خير الدين الزركلي : ٢١٧

(د)

دارون : ٧٣

دانتي : ٢٧٠

دغيثر عبدالله الدغيثر : ٤٢٦

(ر)

راشد بن خنين : ٣٢٠

الرقبان «شاعر جاهلي» : ٤٧

(ز)

الزفيان السعدي «شاعر إسلامي» : ٤٧

(س)

سارة بنت عبدالمحسن بن عبدالله بن جلودي آل سعود «الأميرة الدكتورة» : ٢٧٩

سعود : ١٢٨

سعود بن عبدالعزيز «الملك» : ٤٢٠

سعيد بن هاشم «أبوعثمان» : ٢٣٦

سلطان بن عبدالعزيز «الأمير وولي العهد» : ...... ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ٣٨٥

سلطان بن فهد بن عبدالعزيز «الأمير» : .... ٩، ١١٥، ١١٦

سلمان بن عبدالعزيز «الأمير» : ١١٨

سليمان بن عبدالرحمن الحقيل : .... ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٠

أم سهيل : ١٩٩

(ش)

الشافعي : .... ٤٦، ٨٥
الشـمري : ٤٣٣
ابن شهير : ٢٧٠

(ص)

ابن صالح : ٣٦٧
صالح بن ناصر بن صالح : ...... ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٦

(ض)

الضبّيع : ٢٥٩

(ع)

عائشة الجنية : .... ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١
عايد التميمي : ٤٣٣
عبدالرحمن الثنيان : ٦٣
عبدالرحمن الـسبيعي : ..... ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢
عبدالرحمن الصالح الشبيلي : ١٢٢

عــبـدالرحــمن عــبــدالعــزيز المانع : ..... ٣٠٣،
٣١٢، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٤٢
عبدالرحمن بن محمد السدحان : ..... ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٩
عبدالرحمن الناصر السعدي : ٤٣٠
عبدالسلام محمد هارون : .... ٢٩٤، ٢٩٦
عــبــدالعــزيــز «الملك» : ..... ١١، ١٦، ١١٠،
٢٢٠، ٢٧٥، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٥٩، ٣٦٤،
٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٠١، ٤٤٢
عبدالعزيز الخويطر : ٧
عبدالكريم الجهيمان : .... ٥٩، ٣٢١
عبدالكريم محمد عبدالكريم الأسعد : ..... ٤١٢، ٤٢٠
عبدالله بن عـبدالعزيز «الملك» : ..... ١١٤، ١٦٠، ٣٨٥
عبدالله بن عـبدالعزيز بن إدريس : ٢١٣
عبدالله العمري : ٤٣٢
عبـدالمحسن بن عـبدالعـزيز أباني : ..... ٤٣٥،
٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩

عبدالمحسن بن ناصر بن صالح : ٣٦٧
عثمان بن جني : ٢٩٨
عثمان بن رواح : ٤٥
علي بن أبي طالب«الخليفة الراشد» : ٤٦
علي بن الحسن الهنائي «كراع النمل» : ٣٠٠
ابن عماد : ٢٤٣
عمر الزواوي : ١٥٠
عمرو بن العاص : ٤٦
العنود : .... ١٢٥، ١٧١

(غ)

غازي بن عبدالرحمن القصيبي : ..... ٢٢، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٠

(ف)

فاطمة الزهراء : ٢٥٧

فرجيل : ٢٧٠

فرعون : ٨٢

فهد بن عبدالعزيز «الملك» : .... ٩، ٣٦٤، ٣٦٦

فيصل بن عبدالعزيز «الأمير» : .... ١٢٦، ١٧٢

(ق)

القرزعي : ٣٦٧

القفطي : ٢٤٣

قنديش «الجني» : ...... ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩

ابن القيم : ٢٤٣

(ك)

ابن كثير: ٢٤٣

(م)

المتنبي : .... ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٦١

محمد أديب عبدالواحد جمران : ..... ٢٧٩، ٣٠٢

محمد بن أبي ثابت : ٢٩٤

محمد بن أبي الفتح البعلي : ٣٠٠

محمد بن الحسن بن دريد : .... ٢٩٢، ٢٩٤

محمد بن سعد المشعان : .... ٦٥، ٦٦، ٧٣

محمد بن عبدالعزيز القويعي «أبوسعد» : ...... ٢١٥، ٢١٧

محمد العبدالله الفريح : ٤٣١

محمد بن عبدالله المفرح : ٨٧

محمد بن عبدالله بن مالك الجياني : ٣٠٠

محمد بن القاسم الأنباري : .... ٢٩٥، ٢٩٩

محمد بن هاشم «أبوبكر» : ٢٣٦

مسلمة : .... ٣٦، ٣٨

مصطفى لطفي المنفلوطي : ٧

المعري : .... ٢٤٣، ٢٧٠

مقرن بن عبدالعزيز «الأمير»: ...... ١٢٠، ١٣٧

مليتون : ٢٧٠

المنصور «الخليفة العباسي» : ٤٤

مها بنت سليمان الوابل : .... ٢٧٤، ٢٧٩
موسى «النبي عليه السلام» : ٨٢
مـوسى السليم : ..... ٣٥١، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢

(ن)

نايف بن عبدالعزيز «الأمير»: ..... ١١٧، ١٦٢، ١٦٣
النديم «ابن» : .... ٢٣٦، ٢٤٣
نصر الخبرأرزي : ٢٣٧٠
نعيمان : ٣٩
نورة الشبيلي : ١٠٧

(هـ)

الهنود الحمر : ٢٦٨
هوميروس : ٢٧٠

(ي)

ياقوت الحموي : ٢٤٣
يزيد بن المهلب : .... ٣٦، ٣٨
يعقوب بن السلّيت : ٣٠١

٣- فهرس الأماكن

الاسم	الصفحة
(أ)	
أجـا :	١١٩
الأحساء :	٢٥٨، ٢٥٩
أوروبا :	٣٩٢
(ب)	
البيت الحرام:	١٦
(ج)	
جازان :	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨
جـدة :	٢٧٢
(ح)	
حائل :	١١٩، ١٢٠، ٤٣٢
الحجاز :	٣٦٥
الحديقة/ حـديقة :	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٩٤

الحرمين الشريفين : .... ١٥٤، ١٥٧

(خ)

الخليج/ خليج : .... ٢٠٩، ٣٨٦

(ر)

الروضـــة : ..... ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٨٠، ٣٨٦،

الــريــاض : .... ٩، ١٠٧، ٢٧٢،

٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٢٠

(ز)

الزبير : ٤٣٢

(س)

ســدير : ٣٤٥

سلـمى : ١١٩

(ش)

شارع العـليا : ١٦٢

الشـــام : ٣٧٨

الشـفــا : ١٢١

شقراء : .... ٣١٧، ٣٤٢

(ط)

الطائف : .... ١٢٠، ١٢١، ١٢٢

(ع)

عسير : .... ١١٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨

عنيزة : .... ٣٦٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٣

(ف)

فلسطين : .... ١٢٤، ٣٨٤

(ق)

القصيم : ٣٦٧

قلعة هندي : ٣٦٩

(م)

مكة المكرمة : .... ١٣، ٣٦٩

المغرب : .... ٢٥٧، ٢٦٣

مكتبة العبيكان : ٦٣

(ن)

نجـــد : ...... ١٣، ١١٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٤٣٢

(هـ)

الهــدا : ١٢١

(و)

وادي ثقيف : ١٢١

وادي الفقي : ٣٤٥

وادي وج : ١٢١

الولايات المتحدة (أمريكا) : ٣٩٢

(ي)

اليــابان : ٣٩٢

٣- فهرس الأشعار

قافية (أ) (ى)

هل قـــال «ذو الإســـراء» إنـي مـــزمع
سـفـراً سـيـوصـلني إلى العـليـاء؟ ٧٧

واعـــمـــل وقـــد أيـقـنـت أن
الـلـه «يـرزق مـن يـشـــاء» ٧٩

وتصـــيـــر ياخلي من القـــرب مـــسرور
ولا عـاد تطري سيرة البـعـد «تكفى» ١٤٣

قافية (ب)

أغـــراهم الـتـــهـــزاز، أغـــواهم
هـــزيـــز المـــطـــرب ٨٣

عـلـم الـوحـــدة رفـــرف
أنـت عـــز لـلـعـــرب ٣٦١

سل الـقلـمـــا .... سل العـلمـــا.... من العـــرب؟ ٣٦٣

على الرحب يا شـبل فـخـر العـرب
وأهـلاً بزاكـي النهـى والحـسـب ٣٦٥

ســـمـــعـت شـــعـــراً للعندليب
تلاه فـــوق الـغـــصن الـرطـيـب ٣٧٦

قافية (ح)

إن تكـلمت أنـا، أدري مـــا يفـيـــد الـكلام
وإن سكت المدامـع بالليـــالي تصـيـح ١٣٥

مـــرحـبـــا بالمشـاعـــر والمعـــاني الـكرام
يامحمـد «خفوقي» يشهـد الله جريح ١٥٠

من غـــزا الشـــوك قلبـــه صـــار كله حـطام
وقـال ليـتي من أول بالمحبة شـحـيح ١٨٥

قافية (د)

عـــبـــودية الإنســـان، إمـــا لخـــالق
إذا مـــا أردت الرشـــد يمنحك الرشـــدا ٧٥

إمـــيـــرنـا سلمـــان ياحي فـــالـه
أنشـــا لنا مـــركـز وحـقق لنا مـــراد ١١٨

حـــــوض المنـايـــا كـلـنـا واردينـه
أقـدار مـــا فيـهـا من الـنقص والزود ١٢٥

مـن لـوعـــــتي والقـلـب هـيـض ونيـنـه
من عـقـب علم جـدد الحـزن ياسعـود ١٢٨

كل مـــا سـنّ ربي نـهـــجنـا بالتـــزام
نرجي الله وحـده الحـمـيـد المجـيـد ١٥٤

قافية (ر)

فـــمـــا صــدر أمـــر الله قـــانـون كـــونه

ولكـن أمـــر الله يعـلو ويـظهـــر 82

بأرواحـنا نـفـــديك يـامـــوطن فـــيــه

بيــتين لـلرحـــمن، وهداية النور 117، 157

يابـوطلال، الـطيب من طيب مـــبـــداك

ويحق لي أنظـم عن الطيب الأشـعـار 122

«الـهـــادي الـله» ثـم الحـــرص لـه دور

يغـرس بهم طبع الفـضيـلة والأخـيـار 140

«تكـفى» قــبل مـــا تنوي البـــعــد قـل لي

وقـبل الوداع أرجـوك تـعطين تذكـار 143

عـــشنا بـســلام ويامـن حكـم مـبـــاديه

شـرع من الـله فـيـه الآيات دسـتـور 163

عـــشت الشــقـــا والهمّ بالقـلب مـســتـور

أشــيل همّي حـــتى لو كـــان أنهــار 170

وأشـــوفـــهم فـي خـيـــر وبعــز وســـرور

وكل واحـــــد منهـم بي واصـل بار 171

كنت أعطـي شــوري كل مـا شـفـت الأتعـاس

وهاالحين صـــرنا ناخــذ العلـم والشـــور

191

أمـــا تعـبـت من الأعـــداء... مــا برحـــوا
يحـــــاورونك بـالكبــــريت والـنار ١٩٦
شــــبــــاب العـــلا ياشــبـــاب العـــلا
أذلوا الصـعـاب وخـوضوا الغـمـار ٣٦٩

قافية (س)

نشـــــوء، فـــــارتقـــاء، فـــانتكاس
وأقــــوال على وهـم تقــــاس ٧٤

قافية (ض)

ســـــــــــر فـي مـنـاكـب الأرض
بالـطول أحــيـــانـاً وبالـعــــرض ٧٢

قافية (ف)

تشــرح الصـدر ياالـطائف عـســاك العــمـار
مـتعـة الشـوق بجـبـال الهدا والـشفـا ١٢١

قافية (ك)

تـكشـف زيفـك وتـســـأل عن جــــواب
والحـقـيـقـة، الحـقـيـقـة، تصـفـعك ١٣٦
مـــخلص ووافـي، والوفـــا لك ســمـــا بي
اذكــر «خـفــوق» دوم بالحب مـــدك ١٥٠
عـــــبـــدالعــــزيـز بن الـســـعـــود
هـــاكــلــنــا بـــين يـــديــك ٣٦٨

قافية (ل)

فـــالله قـــال: «لئـن شكـرتم» فـــاشـكروا
تجـدوا الكـثـيـر، وتنـســوا الإقــلالا ٧٤

اهـتــــفت لـك نـظرة عـــيــــوني هـلا
ياحـيــاتي شـوفـتك حلمي الجــمـيل ١٣١

أكـــفـنا شـــر دنيـــا فـي ثواني تجـــور
عـــافنـا وارحم فـــؤاد من الهـم مل ١٦٦

قافية (م)

أنـا وقلـبي والمـشـــاعـــر والأنـفـــاس
في شـوق لك، والود بـالعين مـرسـوم ١٣٤

مـــتـى تجي يامـــالك كل الإحـــســـاس؟
جـاوب وريح «خـافق» منك مـهمـوم ١٤٩

والحـــمـــد لله كـــاشف الـهم والـبـــاس
جــعل التـلاقـي بيننا دوم مــقـســوم ١٧٤

قافية (ن)

نـدعي وربـي مـــا يـخــيـب رجـــانـا
ياجــــعـل بره راجـح بالمـوازين ١٢٧، ١٧٣

ومـــادام قـلبي خــــالـي منـه مــــرة
«والله ثم والـلـه» مـــاهـو بندمـــان ١٤٤

إلهنا يرعـــاك ويحـــميك ويكفـــيك
شـر حـاسـد لك حنا له مـا فـطنا ١٥٨
إن الثـــمـــانين وبلغـــتـــهـــا
قـد أحـوجت سـمعي إلى ترجمـان ٢١٢
يارب عـــبـــدك خـــادم الحـــرمين فـــخـــر المسلمين ٣٥٩
عـــبـدالعـــزيز بن ســعــود تـوجّـه بالـنصـر المبين ٣٥٩
حـــمـــاة الحـــمى ياحـــمـــاة الحـــمى
هلمـــوا هلمـــوا المجـــد الزمن ٣٧٢
وفـــيـــهـــا لبـــاغي العـــداء النقم
وفـــيـــهـــا لمن ســالمونـا السـلام ٣٧٥

قافية (هـ) (ة)

«وإن تعـــدوا» أراها خـــيـــر مـــقنعـــة
بأن مـن أوجــد الأرواح يـغنـيـــهـــا ٧٦
ياخـــالق الدنيـــا ورافع ســـمـــاها
نصـــرك لنا ياواهب الخـــيـــر آية ١٠٩
نفـــخـــر بماضـــينا والحب له غـــيـــر
وبيت طين من نخلنا طمـــامـــه ١١٢
مـــشكور ياليث وفّى بالتـــزامـــه
قلوب شـعـبـه حب فـهـد مـلاها ١١٣

ياولـي العـــهـــد مـــا مـــثلك حكيم
لان لك فـي مملـكتنا صــخـــرها ١١٤
مكـارمــــه فـــاقـت كـــرم حـــاتم طي
والجـود والمعـروف طبع وســيـره ١١٥
أجـــا وسلمـى شـــامـــخـات حـــصـينه
وسـحـر الطبيـعـة حظ منهـو اهتنى به ١١٩
حـــبـــهـــا بـالقلب عـــايش ياالعـنود
والشــعـــر لو قـيـل مـا يصل مـداه ١٢٦
أكـــتب قـصــيـــدي والمشـــاعـــر تغنيــه
وارسم بعطـر الوجـد لـوحـة جـديدة ١٣٠
واللـه مـــا أنسى كلـمـــة كنهـــا ســـهـــوم
صـــوبتـــهـــا لأعـــمـــاق قـلب توده ١٣٢
وأعطـيك أنا مـن لهـــفــــتي مـــا يشـــدك
يابدر أشـرق في وجـودي شـعـاعـه ١٣٦
«مــــقــــرن» عـطـي اللـه تـسلـم يمينه
«مـقـرن» لأهل حـايل مـثل السحـابة ١٣٧
تســـأل علـي، وتدور أخــبــاري كـل يوم
«وشـــوله!!» وأنت اللي قطـعت المودة ١٤١
ترى حــبك بـقلبي «ياحـيــاتي» ثـابت راسي
ونفسي «يابعد عمري» بنار الشوق مكويه ١٤٨

أبدأ قــصــيــدي «بــاسم من كــون الكون»
وأهدي قــصــيـدي للـعـقـول الفـطينة ١٥٣

عــلى ثــرى أرضـك بـيت رب المقـــاديـر
ومـسجـد رسـوله عــالي في مـقـامـه ١٥٥

ياخـــادم البــيــتين فــيك الشـهــامـــة
ومـــروتك ياكـــثـــر خلق نصـــاها ١٥٦

يامـــحـكّم القـــرآن شـــفنا لقـــينا
عـــدالة الله أظهـــرت مـــا نويتـــه ١٥٩

كـلنا «والحـــمـــد لله في نـعـــيم»
من مـــشـــاريع عـــجـــزنا حـــصـــرها ١٦٠

الله أكـــبـــر رحـــمـــتـــه فـوق كـل شيء
الله أكـــبـــر رحـــمـــة الله كـــبـــيـرة ١٦١

جـــعل «وســـمـــيـــة» بجنات الخلود
تنعم بـفـــردوس ربي مـن رضـــاه ١٧٢

وأقـــولهـــا في كـل عـــزم وثبـــات
مـــا عـــاد لـك هالحين عـندي مكـانه ١٩٠

يا شـــبـــاب الـوطن عـــزّوا اســـمـــه ٣٥٥

قافية (ي)

يـارب لا تـواخـــــذ قـلوب المواليـف
«عـــزّ الـلـه» إن الشـك كنـه بدا بـي ١٤٢

ويصــيــر «قلبـي» لأجل سلواك ســبـــاق

يومـين، ويمسح كل ذكـــرى تجــيـني ١٤٧

جـــيت أشـــتكي لــك من عنـا طرفـــة الموق

تعبت يدي من مــسح دمع عـصـاني ١٦٤

يـاعل وصـل منهـم مـــــجـــــفف المـوق

حنانـهم يشـــفي مـواجـع كـيـــاني ١٦٥

جـــربت نســيـــانك بـكل التـــواصــيف

وإن مـات شـوقي الغــلا لك حـيـابي ١٩١

نبذة عن المؤلف

* ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.

*جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.

*حاصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ.

* حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ.

*عيِّن في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود.

* عين وكيلا للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ.

*درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب.

* انتقل من الجامعة رئيساً لديوان المراقبة مدة عامين تقريباً. ثم وزيرا للصحة مدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للمعارف مدة واحد وعشرين عاماً.

*عُيّن في ١٤١٦هـ وزير دولة وعضو في مجلس الوزراء.

كتب صدرت للمؤلف:

* نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب: «الشيخ أحمد المنقور في التاريخ».

* ألَّف عام ١٣٩٠هـ كتاب: «عثمان بن بشر».

* ألَّف عام ١٣٩٥هـ كتيب: «في طرق البحث».

* طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية.

* حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره.

* حقق كتاب: «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.

* من حطب الليل: الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ، والثالثة، عام ١٤٢٥هـ.

* ألَّف عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبد الله ابن عثيمين».

* ألّف بين عامي ١٤٠٩هـ و١٤١٤هـ كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.

* ألَّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب: «إطلالة على التراث» سبعة عشر جزءاً.
* ألّف عام ١٤١٨هـ كتاب: «يوم وملك».
* ألّف منذ عام ١٤١٩هـ وحتى ١٤٢٧هـ ثلاثة أجزاء من كتاب: «ملء السلة في ثمرة المجلة».
* ألّف عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠١م حديث الركبتين.
* ألّف عام ١٤٢٤هـ كتاب لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية.
* ألّف عام ١٤٢٥هـ كتاب: «دمعة حرى».
* ألّف عام ١٤٢٦هـ/ ١٤٢٧هـ سبعة أجزاء من كتاب: «وسم على أديم الزمن-لمحات من الذكريات».
* ألف عام ١٤٢٨هـ٢٠٠٧/ م كتاب «بعد القول قول».
* ألف عام ١٤٢٨هـ٢٠٠٧/ م كتاب «رصد لسياحة الفكر».
* ألف عام ١٤٢٨هـ٢٠٠٧/ م كتاب «السلام عليكم».

رصد لسياحة الفكر

هذا كتاب يسجل دراسات لي قمت بها لبعض الكتب التي صدرت في المملكة العربية السعودية، وهذه الدراسات إما مقدمات لكتب قبل طبعها، أو نظرات في كتب طُبعت وظهرت، وقرأتها وأعجبني ما فيها، ورأيت فيه فائدة للقُراء، فأبديت لهم رأيي، علهم يجدون الوقت ليتمتعوا مثلما تمتعت.

ردمك ٠ - ٩١٦ - ٥٦ - ٩٩٦٠

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض